190603

دليل الهائم

في

صناعة الناثر والناظم

جمعهُ الفقير اليهِ تعالى شاكر البتلوني

نظر فيهِ وضبطهُ وصحَّحهُ

العلاَّمة اللُّغَويّ الشيخ ابرهيم اليازجي

طبع ثانيةً في بيروت في المطبعة الادبية سنة ١٨٩٠

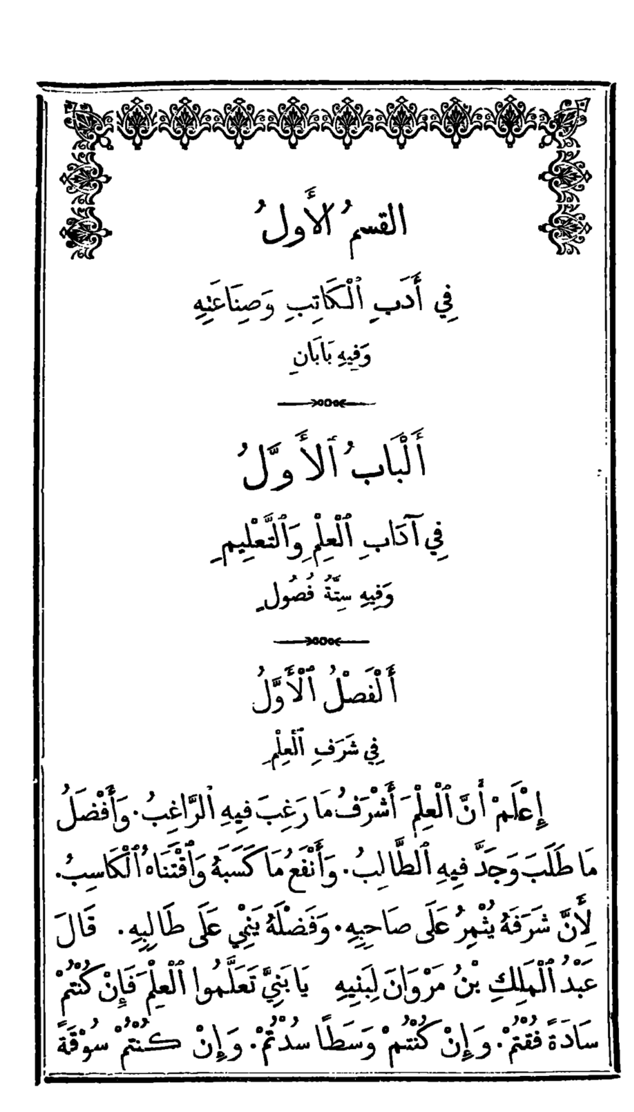
برخصة مجلس معارف ولاية سورية الجليلة

بِسْمِ ٱللهِ خَيْرِ ٱلأَسْمَآءِ

أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي زَيَّنَ أَجْيَادَ ٱلْبَلاَغَةِ بِعُقُودِ ٱلْفَصَاحَةِ وَٱلْبَيَانِ وَجَعَلَ ٱللَّفْظَ دَلِيلاً عَلَى ٱلْمَعَانِي وَٱلْمَعَانِيَ دَلِيلاً عَلَى ٱلْجَنَانِ * وَبَعْدُ فَإِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ صِنَاعَةَ ٱلإِنْشَآءِ قَدْ أَخَذَتْ فِي هٰذَا ٱلْعَصْرِ جَمَالَ زُخْرُفِهَا وَمَاسَتْ خُرَّدُ ٱلْفَصَاحَةِ تَجُرُّ عَلَى مُتُونِ ٱلْمَهَارِقِ فَضْلَ مُطَرَفِهَا فَغَاصَتْ أَقْلَامُ ٱلأُدَبَآءِ عَلَى جَوَاهِرِ ٱللَّفْظِ تَلْتَقِطُهَا مِنْ خِلَالِ جَدَاوِلِ ٱلأَسْفَارِ وَٱسْتَنَّتْ قَرَائِحُ ٱلأَلِبَّآءِ فِي سَنَنِ ٱلتَّحَدِّي عَلَى آثَارِ ٱلْمُتَقَدِّمِينَ فِي هٰذَا ٱلْمِضْمَارِ رَأَيْتُ أَنْ أُتْحِفَ ٱلْمُتَأَدِّبِينَ وَمَنْ نَظَمَتْهُمْ حَلَقَاتُ ٱلْمَدَارِسِ فِي هٰذَا ٱلْعَصْرِ بِسِفْرٍ يُسْفِرُ عَنْ جُلِّ آدَابِ ٱلإِنْشَآءِ وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ٱلْمُبْتَدِئُ فِي مُعَانَاةِ ٱلنَّظْمِ وَٱلنَّثْرِ فَجَمَعْتُ لِذٰلِكَ هٰذَا ٱلْكِتَابَ مَأْخُوذًا عَنْ مُصَنَّفَاتِ جِلَّةِ ٱلْعُلَمَآءِ ٱلْمَشْهُورِينَ فِي ٱلْفَنَّيْنِ جَمِيعًا وَرَتَّبْتُهُ أَبْوَابًا وَفُصُولاً نَقَلْتُ فِيهَا نُصُوصَهُمْ

وَرَصَّعتُهَا فِي أَثنَائِهِ تَرْصِيعًا ثُمَّ أَرْدَفتُهَا بِطَائِفَةٍ مِنْ أَقْوَالِهِمْ فِي ضُرُوبِ ٱلرَّسَائِلِ وَغَيْرِهَا مِنْ أَغْرَاضِ ٱلْمُتَرَسِّلِينَ وَٱلْكُتَّابِ لِتَكُونَ مِثَالاً يَحْتَذِيهِ ٱلسَّالِكُ عَلَى طَرِيقَتِهِمْ بَعْدَ مُطَالَعَةِ مَا سَبَقَ مِنَ ٱلْأَبْوَابِ وَخَتَمْتُهُ أَخِيرًا بِفِقَرٍ مُتَفَرِّقَةٍ نَقَلْتُهَا مِنْ كُتُبِهِمْ فِي مَعَانٍ شَتَّى مِنَ ٱلْوَصْفِ يُمْكِنُ أَنْ يَسْتَعِينَ بِهَا ٱلْكَاتِبُ حَيْثُ أَضْطَرَّ إِلَيْهَا أَوْ يَسْتَظْهِرَ بِهَا عَلَى ٱلذِّكْرَى فَيَهْتَدِيَ إِلَى تَرَاكِيبَ أُخَرَ مِمَّا يَجْرِي فِي أُسْلُوبِهِ عَلَيْهَا وَلَمَّا تَسَنَّى لِي جَمْعُهُ وَٱتَّسَقَ وَٱنْتَظَمَ شَمْلُ فَرَائِدِهِ عَلَى هٰذَا ٱلنَّسَقِ وَضَعْتُهُ بَيْنَ يَدَيْ حَضْرَةِ ٱلْعَالِمِ ٱلْعَلَّامَةِ وَٱلْأُسْتَاذِ ٱللُّغَوِيِّ ٱلْفَهَّامَةِ ٱلشَّيْخِ إِبْرٰهِيمَ ٱلْيَازِجِيِّ فَسَحَ ٱللّٰهُ فِي مُدَّتِهِ وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَنْظُرَ فِيهِ قَبْلَ تَمْثِيلِهِ تَسْدِيدًا لِمَنْهَجِهِ وَتَدَارُكًا لِمَا سَقَطَ عَنِّي فِي بَعْضِ فُصُولِهِ فَجَاءَ بِحَمْدِ ٱللّٰهِ كِتَابًا وَافِيَ ٱلْفَوَائِدِ صَافِيَ ٱلْمَوَارِدِ يَنْقَعُ عَلَى قِلَّةِ رَشْحِهِ غُلَّةَ ٱلصَّادِي وَيَنْفَعُ بِإِذْنِ ٱللّٰهِ ٱلْبَادِئَ وَٱلشَّادِيَ وَقَدْ سَمَّيْتُهُ دَلِيلَ ٱلْهَائِمِ فِي صِنَاعَةِ ٱلنَّاثِرِ وَٱلنَّاظِمِ وَأَنَا أَسْأَلُ ٱللّٰهَ أَنْ يُفِيدَ بِهِ ٱلطُّلَّابَ وَيَجْعَلَهُ مُقَدِّمَةً لِخَاتِمَةِ ٱلثَّوَابِ بِمَنِّهِ وَحُسْنِ تَوْفِيقِهِ

فهرس الكتاب



القسم الأول

فِي أَدَبِ ٱلْكَاتِبِ وَصِنَاعَتِهِ

وَفِيهِ بَابَانِ

أَلْبَابُ ٱلأَوَّلُ

فِي آدَابِ ٱلْعِلْمِ وَٱلتَّعْلِيمِ

وَفِيهِ سِتَّةُ فُصُولٍ

أَلْفَصْلُ ٱلأَوَّلُ

فِي شَرَفِ ٱلْعِلْمِ

إِعْلَمْ أَنَّ ٱلْعِلْمَ أَشْرَفُ مَا رَغِبَ فِيهِ ٱلرَّاغِبُ. وَأَفْضَلُ مَا طَلَبَ وَجَدَّ فِيهِ ٱلطَّالِبُ. وَأَنْفَعُ مَا كَسَبَهُ وَٱقْتَنَاهُ ٱلْكَاسِبُ. لِأَنَّ شَرَفَهُ يُثْمِرُ عَلَى صَاحِبِهِ. وَفَضْلَهُ يَنْمِي عَلَى طَالِبِهِ. قَالَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لِبَنِيهِ يَا بَنِيَّ تَعَلَّمُوا ٱلْعِلْمَ فَإِنْ كُنْتُمْ سَادَةً فُقْتُمْ. وَإِنْ كُنْتُمْ وَسَطًا سُدْتُمْ. وَإِنْ كُنْتُمْ سُوقَةً

عِشتُمْ. وَقَالَ بَعضُ ٱلْبُلَغَاءِ تَعَلَّمِ ٱلْعِلْمَ فَإِنَّهُ يُقَوِّمُكَ وَيُسَدِّدُكَ صَغِيرًا. وَيُقَدِّمُكَ وَيُسَوِّدُكَ كَبِيرًا. وَيُصْلِحُ زَيْغَكَ وَفَاسِدَكَ. وَيُرْغِمُ عَدُوَّكَ وَحَاسِدَكَ. وَيُقَوِّمُ عِوَجَكَ وَمَيْلَكَ. وَيُصَحِّحُ هِمَّتَكَ وَأَمَلَكَ. وَقَالَ مُصْعَبُ بْنُ ٱلزُّبَيْرِ تَعَلَّمِ ٱلْعِلْمَ فَإِنْ يَكُنْ لَكَ مَالٌ كَانَ لَكَ جَمَالاً. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ مَالٌ كَانَ لَكَ مَالاً. وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ لِٱبْنِهِ عَلَيْكَ بِكُلِّ نَوْعٍ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَخُذْ مِنْهُ فَإِنَّ ٱلْمَرْءَ عَدُوُّ مَا جَهِلَ وَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ عَدُوَّ شَيْءٍ مِنَ ٱلْعِلْمِ. وَأَنْشَدَ

تَفَنَّنْ وَخُذْ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ فَإِنَّمَا
يَفُوقُ ٱمْرُؤٌ فِي كُلِّ فَنٍّ لَهُ عِلْمُ

فَأَنْتَ عَدُوٌّ لِلَّذِي أَنْتَ جَاهِلٌ
بِهِ وَلِعِلْمٍ أَنْتَ تُتْقِنُهُ سِلْمُ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْأُدَبَاءِ كُلُّ عِزٍّ لَا يُوَطِّدُهُ عِلْمٌ مَذَلَّةٌ وَكُلُّ عِلْمٍ لَا يُؤَيِّدُهُ عَقْلٌ مَضَلَّةٌ. وَقَالَ بَعْضُ عُلَمَاءِ ٱلسَّلَفِ إِذَا أَرَادَ ٱللّٰهُ بِٱلنَّاسِ خَيْرًا جَعَلَ ٱلْعِلْمَ فِي مُلُوكِهِمْ وَٱلْمُلْكَ فِي عُلَمَائِهِمْ. وَقَالَ بَعْضُ ٱلْبُلَغَاءِ ٱلْعِلْمُ عِصْمَةُ ٱلْمُلُوكِ لِأَنَّهُ يَمْنَعُهُمْ مِنَ ٱلظُّلْمِ. وَيَرُدُّهُمْ إِلَى ٱلْحِلْمِ. وَيَصُدُّهُمْ عَنِ

ٱلأَذِيَّةِ • وَيَعْطِفُهُمْ عَلَى ٱلرَّعِيَّةِ • فَمِنْ حَقِّهِمْ أَنْ يَعْرِفُوا حَقَّهُ وَيَسْتَنْبِطُوا أَهْلَهُ • وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ٱلْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ ٱلْمَالِ • ٱلْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ ٱلْمَالَ • ٱلْعِلْمُ حَاكِمٌ وَٱلْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ • مَاتَ خُزَّانُ ٱلأَمْوَالِ وَبَقِيَ خُزَّانُ ٱلْعِلْمِ • أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ • وَأَشْخَاصُهُمْ فِي ٱلْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ

وَرُبَّمَا ٱمْتَنَعَ ٱلإِنْسَانُ مِنْ طَلَبِ ٱلْعِلْمِ لِكِبَرِ سِنِّهِ وَٱسْتِحْيَائِهِ مِنْ تَقْصِيرِهِ فِي صِغَرِهِ أَنْ يَتَعَلَّمَ فِي كِبَرِهِ. فَرَضِيَ بِٱلْجَهْلِ أَنْ يَكُونَ مَوْسُومًا بِهِ وَآثَرَهُ عَلَى ٱلْعِلْمِ أَنْ يَصِيرَ مُبْتَدِئًا بِهِ • وَهٰذَا مِنْ خِدَاعِ ٱلْجَهْلِ وَغُرُورِ ٱلْكَسَلِ لِأَنَّ ٱلْعِلْمَ إِذَا كَانَ فَضِيلَةً فَرَغْبَةُ ذَوِي ٱلأَسْنَانِ فِيهِ أَوْلَى وَٱلِٱبْتِدَاءُ بِٱلْفَضِيلَةِ فَضِيلَةٌ وَلَأَنْ يَكُونَ شَيْخًا مُتَعَلِّمًا أَوْلَى مِنْ أَنْ يَكُونَ شَيْخًا جَاهِلًا

وَرُبَّمَا ٱمْتَنَعَ أَيْضًا مِنْ طَلَبِ ٱلْعِلْمِ لِتَعَذُّرِ ٱلْمَادَّةِ وَشَغَلَهُ ٱكْتِسَابُهَا عَنِ ٱلْتِمَاسِ ٱلْعِلْمِ وَهٰذَا وَإِنْ كَانَ أَعْذَرَ مِنْ غَيْرِهِ مَعَ أَنَّهُ قَلَّمَا يَكُونُ ذٰلِكَ إِلَّا عِنْدَ ذِي شَرَهٍ وَعَيْبٍ وَشَهْوَةٍ مُسْتَعْبِدَةٍ فَيَنْبَغِي أَنْ يَصْرِفَ إِلَى ٱلْعِلْمِ حَظًّا مِنْ زَمَانِهِ فَلَيْسَ كُلُّ ٱلزَّمَانِ زَمَانَ ٱكْتِسَابٍ وَلَا بُدَّ لِلْمُكْتَسِبِ مِنْ أَوْقَاتِ ٱسْتِرَاحَةٍ وَأَيَّامِ عُطْلَةٍ وَمَنْ صَرَفَ كُلَّ نَفْسِهِ إِلَى ٱلْكَسْبِ حَتَّى

أَمْ يَتْرُكُ لَهَا فَرَاغًا إِلَى غَيْرِهِ فَهُوَ مِنْ عَبِيدِ ٱلدُّنْيَا وَأُسَرَاءِ ٱلْحِرْصِ
وَرُبَّمَا مَنَعَهُ مِنْ طَلَبِ ٱلْعِلْمِ مَا يَظُنُّهُ مِنْ صُعُوبَتِهِ وَبُعْدِ
غَايَتِهِ وَيَخْشَى مِنْ قِلَّةِ ذِهْنِهِ وَبُعْدِ فِطْنَتِهِ وَهٰذَا ٱلظَّنُّ ٱعْتِذَارُ
ذَوِي ٱلنَّقْصِ وَخِيفَةُ أَهْلِ ٱلْعَجْزِ لِأَنَّ ٱلْإِخْبَارَ قَبْلَ ٱلِٱخْتِبَارِ
جَهْلٌ وَٱلْخَشْيَةَ قَبْلَ ٱلِٱبْتِلَاءِ عَجْزٌ. وَقَدْ قَالَ ٱلشَّاعِرُ

لَا تَكُونَنَّ لِلْأُمُورِ هَيُوبًا   فَإِلَى خَيْبَةٍ يَصِيرُ ٱلْهَيُوبُ

وَقِيلَ فِي مَنْثُورِ ٱلْحِكَمِ كَمْ مِنْ ذَلِيلٍ أَعَزَّهُ عِلْمُهُ. وَمِنْ
عَزِيزٍ أَذَلَّهُ جَهْلُهُ. وَقَالَ بَعْضُ ٱلْعُلَمَاءِ لِبَنِيهِ يَا بَنِيَّ تَعَلَّمُوا
ٱلْعِلْمَ فَإِنْ لَمْ تَنَالُوا بِهِ مِنَ ٱلدُّنْيَا حَظًّا فَلَأَنْ يُذَمَّ ٱلزَّمَانُ لَكُمْ
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يُذَمَّ ٱلزَّمَانُ بِكُمْ

وَيَنْبَغِي لِمَنْ زَهِدَ فِي ٱلْعِلْمِ أَنْ يَكُونَ فِيهِ رَاغِبًا. وَلِمَنْ رَغِبَ
فِيهِ أَنْ يَكُونَ لَهُ طَالِبًا. وَلِمَنْ طَلَبَهُ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ مُسْتَكْثِرًا.
وَلِمَنِ ٱسْتَكْثَرَ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ بِهِ عَامِلًا. وَأَنْ لَا يَطْلُبَ لِتَرْكِهِ
ٱحْتِجَاجًا وَلَا لِلتَّقْصِيرِ فِيهِ عُذْرًا. وَلَا يُسَوِّفَ نَفْسَهُ بِٱلْمَوَاعِيدِ
ٱلْكَاذِبَةِ وَيُمَنِّيَهَا بِٱنْقِطَاعِ ٱلْأَشْغَالِ ٱلْمُتَّصِلَةِ فَإِنَّ لِكُلِّ
وَقْتٍ شُغْلًا. وَلِكُلِّ زَمَانٍ عُذْرًا. وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ

نَرُوحُ وَنَغْدُو لِحَاجَاتِنَا   وَحَاجَةُ مَنْ عَاشَ لَا تَنْقَضِي

تَمُوتُ مَعَ ٱلْمَرْءِ حَاجَاتُهُ وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِي

وَأَنْ يَقْصِدَ طَلَبَ ٱلْعِلْمِ وَاثِقًا بِتَيْسِيرِ ٱللّٰهِ قَاصِدًا وَجْهَ ٱللّٰهِ تَعَالَى بِنِيَّةٍ خَالِصَةٍ وَعَزِيمَةٍ صَادِقَةٍ. وَهُوَ وَلِيُّ ٱلتَّوْفِيقِ

ٱلْفَصْلُ ٱلثَّانِي

فِيمَا يَنْبَغِي لِطَالِبِ ٱلْعِلْمِ

يَنْبَغِي لِطَالِبِ ٱلْعِلْمِ أَنْ لَا يَنِيَ فِي طَلَبِهِ. وَيَنْتَهِزَ ٱلْفُرْصَةَ بِهِ. فَرُبَّمَا شَحَّ ٱلزَّمَانُ بِمَا سَمَحَ. وَضَنَّ بِمَا مَنَحَ. وَيَبْتَدِئَ مِنَ ٱلْعِلْمِ بِأَوَّلِهِ. وَيَأْتِيَهُ مِنْ مَدْخَلِهِ. وَلَا يَتَشَاغَلَ بِطَلَبِ مَا لَا يَضُرُّهُ جَهْلُهُ. فَيَمْنَعَهُ ذٰلِكَ مِنْ إِدْرَاكِ مَا لَا يَسَعُهُ جَهْلُهُ. فَإِنَّ لِكُلِّ عِلْمٍ فُضُولًا مُذْهِلَةً. وَشُذُورًا مُشْغِلَةً. إِنْ صَرَفَ إِلَيْهَا نَفْسَهُ قَطَعَتْهُ عَمَّا هُوَ أَهَمُّ مِنْهَا. وَقَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ ٱلْعِلْمُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَى فَخُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ. وَقَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ بِتَرْكِ مَا لَا يَعْنِيكَ. تُدْرِكُ مَا يُغْنِيكَ. وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَدْعُوَهُ ذٰلِكَ إِلَى تَرْكِ مَا ٱسْتَصْعَبَ عَلَيْهِ إِشْعَارًا لِنَفْسِهِ أَنَّ ذٰلِكَ مِنْ فُضُولِ عِلْمِهِ وَإِعْذَارًا لَهَا فِي تَرْكِ ٱلِاشْتِغَالِ بِهِ فَإِنَّ ذٰلِكَ مَطِيَّةُ ٱلنَّوْكَى وَعُذْرُ ٱلْمُقَصِّرِينَ. وَمَنْ أَخَذَ مِنَ

ٱلْعِلْمِ مَا تَسَهَّلَ وَتَرَكَ مِنْهُ مَا تَعَذَّرَ كَانَ كَٱلْقَنَّاصِ إِذَا ٱمْتَنَعَ عَلَيْهِ ٱلصَّيْدُ تَرَكَهُ فَلَا يَرْجِعُ إِلَّا خَائِبًا إِذْ لَيْسَ يَرَى ٱلصَّيْدَ إِلَّا مُمْتَنِعًا كَذَٰلِكَ ٱلْعِلْمُ كُلُّهُ صَعْبٌ عَلَى مَنْ جَهِلَهُ سَهْلٌ عَلَى مَنْ عَلِمَهُ. لِأَنَّ مَعَانِيَهُ ٱلَّتِي يُتَوَصَّلُ إِلَيْهَا مُسْتَوْدَعَةٌ فِي كَلَامٍ مُتَرْجِمٍ عَنْهَا وَكُلُّ كَلَامٍ مُسْتَعْمَلٍ فَهُوَ يَجْمَعُ لَفْظًا مَسْمُوعًا وَمَعْنًى مَفْهُومًا فَٱللَّفْظُ كَلَامٌ يُعْقَلُ بِٱلسَّمْعِ وَٱلْمَعْنَى تَحْتَ ٱللَّفْظِ يُفْهَمُ بِٱلْقَلْبِ. وَقَدْ قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ. ٱلْعُلُومُ مَطَالِعُهَا مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ. قَلْبٍ مُفَكِّرٍ. وَلِسَانٍ مُعَبِّرٍ. وَبَيَانٍ مُصَوِّرٍ. فَمَنْ عَقَلَ ٱلْكَلَامَ بِسَمْعِهِ فَهِمَ مَعَانِيَهُ بِقَلْبِهِ وَمَنْ فَهِمَ ٱلْمَعَانِيَ سَقَطَ عَنْهُ كُلْفَةُ ٱسْتِخْرَاجِهَا وَبَقِيَ عَلَيْهِ مُعَانَاةُ حِفْظِهَا وَٱسْتِقْرَارِهَا لِأَنَّ ٱلْمَعَانِيَ شَوَارِدُ تَضِلُّ بِٱلْإِغْفَالِ. وَٱلْعُلُومَ وَحْشِيَّةٌ تَنْفِرُ بِٱلْإِرْسَالِ. فَإِذَا حَفِظَهَا بَعْدَ ٱلْفَهْمِ أَنِسَتْ. وَإِذَا ذَكَرَهَا بَعْدَ ٱلْأُنْسِ رَسَتْ. وَقَالَ بَعْضُ ٱلْعُلَمَاءِ مَنْ أَكْثَرَ ٱلْمُذَاكَرَةَ بِٱلْعِلْمِ لَمْ يَنْسَ مَا عَلِمَ وَٱسْتَفَادَ مَا لَمْ يَعْلَمْ. وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ

إِذَا لَمْ يُذَاكِرْ ذُو ٱلْعُلُومِ بِعِلْمِهِ ... وَلَمْ يَسْتَفِدْ عِلْمًا نَسِيَ مَا تَعَلَّمَا

فَكَمْ جَامِعٍ لِلْكُتْبِ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ ... يَزِيدُ مَعَ ٱلْأَيَّامِ فِي جَمْعِهِ عَمًى

وَإِنْ لَمْ يَفْهَمْ مَعَانِيَ مَا سَمِعَ كَشَفَ عَنِ ٱلسَّبَبِ ٱلْمَانِعِ مِنْهَا

لِيَعْلَمَ ٱلعِلَّةَ فِي تَعَذُّرِ فَهْمِهَا فَإِنَّ بِمَعْرِفَةِ أَسْبَابِ ٱلْأَشْيَاءِ وَعِلَلِهَا يُوصَلُ إِلَى تَلَافِي مَا شَذَّ وَصَلَاحِ مَا فَسَدَ وَلَيْسَ يَخْلُو ٱلسَّبَبُ ٱلْمَانِعُ مِنْ ذٰلِكَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ إِمَّا أَنْ يَكُونَ لِعِلَّةٍ فِي ٱلْكَلَامِ ٱلْمُتَرْجَمِ عَنْهَا وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ لِعِلَّةٍ فِي ٱلْمَعْنَى ٱلْمُسْتَوْدَعِ فِيهِ وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ لِعِلَّةٍ فِي ٱلسَّامِعِ ٱلْمُسْتَخْرِجِ فَإِنْ كَانَ ٱلسَّبَبُ ٱلْمَانِعُ مِنْ فَهْمِهَا لِعِلَّةٍ فِي ٱلْكَلَامِ ٱلْمُتَرْجَمِ عَنْهَا لَمْ يَخْلُ ذٰلِكَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ

أَحَدُهَا أَنْ يَكُونَ لِتَقْصِيرِ ٱللَّفْظِ عَنِ ٱلْمَعْنَى فَيَصِيرُ تَقْصِيرُ ٱللَّفْظِ عَنْ ذٰلِكَ ٱلْمَعْنَى سَبَبًا مَانِعًا مِنْ فَهْمِ ذٰلِكَ ٱلْمَعْنَى وَهٰذَا يَكُونُ مِنْ أَحَدِ وَجْهَيْنِ. إِمَّا مِنْ حَصَرِ ٱلْمُتَكَلِّمِ وَعِيِّهِ. وَإِمَّا مِنْ بَلَادَتِهِ وَقِلَّةِ فَهْمِهِ

ٱلْحَالُ ٱلثَّانِي أَنْ يَكُونَ لِزِيَادَةِ ٱللَّفْظِ عَلَى ٱلْمَعْنَى فَتَصِيرُ ٱلزِّيَادَةُ عِلَّةً مَانِعَةً مِنْ فَهْمِ ٱلْمَقْصُودِ مِنْهُ وَهٰذَا قَدْ يَكُونُ مِنْ أَحَدِ وَجْهَيْنِ إِمَّا مِنْ هَذَرِ ٱلْمُتَكَلِّمِ وَإِكْثَارِهِ وَإِمَّا لِسُوءِ ظَنِّهِ بِفَهْمِ سَامِعِهِ

وَٱلْحَالُ ٱلثَّالِثُ أَنْ يَكُونَ لِمُوَاضَعَةٍ يَقْصِدُهَا ٱلْمُتَكَلِّمُ بِكَلَامِهِ فَإِذَا لَمْ يَعْرِفْهَا ٱلسَّامِعُ لَمْ يَفْهَمْ مَعَانِيَهُ

وَأَمَّا تَقْصِيرُ ٱللَّفْظِ وَزِيَادَتُهُ فَمِنَ ٱلْأَسْبَابِ ٱلْخَاصَّةِ دُونَ ٱلْعَامَّةِ لِأَنَّكَ لَسْتَ تَجِدُ ذٰلِكَ عَامًّا فِي كُلِّ ٱلْكَلَامِ وَإِنَّمَا تَجِدُهُ فِي بَعْضِهِ. فَإِنْ عَدَلْتَ عَنِ ٱلْكَلَامِ ٱلْمُقَصَّرِ إِلَى ٱلْكَلَامِ ٱلْمُسْتَوْفِي وَعَنِ ٱلزَّائِدِ إِلَى ٱلْكَافِي أَرَحْتَ نَفْسَكَ مِنْ تَكَلُّفِ مَا يَكُدُّ خَاطِرَكَ. وَإِنْ أَقَمْتَ عَلَى ٱسْتِخْرَاجِهِ إِمَّا لِضَرُورَةٍ دَعَتْكَ إِلَيْهِ عِنْدَ إِعْوَازِ غَيْرِهِ أَوْ لِحَمِيَّةٍ دَاخَلَتْكَ عِنْدَ تَعَذُّرِ فَهْمِهِ فَٱنْظُرْ فِي سَبَبِ ٱلزِّيَادَةِ وَٱلتَّقْصِيرِ. فَإِنْ كَانَ ٱلتَّقْصِيرُ لِحَصَرٍ وَٱلزِّيَادَةُ لِهَذَرٍ سَهُلَ عَلَيْكَ ٱسْتِخْرَاجُ ٱلْمَعْنَى مِنْهُ لِأَنَّ مَا لَهُ مِنَ ٱلْكَلَامِ مَحْصُولٌ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ٱلْمُخْتَلُّ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنَ ٱلصَّحِيحِ وَفِي ٱلْأَكْثَرِ عَلَى ٱلْأَقَلِّ دَلِيلٌ. وَإِنْ كَانَتْ زِيَادَةُ ٱللَّفْظِ عَلَى ٱلْمَعْنَى لِسُوءِ ظَنِّ ٱلْمُتَكَلِّمِ بِفَهْمِ ٱلسَّامِعِ كَانَ ٱسْتِخْرَاجُهُ أَسْهَلَ. وَإِنْ كَانَ تَقْصِيرُ ٱللَّفْظِ عَنِ ٱلْمَعْنَى لِسُوءِ فَهْمِ ٱلْمُتَكَلِّمِ فَهُوَ أَصْعَبُ ٱلْأُمُورِ حَالًا وَأَبْعَدُهَا ٱسْتِخْرَاجًا. لِأَنَّ مَا لَمْ يَفْهَمْهُ مُكَلِّمُكَ فَأَنْتَ مِنْ فَهْمِهِ أَبْعَدُ. إِلَّا أَنْ تَكُونَ بِفَرْطِ ذَكَائِكَ وَجُودَةِ خَاطِرِكَ تَتَنَبَّهُ بِإِشَارَتِهِ عَلَى ٱسْتِنْبَاطِ مَا عَجَزَ عَنْهُ وَٱسْتِخْرَاجِ مَا قَصَّرَ فِيهِ فَتَكُونُ فَضِيلَةُ ٱلِٱسْتِيفَاءِ لَكَ وَحَقُّ ٱلتَّقَدُّمِ لَهُ. فَهٰذَا تَعْلِيلُ مَا فِي ٱلْكَلَامِ مِنَ ٱلْأَسْبَابِ ٱلْمَانِعَةِ

مِنْ فَهْمِ مَعَانِيهِ

وَأَمَّا ٱلْمَانِعُ مِنْ حِفْظِهِ بَعْدَ تَصَوُّرِهِ وَفَهْمِهِ فَهُوَ ٱلنِّسْيَانُ ٱلْحَادِثُ عَنْ غَفْلَةِ ٱلتَّقْصِيرِ وَإِهْمَالِ ٱلتَّوَانِي فَيَنْبَغِي لِمَنْ بُلِيَ بِهِ أَنْ يَسْتَدْرِكَ تَقْصِيرَهُ بِكَثْرَةِ ٱلدَّرْسِ وَيُوقِظَ غَفْلَتَهُ بِإِدَامَةِ ٱلنَّظَرِ . فَقَدْ قِيلَ لَا يُدْرِكُ ٱلْعِلْمَ مَنْ لَا يُطِيلُ دَرْسَهُ . وَيَكُدُّ نَفْسَهُ . وَكَثْرَةُ ٱلدَّرْسِ كَدٌّ لَا يَصْبِرُ عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ يَرَى ٱلْعِلْمَ مَغْنَمًا . وَٱلْجَهَالَةَ مَغْرَمًا . فَيَحْتَمِلُ تَعَبَ ٱلدَّرْسِ لِيُدْرِكَ رَاحَةَ ٱلْعِلْمِ وَيَنْفِيَ عَنْهُ مَعَرَّةَ ٱلْجَهْلِ . فَإِنَّ نَيْلَ ٱلْعَظِيمِ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ وَعَلَى قَدْرِ ٱلرَّغْبَةِ تَكُونُ ٱلْمَطَالِبُ وَبِحَسَبِ ٱلرَّاحَةِ يَكُونُ ٱلتَّعَبُ . وَقَدْ قِيلَ طَلَبُ ٱلرَّاحَةِ قِلَّةُ ٱلِاسْتِرَاحَةِ . وَرُبَّمَا ٱسْتَثْقَلَ ٱلْمُتَعَلِّمُ ٱلدَّرْسَ وَٱلْحِفْظَ وَٱتَّكَلَ بَعْدَ فَهْمِ ٱلْمَعَانِي عَلَى ٱلرُّجُوعِ إِلَى ٱلْكُتُبِ وَٱلْمُطَالَعَةِ فِيهَا عِنْدَ ٱلْحَاجَةِ فَلَا يَكُونُ إِلَّا كَمَنْ أَطْلَقَ مَا صَادَهُ ثِقَةً بِٱلْقُدْرَةِ عَلَيْهِ بَعْدَ ٱلِامْتِنَاعِ مِنْهُ فَلَا تُعْقِبُهُ ٱلثِّقَةُ إِلَّا خَجَلًا وَٱلتَّفْرِيطُ إِلَّا نَدَمًا . وَهٰذِهِ حَالٌ قَدْ يَدْعُو إِلَيْهَا أَحَدُ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ . إِمَّا ٱلضَّجَرُ مِنْ مُعَانَاةِ ٱلْحِفْظِ وَمُرَاعَاتِهِ وَطُولُ ٱلْأَمَلِ فِي ٱلتَّوَفُّرِ عَلَيْهِ عِنْدَ نَشَاطِهِ وَفَسَادُ ٱلرَّأْيِ فِي عَزِيمَتِهِ وَلَيْسَ يَعْلَمُ أَنَّ ٱلضَّجُورَ خَائِبٌ

وَأَنَّ ٱلطَّوِيلَ ٱلْأَمَلِ مَغْرُورٌ وَأَنَّ ٱلْفَاسِدَ ٱلرَّأْيِ مُصَابٌ. وَٱلْعَرَبُ تَقُولُ فِي أَمْثَالِهَا حَرْفٌ فِي قَلْبِكَ. خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ فِي كُتُبِكَ. وَقَالَ ٱلشَّافِعِيُّ

عِلْمِي مَعِي حَيْثُمَا يَمَّمْتُ يَنْفَعُنِي
قَلْبِي وِعَاءٌ لَهُ لَا بَطْنُ صُنْدُوقِي
إِنْ كُنْتُ فِي ٱلْبَيْتِ كَانَ ٱلْعِلْمُ فِيهِ مَعِي
أَوْ كُنْتُ فِي ٱلسُّوقِ كَانَ ٱلْعِلْمُ فِي ٱلسُّوقِ

وَرُبَّمَا ٱعْتَنَى ٱلْمُتَعَلِّمُ بِٱلْحِفْظِ مِنْ غَيْرِ تَصَوُّرٍ وَلَا فَهْمٍ حَتَّى يَصِيرَ حَافِظًا لِأَلْفَاظِ ٱلْمَعَانِي قَيِّمًا بِتِلَاوَتِهَا وَهُوَ لَا يَتَصَوَّرُهَا وَلَا يَفْهَمُ مَا تَضَمَّنَهَا. يَرْوِي بِغَيْرِ رَوِيَّةٍ وَيُخْبِرُ عَنْ غَيْرِ خِبْرَةٍ. وَرُبَّمَا ٱعْتَمَدَ عَلَى حِفْظِهِ وَتَصَوُّرِهِ وَأَغْفَلَ تَقْيِيدَ ٱلْعِلْمِ فِي كُتُبِهِ ثِقَةً بِمَا ٱسْتَقَرَّ فِي ذِهْنِهِ. وَهٰذَا خَطَأٌ مِنْهُ لِأَنَّ ٱلشَّكَّ مُعْتَرِضٌ وَٱلنِّسْيَانَ طَارِقٌ. وَقَالَ بَعْضُ ٱلْبُلَغَاءِ إِنَّ هٰذِهِ ٱلْآدَابَ نَوَافِرُ تَنِدُّ عَنْ عَقْلِ ٱلْأَذْهَانِ فَٱجْعَلُوا ٱلْكُتُبَ عَنْهَا حُمَاةً. وَٱلْأَقْلَامَ لَهَا رُعَاةً

وَأَمَّا ٱلشُّرُوطُ ٱلَّتِي يَتَوَفَّرُ بِهَا عِلْمُ ٱلطَّالِبِ وَيَنْتَهِي مَعَهَا كَمَالُ ٱلرَّاغِبِ. مَعَ مَا يُلَاحَظُ بِهِ مِنَ ٱلتَّوْفِيقِ وَيُمَدُّ بِهِ مِنَ

ٱلْمَعُونَةِ فَتِسعَةُ شُرُوطٍ

أَحَدُهَا ٱلْعَقلُ ٱلَّذِي يُدْرِكُ بِهِ حَقَائِقَ ٱلْأُمورِ * وَٱلثَّانِي ٱلْفِطْنَةُ ٱلَّتِي يَتَصوَّرُ بِهَا غَوَامِضَ ٱلْعُلُومِ * وَٱلثَّالِثُ ٱلذَّكَاءُ ٱلَّذِي يَستَقِرُّ بِهِ حِفظُ مَا تَصوَّرَهُ وَفَهْمُ مَا عَلِمَهُ * وَٱلرَّابِعُ ٱلشَّهْوَةُ ٱلَّتِي يَدُومُ بِهَا ٱلطَّلَبُ وَلَا يُسْرِعُ إِلَيْهِ ٱلْمَلَلُ * وَٱلْخَامِسُ ٱلِاكْتِفَاءُ بِمَادَّةٍ تُغْنِيهِ عَنْ كُلَفِ ٱلطَّلَبِ * وَٱلسَّادِسُ ٱلْفَرَاغُ ٱلَّذِي يَكُونُ مَعَهُ ٱلتَّوَفُّرُ وَيَحْصُلُ بِهِ ٱلِاسْتِكْثَارُ * وَٱلسَّابِعُ عَدَمُ ٱلْقَوَاطِعِ ٱلْمُذْهِلَةِ مِنْ هُمُومٍ وَأَمرَاضٍ * وَٱلثَّامِنُ طُولُ ٱلْعُمْرِ وَٱتِّسَاعُ ٱلْمُدَّةِ لِيَنْتَهِيَ بِٱلِاسْتِكْثَارِ إِلَى مَرَاتِبِ ٱلْكَمَالِ * وَٱلتَّاسِعُ ٱلظَّفَرُ بِعَالِمٍ سَمْحٍ بِعِلْمِهِ مُتَأَنٍّ فِي تَعْلِيمِهِ. فَإِذَا ٱسْتَكْمَلَ هٰذِهِ ٱلشُّرُوطَ ٱلتِّسْعَةَ فَهُوَ أَسْعَدُ طَالِبٍ وَأَنْجَحُ مُتَعَلِّمٍ. فَٱحْفَظْ وَبِٱللهِ ٱلتَّوْفِيقُ

ٱلْفَصْلُ ٱلثَّالِثُ

فِي أَوَائِلِ ٱلْعِلْمِ وَمَدَاخِلِهِ

وَٱعْلَمْ أَنَّ لِلْعُلُومِ أَوَائِلَ تُؤَدِّي إِلَى أَوَاخِرِهَا وَمَدَاخِلَ تُفْضِي إِلَى حَقَائِقِهَا. فَلْيَبْتَدِئْ طَالِبُ ٱلْعِلْمِ بِأَوَائِلِهَا لِيَنْتَهِيَ إِلَى

أَواخِرِهَا وَبِمَدَاخِلِهَا لِيُفْضِيَ إِلَى حَقَائِقِهَا. وَلَا يَطْلُبِ ٱلْآخِرَ قَبْلَ ٱلْأَوَّلِ. وَلَا ٱلْحَقِيقَةَ قَبْلَ ٱلْمَدْخَلِ. فَلَا يُدْرِكُ ٱلْآخِرَ وَلَا يَعْرِفُ ٱلْحَقِيقَةَ. لِأَنَّ ٱلْبِنَاءَ عَلَى غَيْرِ اسٍّ لَا يُبْنَى. وَٱلثَّمَرَ مِنْ غَيْرِ غَرْسٍ لَا يُجْنَى

(من كتاب ادب الدنيا والدين)

ٱلْفَصْلُ ٱلرَّابِعُ

فِيمَا يَجِبُ عَلَى ٱلْمُعَلِّمِ وَفِي وَجْهِ ٱلصَّوَابِ فِي تَعْلِيمِ ٱلْعُلُومِ وَطَرِيقِ إِفَادَتِهِ

إِعْلَمْ أَنَّ تَلْقِينَ ٱلْعُلُومِ لِلْمُتَعَلِّمِينَ إِنَّمَا يَكُونُ مُفِيدًا إِذَا كَانَ عَلَى ٱلتَّدْرِيجِ شَيْئًا فَشَيْئًا وَقَلِيلًا قَلِيلًا يُلْقِي عَلَيْهِ أَوَّلًا مَسَائِلَ مِنْ كُلِّ بَابٍ مِنَ ٱلْفَنِّ هِيَ أُصُولُ ذٰلِكَ ٱلْبَابِ وَيُقَرِّبُ لَهُ فِي شَرْحِهَا عَلَى سَبِيلِ ٱلْإِجْمَالِ وَيُرَاعِي فِي ذٰلِكَ قُوَّةَ عَقْلِهِ وَٱسْتِعْدَادَهُ لِقَبُولِ مَا يَرِدُ عَلَيْهِ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى آخِرِ ٱلْفَنِّ وَعِنْدَ ذٰلِكَ يَحْصُلُ لَهُ مَلَكَةٌ فِي ذٰلِكَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا أَنَّهَا جُزْئِيَّةٌ وَضَعِيفَةٌ وَغَايَتُهَا أَنَّهَا هَيَّأَتْهُ لِفَهْمِ ٱلْفَنِّ وَتَحْصِيلِ مَسَائِلِهِ. ثُمَّ يَرْجِعُ بِهِ إِلَى ٱلْفَنِّ ثَانِيَةً فَيَرْفَعُهُ فِي ٱلتَّلْقِينِ عَنْ تِلْكَ ٱلرُّتْبَةِ إِلَى أَعْلَى مِنْهَا وَيَسْتَوْفِي ٱلشَّرْحَ وَٱلْبَيَانَ وَيَخْرُجُ عَنِ ٱلْإِجْمَالِ وَيَذْكُرُ لَهُ مَا هُنَالِكَ مِنَ ٱلْخِلَافِ وَوَجْهِهِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى آخِرِ

ٱلْفَنِّ فَتَجُودُ مَلَكَتُهُ. ثُمَّ يَرْجِعُ بِهِ وَقَدْ شَدَا فَلَا يَتْرُكُ عَوِيصًا وَلَا مُهِمًّا وَلَا مُغْلَقًا إِلَّا وَضَّحَهُ وَفَتَحَ لَهُ مُقْفَلَهُ فَيَخْلُصُ مِنَ ٱلْفَنِّ وَقَدِ ٱسْتَوْلَى عَلَى مَلَكَتِهِ. هٰذَا وَجْهُ ٱلتَّعْلِيمِ ٱلْمُفِيدِ وَهُوَ كَمَا رَأَيْتَ إِنَّمَا يَحْصُلُ فِي ثَلَاثِ تَكْرَارَاتٍ وَقَدْ يَحْصُلُ لِلْبَعْضِ فِي أَقَلَّ مِنْ ذٰلِكَ بِحَسَبِ مَا يُخْلَقُ لَهُ وَيَتَيَسَّرُ عَلَيْهِ. وَقَدْ شَاهَدْنَا كَثِيرًا مِنَ ٱلْمُعَلِّمِينَ لِهٰذَا ٱلْعَهْدِ ٱلَّذِي أَدْرَكْنَا يَجْهَلُونَ طُرُقَ ٱلتَّعْلِيمِ وَإِفَادَتِهِ وَيُحْضِرُونَ ٱلْمُتَعَلِّمَ فِي أَوَّلِ تَعْلِيمِهِ ٱلْمَسَائِلَ ٱلْمُقْفَلَةَ مِنَ ٱلْعِلْمِ وَيُطَالِبُونَهُ بِإِحْضَارِ ذِهْنِهِ فِي حَلِّهَا وَيَحْسَبُونَ ذٰلِكَ مِرَانَةً عَلَى ٱلتَّعْلِيمِ وَصَوَابًا فِيهِ وَيُكَلِّفُونَهُ وَعْيَ ذٰلِكَ وَتَحْصِيلَهُ وَيُخَلِّطُونَ عَلَيْهِ بِمَا يُلْقُونَ لَهُ مِنْ غَايَاتِ ٱلْفُنُونِ فِي مَبَادِئِهَا وَقَبْلَ أَنْ يَسْتَعِدَّ لِفَهْمِهَا. فَإِنَّ قَبُولَ ٱلْعِلْمِ وَٱلِاسْتِعْدَادَاتِ لِفَهْمِهِ تَنْشَأُ تَدْرِيجًا وَيَكُونُ ٱلْمُتَعَلِّمُ أَوَّلَ ٱلْأَمْرِ عَاجِزًا عَنِ ٱلْفَهْمِ بِٱلْجُمْلَةِ إِلَّا فِي ٱلْأَقَلِّ وَعَلَى سَبِيلِ ٱلتَّقْرِيبِ وَٱلْإِجْمَالِ وَبِٱلْأَمْثَالِ ٱلْحِسِّيَّةِ ثُمَّ لَا يَزَالُ ٱلِاسْتِعْدَادُ فِيهِ يَتَدَرَّجُ قَلِيلًا قَلِيلًا بِمُخَالَفَةِ مَسَائِلِ ذٰلِكَ ٱلْفَنِّ وَتَكْرَارِهَا عَلَيْهِ وَٱلِانْتِقَالِ فِيهَا مِنَ ٱلتَّقْرِيبِ إِلَى ٱلِاسْتِيعَابِ ٱلَّذِي فَوْقَهُ حَتَّى تَتِمَّ ٱلْمَلَكَةُ فِي ٱلِاسْتِعْدَادِ ثُمَّ فِي ٱلتَّحْصِيلِ وَيُحِيطَ هُوَ بِمَسَائِلِ ٱلْفَنِّ. وَإِذَا

أُلْقِيَتْ عَلَيْهِ الْغَايَاتُ فِي الْبَدَاءَاتِ وَهُوَ حِينَئِذٍ عَاجِزٌ عَنِ الْفَهْمِ وَالْوَعْيِ وَبَعِيدٌ عَنِ الِاسْتِعْدَادِ لَهُ كَلَّ ذِهْنُهُ عَنْهَا وَحَسِبَ ذَلِكَ مِنْ صُعُوبَةِ الْعِلْمِ فِي نَفْسِهِ فَتَكَاسَلَ عَنْهُ وَانْحَرَفَ عَنْ قَبُولِهِ وَتَمَادَى فِي هِجْرَانِهِ وَإِنَّمَا أَتَى ذَلِكَ مِنْ سُوءِ التَّعْلِيمِ.

وَلَا يَنْبَغِي لِلْمُعَلِّمِ أَنْ يَزِيدَ مُتَعَلِّمَهُ عَلَى فَهْمِ كِتَابِهِ الَّذِي أَكَبَّ عَلَى التَّعَلُّمِ مِنْهُ بِحَسَبِ طَاقَتِهِ وَعَلَى نِسْبَةِ قَبُولِهِ لِلتَّعْلِيمِ مُبْتَدِئًا كَانَ أَوْ مُنْتَهِيًا وَلَا يَخْلِطَ مَسَائِلَ الْكِتَابِ بِغَيْرِهَا حَتَّى يَعِيَهُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ وَيُحَصِّلَ أَغْرَاضَهُ وَيَسْتَوْلِيَ مِنْهُ عَلَى مَلَكَةٍ بِهَا يَنْفُذُ فِي غَيْرِهِ لِأَنَّ الْمُتَعَلِّمَ إِذَا حَصَّلَ مَلَكَةً مَا فِي عِلْمٍ مِنَ الْعُلُومِ اسْتَعَدَّ بِهَا لِقَبُولِ مَا بَقِيَ وَحَصَلَ لَهُ نَشَاطٌ فِي طَلَبِ الْمَزِيدِ وَالنُّهُوضِ إِلَى مَا فَوْقُ حَتَّى يَسْتَوْلِيَ عَلَى غَايَاتِ الْعِلْمِ. وَإِذَا خُلِطَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ عَجَزَ عَنِ الْفَهْمِ وَأَدْرَكَهُ الْكَلَالُ وَانْطَمَسَ فِكْرُهُ وَيَئِسَ مِنَ التَّحْصِيلِ وَهَجَرَ الْعِلْمَ وَالتَّعْلِيمَ. وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ. وَكَذَلِكَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ لَا تُطَوِّلَ عَلَى الْمُتَعَلِّمِ فِي الْفَنِّ الْوَاحِدِ بِتَفْرِيقِ الْمَجَالِسِ وَتَقْطِيعِ مَا بَيْنَهَا لِأَنَّهُ ذَرِيعَةٌ إِلَى النِّسْيَانِ وَانْقِطَاعِ مَسَائِلِ الْفَنِّ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ فَيَعْسُرُ حُصُولُ الْمَلَكَةِ بِتَفْرِيقِهَا. وَإِذَا كَانَتْ أَوَائِلُ

ٱلْعِلْمِ وَأَوَاخِرُهُ حَاضِرَةً عِنْدَ ٱلْفِكْرَةِ مُجَانِبَةً لِلنِّسْيَانِ كَانَتِ ٱلْمَلَكَةُ أَيْسَرَ حُصُولًا وَأَحْكَمَ ٱرْتِبَاطًا وَأَقْرَبَ صِبْغَةً لِأَنَّ ٱلْمَلَكَاتِ إِنَّمَا تَحْصُلُ بِتَتَابُعِ ٱلْفِعْلِ وَتَكْرَارِهِ وَإِذَا تُنُوسِيَ ٱلْفِعْلُ تُنُوسِيَتِ ٱلْمَلَكَةُ ٱلنَّاشِئَةُ عَنْهُ وَٱللهُ عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ. وَمِنَ ٱلْمَذَاهِبِ ٱلْحَمِيدَةِ وَٱلطُّرُقِ ٱلْوَاجِبَةِ فِي ٱلتَّعْلِيمِ أَنْ لَا يُخْلَطَ عَلَى ٱلْمُتَعَلِّمِ عِلْمَانِ مَعًا فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ قَلَّ أَنْ يَظْفَرَ بِوَاحِدٍ مِنْهُمَا لِمَا فِيهِ مِنْ تَقْسِيمِ ٱلْبَالِ وَٱنْصِرَافِهِ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى تَفَهُّمِ ٱلْآخَرِ فَيَسْتَغْلِقَانِ مَعًا وَيَسْتَصْعِبَانِ وَيَعُودُ مِنْهُمَا بِٱلْخَيْبَةِ. وَإِذَا تَفَرَّغَ ٱلْفِكْرُ لِتَعَلُّمِ مَا هُوَ بِسَبِيلِهِ مُقْتَصِرًا عَلَيْهِ فَرُبَّمَا كَانَ ذٰلِكَ أَجْدَرَ لِتَحْصِيلِهِ وَٱللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ٱلْمُوَفِّقُ لِلصَّوَابِ

(عن ابن خلدون)

ٱلْفَصْلُ ٱلْخَامِسُ

في استعمال العلم

قَالَ بَعْضُ ٱلْبُلَغَاءِ ثَمَرَةُ ٱلْعِلْمِ أَنْ يُعْمَلَ بِهِ. وَثَمَرَةُ ٱلْعَمَلِ أَنْ يُؤْجَرَ عَلَيْهِ. وَقِيلَ مِنْ تَمَامِ ٱلْعِلْمِ ٱسْتِعْمَالُهُ. وَمِنْ تَمَامِ ٱلْعَمَلِ ٱسْتِقْلَالُهُ. فَمَنِ ٱسْتَعْمَلَ عِلْمَهُ لَمْ يَخْلُ مِنْ رَشَادٍ.

وَمَنِ ٱسْتَقَلَّ عَمَلَهُ لَمْ يُقَصِّرْ عَنْ مُرَادٍ. وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ ٱلطَّائِيُّ

وَلَمْ يَحْمَدُوا مِنْ عَالِمٍ غَيْرِ عَامِلٍ خَلَاقًا وَلَا مِنْ عَامِلٍ غَيْرِ عَالِمِ

رَأَوْا طُرُقَاتِ ٱلْعَجْزِ عُوجًا قَطِيعَةً وَأَفْظَعُ عَجْزٍ عِنْدَهُمْ عَجْزُ حَازِمِ

وَقِيلَ فِي مَنْثُورِ ٱلْحِكَمِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِعِلْمِهِ مَنْ تَرَكَ ٱلْعَمَلَ بِهِ. وَقِيلَ فِي مَنْثُورِ ٱلْحِكَمِ أَيْضًا ٱلنَّارُ لَا يَنْقُصُهَا مَا أُخِذَ مِنْهَا وَلٰكِنْ يُخْمِدُهَا أَنْ لَا تَجِدَ حَطَبًا كَذٰلِكَ ٱلْعِلْمُ لَا يُفْنِيهِ ٱلْاِقْتِبَاسُ وَلٰكِنَّ فَقْدَ ٱلْحَامِلِينَ لَهُ سَبَبُ عَدَمِهِ. فَإِيَّاكَ وَٱلْبُخْلَ بِمَا تَعْلَمُ

ٱلْفَصْلُ ٱلسَّادِسُ

فِيمَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ ٱلْعُلَمَاءُ مِنَ ٱلْأَخْلَاقِ ٱلْجَدِيرَةِ بِهِمْ

أَمَّا مَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ ٱلْعُلَمَاءُ مِنَ ٱلْأَخْلَاقِ ٱلَّتِي بِهِمْ أَلْيَقُ وَلَهُمْ أَلْزَمُ فَٱلتَّوَاضُعُ وَمُجَانَبَةُ ٱلْعُجْبِ. لِأَنَّ ٱلتَّوَاضُعَ عَطُوفٌ وَٱلْعُجْبَ مُنَفِّرٌ وَهُوَ بِكُلِّ أَحَدٍ قَبِيحٌ وَبِٱلْعُلَمَاءِ أَقْبَحُ لِأَنَّ ٱلنَّاسَ بِهِمْ يَقْتَدُونَ. وَكَثِيرًا مَا يُدَاخِلُهُمُ ٱلْإِعْجَابُ لِتَوَحُّدِهِمْ بِفَضِيلَةِ ٱلْعِلْمِ وَلَوْ أَنَّهُمْ نَظَرُوا حَقَّ ٱلنَّظَرِ وَعَمِلُوا بِمُوجِبِ ٱلْعِلْمِ لَكَانَ ٱلتَّوَاضُعُ بِهِمْ أَوْلَى وَمُجَانَبَةُ ٱلْعُجْبِ بِهِمْ أَحْرَى لِأَنَّ ٱلْعُجْبَ نَقْصٌ يُنَافِي ٱلْفَضْلَ وَيَأْكُلُ ٱلْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ

ٱلنَّارُ ٱلْحَطَبَ فَلَا يَفِي مَا أَدْرَكُوهُ مِنْ فَضِيلَةِ ٱلْعِلْمِ بِمَا لَحِقَهُمْ مِنْ نَقْصِ ٱلْعُجْبِ * وَقَالَ عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ تَعَلَّمُوا ٱلْعِلْمَ وَتَعَلَّمُوا لِلْعِلْمِ ٱلسَّكِينَةَ وَٱلْحِلْمَ وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ تُعَلِّمُونَ وَلْيَتَوَاضَعْ لَكُمْ مَنْ تُعَلِّمُونَهُ وَلَا تَكُونُوا مِنْ جَبَابِرَةِ ٱلْعُلَمَاءِ فَلَا يَقُومُ عِلْمُكُمْ بِجَهْلِكُمْ * وَقَالَ ٱلشَّعْبِيُّ ٱلْعِلْمُ ثَلَاثَةُ أَشْبَارٍ فَمَنْ نَالَ مِنْهُ شِبْرًا شَمَخَ بِأَنْفِهِ وَظَنَّ أَنَّهُ نَالَهُ. وَمَنْ نَالَ ٱلشِّبْرَ ٱلثَّانِيَ صَغُرَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ وَعَلِمَ أَنَّهُ لَمْ يَنَلْهُ. وَأَمَّا ٱلشِّبْرُ ٱلثَّالِثُ فَهَيْهَاتَ لَا يَنَالُهُ أَحَدٌ أَبَدًا

وَمِنْ أَوْضَحِ ذٰلِكَ بَيَانًا ٱسْتِعَاذَةُ ٱلْجَاحِظِ فِي كِتَابِ ٱلْبَيَانِ حَيْثُ يَقُولُ ٱللّٰهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ ٱلْقَوْلِ كَمَا نَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ ٱلْعَمَلِ. وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ ٱلتَّكَلُّفِ لِمَا لَا نُحْسِنُ كَمَا نَعُوذُ بِكَ مِنَ ٱلْعُجْبِ بِمَا نُحْسِنُ. وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ ٱلسَّلَاطَةِ وَٱلْهَذَرِ كَمَا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ ٱلْعِيِّ وَٱلْحَصَرِ * وَقَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ مِنَ ٱلْعِلْمِ أَنْ لَا تَتَكَلَّمَ فِيمَا لَا تَعْلَمُ بِكَلَامِ مَنْ يَعْلَمُ فَحَسْبُكَ جَهْلًا مِنْ عَقْلِكَ أَنْ تَنْطِقَ بِمَا لَا تَفْهَمُ. وَلَقَدْ أَحْسَنَ زُرَارَةُ بْنُ زَيْدٍ حَيْثُ يَقُولُ

إِذَا مَا ٱنْتَهَى عِلْمِي تَنَاهَيْتُ عِنْدَهُ ... أَطَالَ فَأَمْلَى أَوْ تَنَاهَى فَأَقْصَرَا

وَيُخْبِرُنِي عَنْ غَائِبِ ٱلْمَرْءِ فِعْلُهُ
كَفَى ٱلْفِعْلُ عَمَّا غَيَّبَ ٱلْمَرْءُ مُخْبِرَا

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْبُلَغَاءِ مِنْ فَضْلِ عِلْمِكَ ٱسْتِقْلَالُكَ لِعِلْمِكَ وَمِنْ كَمَالِ عَقْلِكَ ٱسْتِظْهَارُكَ عَلَى عَقْلِكَ . وَلَا يَنْبَغِي لِلْعَالِمِ أَنْ يَجْهَلَ مِنْ نَفْسِهِ مَبْلَغَ عِلْمِهَا وَلَا يَتَجَاوَزَ بِهَا قَدْرَ حَقِّهَا وَلَأَنْ يَكُونَ بِهَا مُقَصِّرًا فَيُذْعِنَ بِٱلِٱنْقِيَادِ أَوْلَى مِنْ أَنْ يَكُونَ بِهَا مُجَاوِزًا فَيَكُفَّ عَنِ ٱلِٱزْدِيَادِ لِأَنَّ مَنْ جَهِلَ حَالَ نَفْسِهِ كَانَ لِغَيْرِهَا أَجْهَلَ * وَقَدْ قَسَمَ ٱلْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ أَحْوَالَ ٱلنَّاسِ فِيمَا عَلِمُوهُ أَوْ جَهِلُوهُ أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ مُتَقَابِلَةٍ لَا يَخْلُو ٱلْإِنْسَانُ مِنْهَا . فَقَالَ ٱلرِّجَالُ أَرْبَعَةٌ رَجُلٌ يَدْرِي وَيَدْرِي أَنَّهُ يَدْرِي فَذٰلِكَ عَالِمٌ فَٱسْأَلُوهُ . وَرَجُلٌ يَدْرِي وَلَا يَدْرِي أَنَّهُ يَدْرِي فَذٰلِكَ نَاسٍ فَذَكِّرُوهُ . وَرَجُلٌ لَا يَدْرِي وَيَدْرِي أَنَّهُ لَا يَدْرِي فَذٰلِكَ مُسْتَرْشِدٌ فَأَرْشِدُوهُ . وَرَجُلٌ لَا يَدْرِي وَلَا يَدْرِي أَنَّهُ لَا يَدْرِي فَذٰلِكَ جَاهِلٌ فَٱرْفُضُوهُ * وَأَنْشَدَ أَبُو ٱلْقَاسِمِ ٱلْآمِدِيُّ

إِذَا كُنْتَ لَا تَدْرِي وَلَمْ تَكُ بِٱلَّذِي
يُسَائِلُ مَنْ يَدْرِي فَكَيْفَ إِذَنْ تَدْرِي

(من كتاب ادب الدنيا والدين)

الباب الثاني

وَفِيهِ عَشَرَةُ فُصُولٍ

أَلْفَصْلُ ٱلْأَوَّلُ

فِي أَرْكَانِ ٱلْكِتَابَةِ

إِعْلَمْ أَنَّ أَرْكَانَ ٱلْكِتَابَةِ ٱلَّتِي لَا بُدَّ مِنْ مُرَاعَاتِهَا فِي كُلِّ كِتَابٍ بَلَاغِيٍّ ذِي شَأْنٍ ثَلَاثَةٌ

أَلْأَوَّلُ أَنْ يَكُونَ مَطْلَعُ ٱلْكِتَابِ عَلَيْهِ حِدَّةٌ وَرَشَاقَةٌ فَإِنَّ ٱلْكَاتِبَ مَنْ أَجَادَ ٱلْمَطْلَعَ وَٱلْمَقْطَعَ. أَوْ يَكُونَ مَبْنِيًّا عَلَى مَقْصَدِ ٱلْكِتَابِ وَلِهٰذَا بَابٌ يُسَمَّى بَابَ ٱلْمَبَادِئِ وَٱلِٱفْتِتَاحَاتِ[1] فَلْيُحْذَ حَذْوُهُ وَهٰذَا ٱلرُّكْنُ يَشْتَرِكُ فِيهِ ٱلْكَاتِبُ وَٱلشَّاعِرُ

أَلرُّكْنُ ٱلثَّانِي أَنْ يَكُونَ خُرُوجُ ٱلْكَاتِبِ مِنْ مَعْنًى إِلَى مَعْنًى بِرَابِطَةٍ لِتَكُونَ رِقَابُ ٱلْمَعَانِي آخِذًا بَعْضُهَا بِبَعْضٍ وَلَا تَكُونَ مُقْتَضَبَةً وَلِذٰلِكَ بَابٌ مُفْرَدٌ أَيْضًا يُسَمَّى بَابَ ٱلتَّخَلُّصِ وَٱلِٱقْتِضَابِ[2]. وَهٰذَا ٱلرُّكْنُ أَيْضًا يَشْتَرِكُ فِيهِ ٱلْكَاتِبُ وَٱلشَّاعِرُ

---

١ انظر الفصل الثامن من هذا الباب ٢ انظر الفصل التاسع من هذا الباب

الرُّكْنُ الثَّالِثُ أَنْ تَكُونَ أَلْفَاظُ الْكِتَابِ غَيْرَ مُخْلَقَةٍ بِكَثْرَةِ الاِسْتِعْمَالِ. وَلَا أُرِيدُ بِذٰلِكَ أَنْ تَكُونَ أَلْفَاظًا غَرِيبَةً فَإِنَّ ذٰلِكَ عَيْبٌ فَاحِشٌ بَلْ أُرِيدُ أَنْ تَكُونَ الْأَلْفَاظُ الْمُسْتَعْمَلَةُ مَسْبُوكَةً سَبْكًا غَرِيبًا يَظُنُّ السَّامِعُ أَنَّهَا غَيْرُ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ وَهِيَ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ. وَهُنَاكَ مُعْتَرَكُ الْفَصَاحَةِ الَّذِي تَظْهَرُ فِيهِ الْخَوَاطِرُ بَرَاعَتَهَا وَالْأَقْلَامُ شَجَاعَتَهَا كَمَا قَالَ الْبُحْتُرِيُّ

بِاللَّفْظِ يَقْرُبُ فَهْمُهُ فِي بُعْدِهِ عَنَّا وَيَبْعُدُ نَيْلُهُ فِي قُرْبِهِ

وَهٰذَا الْمَوْضِعُ بَعِيدُ الْمَنَالِ كَثِيرُ الْإِشْكَالِ يَحْتَاجُ إِلَى لُطْفِ ذَوْقٍ وَشَهَامَةِ خَاطِرٍ وَهُوَ شَبِيهٌ بِالشَّيْءِ الَّذِي يُقَالُ إِنَّهُ لَا دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَ الْعَالَمِ. فَلَفْظُهُ هُوَ الَّذِي يُسْتَعْمَلُ وَلَيْسَ بِالَّذِي يُسْتَعْمَلُ أَيْ إِنَّ مُفْرَدَاتِ أَلْفَاظِهِ هِيَ الْمُسْتَعْمَلَةُ الْمَأْلُوفَةُ وَلٰكِنَّ سَبْكَهُ وَتَرْكِيبَهُ هُوَ الْغَرِيبُ الْعَجِيبُ. وَإِذَا سَمَوْتَ أَيُّهَا الْكَاتِبُ إِلَى هٰذِهِ الدَّرَجَةِ وَاسْتَطَعْتَ طَعْمَ هٰذَا الْكَلَامِ الْمُشَارِ إِلَيْهِ عَلِمْتَ حِينَئِذٍ أَنَّهُ كَالرُّوحِ السَّاكِنَةِ فِي بَدَنِكَ الَّتِي قَالَ اللهُ فِيهَا قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي. وَلَيْسَ كُلُّ خَاطِرٍ بِرَاقٍ إِلَى هٰذِهِ الدَّرَجَةِ ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ

يَشَاءُ وَٱللهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ . وَمَعَ هٰذَا فَلَا تَظُنَّ أَيُّهَا ٱلنَّاظِرُ فِي كِتَابِي أَنِّي أَرَدْتُ بِهٰذَا ٱلْقَوْلِ إِهْمَالَ جَانِبِ ٱلْمَعَانِي بِحَيْثُ يُؤْتَى بِٱللَّفْظِ ٱلْمَوْصُوفِ بِصِفَاتِ ٱلْحُسْنِ وَٱلْمَلَاحَةِ وَلَا يَكُونُ تَحْتَهُ مِنَ ٱلْمَعْنَى مَا يُمَاثِلُهُ وَيُسَاوِيهِ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ كَذٰلِكَ كَانَ كَصُورَةٍ حَسَنَةٍ بَدِيعَةٍ فِي حُسْنِهَا إِلَّا أَنَّ صَاحِبَهَا بَلِيدٌ أَبْلَهُ . وَهٰذَا ٱلرُّكْنُ أَيْضًا يَشْتَرِكُ فِيهِ ٱلْكَاتِبُ وَٱلشَّاعِرُ

(انتهى عن المثل السائر ببعض تصرّف)

ٱلْفَصْلُ ٱلثَّانِي

فِي أَدَوَاتِ ٱلْكِتَابَةِ

قَالَ إِبْرٰهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ ٱلشَّيْبَانِيُّ إِنْ كَانَ لَا بُدَّ لَكَ مِنْ طَلَبِ أَدَوَاتِ ٱلْكِتَابَةِ فَتَصَفَّحْ مِنْ رَسَائِلِ ٱلْمُتَقَدِّمِينَ مَا يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ وَمِنْ رَسَائِلِ ٱلْمُتَأَخِّرِينَ مَا يُرْجَعُ إِلَيْهِ وَمِنْ نَوَادِرِ ٱلْكَلَامِ مَا تَسْتَعِينُ بِهِ وَمِنَ ٱلْأَشْعَارِ وَٱلْأَخْبَارِ وَٱلسِّيَرِ وَٱلْأَسْمَاءِ مَا يَتَّسِعُ بِهِ مَنْطِقُكَ وَيَطُولُ بِهِ قَلَمُكَ . وَٱنْظُرْ فِي كُتُبِ ٱلْمَقَامَاتِ وَٱلْخُطَبِ وَمُجَاوَبَةِ ٱلْعَرَبِ فِي حُرُوبِهِمْ وَأَمْثَالِ ٱلْفُرْسِ وَرَسَائِلِهِمْ وَعُهُودِهِمْ وَسِيَرِهِمْ وَوَقَائِعِهِمْ

وَمَكَايِدِهِمْ فِي حُرُوبِهِمْ بَعْدَ أَنْ تَكُونَ مُتَوَسِّطًا عِلْمَ ٱلنَّحْوِ وَٱلْغَرِيبِ وَكُتُبَ ٱلسِّجِلَّاتِ وَٱلْأَمَانَاتِ لِتَكُونَ مَاهِرًا تَنْتَزِعُ آيَ ٱلْقُرْآنِ فِي مَوَاضِعِهَا وَٱخْتِلَافَ ٱلْأَمْثَالِ فِي أَمَاكِنِهَا وَقَرْضَ ٱلشِّعْرِ ٱلْجَيِّدِ وَعِلْمَ ٱلْعَرُوضِ فَإِنَّ تَضْمِينَ ٱلْمَثَلِ ٱلسَّائِرِ وَٱلْبَيْتِ ٱلْغَابِرِ ٱلْبَارِعِ مِمَّا يَزِينُ كِتَابَكَ مَا لَمْ تُخَاطِبْ خَلِيفَةً أَوْ مَلِكًا جَلِيلَ ٱلْقَدْرِ فَإِنَّ ٱجْتِلَابَ ٱلشِّعْرِ فِي كُتُبِ ٱلْخُلَفَاءِ عَيْبٌ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ٱلْكَاتِبُ هُوَ ٱلْقَارِضَ لِلشِّعْرِ وَٱلصَّانِعَ لَهُ فَإِنَّ ذٰلِكَ يَزِيدُ فِي أُبَّهَتِهِ

وَإِذَا ٱحْتَجْتَ إِلَى مُخَاطَبَةِ ٱلْمُلُوكِ وَٱلْوُزَرَاءِ وَٱلْعُلَمَاءِ وَٱلْكُتَّابِ وَٱلْخُطَبَاءِ وَٱلْأُدَبَاءِ وَٱلشُّعَرَاءِ وَأَوْسَاطِ ٱلنَّاسِ وَسُوقَتِهِمْ فَخَاطِبْ كُلًّا عَلَى قَدْرِ أُبَّهَتِهِ وَجَلَالَتِهِ وَعُلُوِّهِ وَٱرْتِفَاعِهِ وَفِطْنَتِهِ وَٱنْتِبَاهِهِ وَتَخَيَّرْ مِنَ ٱلْأَلْفَاظِ أَرْجَحَهَا لَفْظًا وَأَجْزَلَهَا وَأَشْرَفَهَا جَوْهَرًا وَأَكْرَمَهَا حَسَبًا وَأَلْيَقَهَا فِي مَكَانِهَا وَأَشْكَلَهَا فِي مَوْضِعِهَا فَإِنْ حَاوَلْتَ صُنْعَ رِسَالَةٍ فَزِنِ ٱللَّفْظَةَ قَبْلَ أَنْ تُخْرِجَهَا بِمِيزَانِ ٱلتَّصْرِيفِ إِذَا عَرَضْتَ وَعَايِرِ ٱلْكَلِمَةَ بِمِعْيَارِهَا إِذَا سَنَحَتْ فَإِنَّهُ رُبَّمَا مَرَّ بِكَ مَوْضِعٌ يَكُونُ مَخْرَجُ ٱلْكَلَامِ فِيهِ إِذَا كَتَبْتَ أَنَا فَاعِلٌ أَحْسَنَ مِنْ أَنْ تَكْتُبَ أَنَا

أَفْعَلُ وَمَوْضِعٌ آخَرُ يَكُونُ فِيهِ اسْتَفْعَلْتُ أَحْلَى مِنْ فَعَلْتُ . فَأَدِرِ الْكَلَامَ عَلَى أَمَاكِنِهِ وَقَلِّبْهُ عَلَى جَمِيعِ وُجُوهِهِ فَأَيُّ لَفْظَةٍ رَأَيْتَهَا لَائِقَةً بِالْمَكَانِ الَّذِي نَدَبْتَهَا إِلَيْهِ فَانْزِعْهَا إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي أَرَدْتَهَا لَهُ وَأَوْقِعْهَا فِيهِ وَلَا تَجْعَلِ اللَّفْظَةَ قَلِقَةً فِي مَوْضِعِهَا نَافِرَةً عَنْ مَكَانِهَا فَإِنَّكَ مَتَى فَعَلْتَ هَجَّنْتَ الْمَوْضِعَ الَّذِي حَاوَلْتَ تَحْسِينَهُ وَأَفْسَدْتَ الْمَكَانَ الَّذِي أَرَدْتَ إِصْلَاحَهُ . فَإِنَّ وَضْعَ الْأَلْفَاظِ فِي غَيْرِ أَمَاكِنِهَا وَقَصْدَكَ بِهَا إِلَى غَيْرِ مَصَابِّهَا إِنَّمَا هُوَ كَتَرْقِيعِ الثَّوْبِ الَّذِي لَمْ تُشَابِهْهُ رِقَاعُهُ وَلَمْ تَتَقَارَبْ أَجْزَاؤُهُ وَخَرَجَ مِنْ حَدِّ الْجِدَّةِ وَتَغَيَّرَ حُسْنُهُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ

إِنَّ الْجَدِيدَ إِذَا مَا زِيدَ فِي خَلَقٍ
يُبِينُ لِلنَّاسِ أَنَّ الثَّوْبَ مَرْقُوعُ

كَذَلِكَ كُلَّمَا أَحْلَوْلَى الْكَلَامُ وَعَذُبَ وَرَاقَ وَسَهُلَتْ مَخَارِجُهُ كَانَ أَسْهَلَ وُلُوجًا فِي الْأَسْمَاعِ وَأَشَدَّ اتِّصَالًا بِالْقُلُوبِ وَأَخَفَّ عَلَى الْأَفْوَاهِ وَلَاسِيَّمَا إِنْ كَانَ الْمَعْنَى الْبَدِيعُ مُتَرْجَمًا بِلَفْظٍ مُونِقٍ شَرِيفٍ وَمُعَايَرًا بِكَلَامٍ عَذْبٍ لَمْ يَسِمْهُ التَّكْلِيفُ بِمِيسَمِهِ وَلَمْ يُفْسِدْهُ التَّعْقِيدُ بِاسْتِهْلَاكِهِ

وَقَدْ رَأَيْتَهُمْ شَبَّهُوا ٱلْمَعْنَى ٱلْخَفِيَّ بِٱلرُّوحِ ٱلْخَفِيِّ وَٱللَّفْظَ ٱلظَّاهِرَ بِٱلْجُثْمَانِ ٱلظَّاهِرِ وَإِذَا لَمْ يَنْهَضْ بِٱلْمَعْنَى ٱلشَّرِيفِ ٱلْجَزْلِ لَفْظٌ شَرِيفٌ جَزْلٌ لَمْ تَكُنِ ٱلْعِبَارَةُ وَاضِحَةً وَلَا ٱلنِّظَامُ مُتَّسِقًا وَتَضَاءَلَ ٱلْمَعْنَى ٱلْحَسَنُ تَحْتَ ٱللَّفْظِ ٱلْقَبِيحِ كَتَضَاؤُلِ ٱلْحَسْنَاءِ فِي ٱلْأَطْمَارِ ٱلرَّثَّةِ (انتهى ملخصاً عن العقد الفريد)

اَلْفَصْلُ ٱلثَّالِثُ

فِي ٱلصِّنَاعَةِ ٱللَّفْظِيَّةِ وَهِيَ قِسْمَانِ

اَلْقِسْمُ ٱلْأَوَّلُ

فِي ٱللَّفْظَةِ ٱلْمُفْرَدَةِ

إِعْلَمْ أَنَّهُ يَحْتَاجُ صَاحِبُ هٰذِهِ ٱلصِّنَاعَةِ فِي تَأْلِيفِهِ إِلَى ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ. اَلْأَوَّلُ مِنْهَا ٱخْتِيَارُ ٱلْأَلْفَاظِ ٱلْمُفْرَدَةِ. وَحُكْمُ ذٰلِكَ حُكْمُ ٱللَّآلِئِ ٱلْمُبَدَّدَةِ فَإِنَّهَا تُتَخَيَّرُ وَتُنْتَقَى قَبْلَ ٱلنَّظْمِ. اَلثَّانِي نَظْمُ كُلِّ كَلِمَةٍ مَعَ أُخْتِهَا فِي ٱلْمُشَاكَلَةِ لَهَا لِئَلَّا يَجِيءَ ٱلْكَلَامُ قَلِقًا نَافِرًا عَنْ مَوَاضِعِهِ وَحُكْمُ ذٰلِكَ حُكْمُ ٱلْعِقْدِ ٱلْمَنْظُومِ فِي ٱقْتِرَانِ كُلِّ لُؤْلُؤَةٍ مِنْهُ بِأُخْتِهَا ٱلْمُشَاكِلَةِ لَهَا. اَلثَّالِثُ ٱلْغَرَضُ

ٱلْمَقْصُودُ مِنْ ذٰلِكَ ٱلْكَلَامِ عَلَى ٱخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِ وَحُكْمُ ذٰلِكَ حُكْمُ ٱلْمَوْضِعِ ٱلَّذِي يُوضَعُ فِيهِ ٱلْعِقْدُ ٱلْمَنْظُومُ فَتَارَةً يُجْعَلُ إِكْلِيلاً عَلَى ٱلرَّأْسِ وَتَارَةً يُجْعَلُ قِلَادَةً فِي ٱلْعُنُقِ وَتَارَةً يُجْعَلُ شَنْفًا فِي ٱلْأُذُنِ وَلِكُلِّ مَوْضِعٍ مِنْ هٰذِهِ ٱلْمَوَاضِعِ هَيْئَةٌ مِنَ ٱلْحُسْنِ تَخُصُّهُ. فَهٰذِهِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ لَا بُدَّ لِلْخَطِيبِ وَٱلشَّاعِرِ مِنَ ٱلْعِنَايَةِ بِهَا وَهِيَ ٱلْأَصْلُ ٱلْمُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي تَأْلِيفِ ٱلْكَلَامِ مِنَ ٱلنَّظْمِ وَٱلنَّثْرِ. فَٱلْأَوَّلُ وَٱلثَّانِي مِنْ هٰذِهِ ٱلثَّلَاثَةِ ٱلْمَذْكُورَةِ هُمَا ٱلْمُرَادُ بِٱلْفَصَاحَةِ. وَٱلثَّلَاثَةُ بِجُمْلَتِهَا هِيَ ٱلْمُرَادُ بِٱلْبَلَاغَةِ. وَهٰذَا ٱلْمَوْضِعُ يَضِلُّ فِي سُلُوكِ طَرِيقِهِ ٱلْعُلَمَاءُ بِصِنَاعَةِ صَوْغِ ٱلْكَلَامِ مِنَ ٱلنَّظْمِ وَٱلنَّثْرِ فَكَيْفَ ٱلْجُهَّالُ ٱلَّذِينَ لَمْ تَنْفَحْهُمْ رَائِحَتُهُ. وَمَنِ ٱلَّذِي يُؤْتِيهِ ٱللّٰهُ فِطْرَةً نَاصِعَةً يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى أَسْرَارِ مَا يَسْتَعْمِلُهُ مِنَ ٱلْأَلْفَاظِ فَيَضَعَهَا فِي مَوَاضِعِهَا

وَقَدْ ذَكَرَ مَنْ تَقَدَّمَنِي مِنْ عُلَمَاءِ ٱلْبَيَانِ لِلْأَلْفَاظِ ٱلْمُفْرَدَةِ خَصَائِصَ وَهَيْئَاتٍ تَتَّصِفُ بِهَا وَٱخْتَلَفُوا فِي ذٰلِكَ وَٱسْتَحْسَنَ أَحَدُهُمْ شَيْئًا فَخُولِفَ فِيهِ وَكَذٰلِكَ ٱسْتَقْبَحَ ٱلْآخَرُ شَيْئًا فَخُولِفَ فِيهِ. وَلَوْ حَقَّقُوا ٱلنَّظَرَ وَوَقَفُوا عَلَى ٱلسِّرِّ فِي ٱتِّصَافِ بَعْضِ

ٱلْأَلْفَاظِ بِٱلْحُسْنِ وَبَعْضِهَا بِٱلْقُبْحِ لَمَا كَانَ بَيْنَهُمْ خِلَافٌ فِي شَيْءٍ مِنْهَا. وَقَدْ أَشَرْتُ إِلَى ذٰلِكَ فِي ٱلْفَصْلِ ٱلثَّامِنِ مِنْ مُقَدِّمَةِ كِتَابِي هٰذَا ٱلَّذِي يَشْتَمِلُ عَلَى ذِكْرِ ٱلْفَصَاحَةِ[1] وَفِي ٱلْوُقُوفِ عَلَيْهِ وَٱلْإِحَاطَةِ بِهِ غِنًى عَنْ غَيْرِهِ. وَلٰكِنْ لَا بُدَّ أَنْ نَذْكُرَ هٰهُنَا تَفْصِيلًا لِمَا أَجْمَلْنَاهُ هُنَاكَ لِأَنَّا ذَكَرْنَا فِي ذٰلِكَ ٱلْفَصْلِ أَنَّ ٱلْأَلْفَاظَ دَاخِلَةٌ فِي حَيِّزِ ٱلْأَصْوَاتِ لِأَنَّهَا مُرَكَّبَةٌ مِنْ مَخَارِجِ ٱلْحُرُوفِ فَمَا ٱسْتَلَذَّهُ ٱلسَّمْعُ مِنْهَا فَهُوَ ٱلْحَسَنُ وَمَا كَرِهَهُ وَنَبَا عَنْهُ فَهُوَ ٱلْقَبِيحُ. وَإِذَا ثَبَتَ ذٰلِكَ فَلَا حَاجَةَ إِلَى مَا ذُكِرَ مِنْ تِلْكَ ٱلْخَصَائِصِ وَٱلْهَيْئَاتِ ٱلَّتِي أَوْرَدَهَا عُلَمَاءُ ٱلْبَيَانِ فِي كُتُبِهِمْ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ ٱللَّفْظُ لَذِيذًا فِي ٱلسَّمْعِ كَانَ حَسَنًا وَإِذَا كَانَ حَسَنًا دَخَلَتْ تِلْكَ ٱلْخَصَائِصُ وَٱلْهَيْئَاتُ فِي ضِمْنِ حُسْنِهِ

وَقَدْ رَأَيْتُ جَمَاعَةً مِنَ ٱلْجُهَّالِ إِذَا قِيلَ لِأَحَدِهِمْ إِنَّ هٰذِهِ ٱللَّفْظَةَ حَسَنَةٌ وَهٰذِهِ قَبِيحَةٌ أَنْكَرَ ذٰلِكَ وَقَالَ كُلُّ ٱلْأَلْفَاظِ حَسَنٌ وَٱلْوَاضِعُ لَمْ يَضَعْ إِلَّا حَسَنًا وَمَنْ يَبْلُغْ جَهْلُهُ إِلَى أَنْ لَا يُفَرِّقَ بَيْنَ لَفْظَةِ ٱلْغُصْنِ وَلَفْظَةِ ٱلْعُسْلُوجِ وَبَيْنَ لَفْظَةِ

---

١ انظر الفصل السابع من هذا الباب

ٱلْمُدَامَةِ وَلَفْظَةِ ٱلْإِسْفَنْطِ وَبَيْنَ لَفْظَةِ ٱلسَّيْفِ وَلَفْظَةِ ٱلْخَنْشَلِيلِ وَبَيْنَ لَفْظَةِ ٱلْأَسَدِ وَلَفْظَةِ ٱلْفَدَوْكَسِ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُخَاطَبَ بِخِطَابٍ وَلَا يُجَاوَبَ بِجَوَابٍ

وَقَدْ بَقِيَتْ هُنَاكَ أَوْصَافٌ أُخَرُ يَنْبَغِي أَنْ يُنَبَّهَ عَلَيْهَا. فَمِنْهَا أَنْ لَا تَكُونَ ٱلْكَلِمَةُ وَحْشِيَّةً. وَقَدْ خَفِيَ ٱلْوَحْشِيُّ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ ٱلْمُنْتَمِينَ إِلَى صِنَاعَةِ ٱلنَّظْمِ وَٱلنَّثْرِ وَظَنُّوهُ ٱلْمُسْتَقْبَحَ مِنَ ٱلْأَلْفَاظِ وَلَيْسَ كَذٰلِكَ بَلِ ٱلْوَحْشِيُّ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ أَحَدُهُمَا غَرِيبٌ حَسَنٌ وَٱلْآخَرُ غَرِيبٌ قَبِيحٌ وَذٰلِكَ أَنَّهُ مَنْسُوبٌ إِلَى ٱسْمِ ٱلْوَحْشِ ٱلَّذِي يَسْكُنُ ٱلْقِفَارَ وَلَيْسَ بِأَنِيسٍ وَكَذٰلِكَ ٱلْأَلْفَاظُ ٱلَّتِي لَمْ تَكُنْ مَأْنُوسَةَ ٱلِٱسْتِعْمَالِ. وَلَيْسَ مِنْ شَرْطِ ٱلْوَحْشِ أَنْ يَكُونَ مُسْتَقْبَحًا بَلْ أَنْ يَكُونَ نَافِرًا لَا يَأْلَفُ ٱلْإِنْسَ فَتَارَةً يَكُونُ حَسَنًا وَتَارَةً يَكُونُ قَبِيحًا. وَعَلَى هٰذَا فَإِنَّ أَحَدَ قِسْمَيِ ٱلْوَحْشِيِّ وَهُوَ ٱلْغَرِيبُ ٱلْحَسَنُ يَخْتَلِفُ بِٱخْتِلَافِ ٱلنِّسَبِ وَٱلْإِضَافَاتِ. وَأَمَّا ٱلْقِسْمُ ٱلْآخَرُ مِنَ ٱلْوَحْشِيِّ ٱلَّذِي هُوَ قَبِيحٌ فَإِنَّ ٱلنَّاسَ فِي ٱسْتِقْبَاحِهِ سَوَاءٌ وَلَا يَخْتَلِفُ فِيهِ عَرَبِيٌّ بَادٍ وَلَا قَرَوِيٌّ مُتَحَضِّرٌ. وَأَحْسَنُ ٱلْأَلْفَاظِ مَا كَانَ مَأْلُوفًا مُتَدَاوَلًا لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَأْلُوفًا مُتَدَاوَلًا إِلَّا لِمَكَانِ حُسْنِهِ وَقَدْ تَقَدَّمَ ٱلْكَلَامُ عَلَى

ذٰلِكَ فِي بَابِ ٱلْفَصَاحَةِ[1]. فَإِنَّ أَرْبَابَ ٱلْخَطَابَةِ وَٱلشِّعْرِ نَظَرُوا إِلَى ٱلْأَلْفَاظِ وَنَقَّبُوا عَنْهَا ثُمَّ عَدَلُوا إِلَى ٱلْأَحْسَنِ مِنْهَا فَٱسْتَعْمَلُوهُ وَتَرَكُوا مَا سِوَاهُ وَهُوَ أَيْضًا يَتَفَاوَتُ فِي دَرَجَاتِ حُسْنِهِ فَٱلْأَلْفَاظُ إِذَنْ تَنْقَسِمُ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ قِسْمَانِ حَسَنَانِ وَقِسْمٌ قَبِيحٌ. فَٱلْقِسْمَانِ ٱلْحَسَنَانِ أَحَدُهُمَا مَا تَدَاوَلَ ٱسْتِعْمَالَهُ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ مِنَ ٱلزَّمَنِ ٱلْقَدِيمِ إِلَى زَمَانِنَا هٰذَا وَلَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ أَنَّهُ وَحْشِيٌّ. وَٱلْآخَرُ مَا تَدَاوَلَ ٱسْتِعْمَالَهُ ٱلْأَوَّلُ دُونَ ٱلْآخِرِ وَيَخْتَلِفُ فِي ٱسْتِعْمَالِهِ بِٱلنِّسْبَةِ إِلَى ٱلزَّمَنِ وَأَهْلِهِ وَهٰذَا هُوَ ٱلَّذِي لَا يُعَابُ ٱسْتِعْمَالُهُ عِنْدَ ٱلْعَرَبِ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ وَحْشِيًّا وَهُوَ عِنْدَنَا وَحْشِيٌّ. وَقَدْ تَضَمَّنَ ٱلْقُرْآنُ ٱلْكَرِيمُ مِنْهُ كَلِمَاتٍ مَعْدُودَةً وَهِيَ ٱلَّتِي يُطْلَقُ عَلَيْهَا غَرِيبُ ٱلْقُرْآنِ. وَكَذٰلِكَ تَضَمَّنَ ٱلْحَدِيثُ ٱلنَّبَوِيُّ مِنْهُ شَيْئًا وَهُوَ ٱلَّذِي يُطْلَقُ عَلَيْهِ غَرِيبُ ٱلْحَدِيثِ

وَلَا يَسْبِقْ وَهْمُكَ أَيُّهَا ٱلْمُتَأَمِّلُ إِلَى قَوْلِ ٱلْقَائِلِ ٱلَّذِي غَلَبَ عَلَيْهِ غِلَظُ ٱلطَّبْعِ وَفَجَاجَةُ ٱلذِّهْنِ بِأَنَّ ٱلْعَرَبَ كَانَتْ تَسْتَعْمِلُ مِنَ ٱلْأَلْفَاظِ كَذَا وَكَذَا فَهٰذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ حَسَنٌ بَلْ

---

1 انظر الفصل السابع من هذا الباب

يَنبَغِي أَنْ تَعلَمَ أَنَّ ٱلَّذِي نَستَحسِنُهُ نَحْنُ فِي زَمَانِنَا هٰذَا هُوَ ٱلَّذِي كَانَ عِندَ ٱلْعَرَبِ مُسْتَحسَنًا وَٱلَّذِي نَستَقبِحُهُ هُوَ ٱلَّذِي كَانَ عِندَهُمْ مُستَقبَحًا. وَٱلِاستِعمَالُ لَيسَ بِدَلِيلٍ عَلَى ٱلْحُسْنِ فَإِنَّا نَحْنُ نَستَعمِلُ ٱلْآنَ مِنَ ٱلْكَلَامِ مَا لَيْسَ بِحَسَنٍ وَإِنَّمَا نَستَعمِلُهُ لِضَرُورَةٍ فَلَيسَ ٱستِعمَالُ ٱلْحَسَنِ بِمُمكِنٍ فِي كُلِّ ٱلْأَحوَالِ. وَهٰذَا طَرِيقٌ يَضِلُّ بِغَيْرِ ٱلْعَارِفِ بِمَسَالِكِهِ وَمَنْ لَمْ يَعرِفْ صِنَاعَةَ ٱلنَّظْمِ وَٱلنَّثْرِ وَمَا يَجِدُهُ صَاحِبُهَا مِنَ ٱلْكُلْفَةِ فِي صَوْغِ ٱلْأَلْفَاظِ وَٱختِيَارِهَا فَإِنَّهُ مَعذُورٌ فِي أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ

لَا يَعرِفُ ٱلشَّوقَ إِلَّا مَنْ يُكَابِدُهُ وَلَا ٱلصَّبَابَةَ إِلَّا مَنْ يُعَانِيهَا

وَمَعَ هٰذَا فَإِنَّ قَوْلَ ٱلْقَائِلِ بِأَنَّ ٱلْعَرَبَ كَانَتْ تَستَعمِلُ مِنَ ٱلْأَلْفَاظِ كَذَا وَكَذَا وَهٰذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ حَسَنٌ قَولٌ فَاسِدٌ لَا يَصْدُرُ إِلَّا عَنْ جَاهِلٍ فَإِنَّ ٱستِحسَانَ ٱلْأَلْفَاظِ وَٱستِقبَاحَهَا لَا يُؤْخَذُ بِٱلتَّقْلِيدِ مِنَ ٱلْعَرَبِ لِأَنَّهُ شَيْءٌ لَيْسَ لِلتَّقْلِيدِ فِيهِ مَجَالٌ وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ لَهُ خَصَائِصُ وَهَيْئَاتٌ وَعَلَامَاتٌ إِذَا وُجِدَتْ عُلِمَ حُسْنُهُ مِنْ قُبْحِهِ وَقَدْ تَقَدَّمَ ٱلْكَلَامُ عَلَى ذٰلِكَ فِي بَابِ ٱلْفَصَاحَةِ وَٱلْبَلَاغَةِ. وَأَمَّا ٱلَّذِي تُقَلِّدُ ٱلْعَرَبَ فِيهِ مِنَ ٱلْأَلْفَاظِ فَإِنَّمَا هُوَ ٱلِاستِشهَادُ بِأَشعَارِهَا عَلَى مَا يُنقَلُ مِنْ لُغَتِهَا وَٱلْأَخذُ

بِأَقْوَالِهَا فِي ٱلْأَوْضَاعِ ٱلنَّحْوِيَّةِ فِي رَفْعِ ٱلْفَاعِلِ وَنَصْبِ ٱلْمَفْعُولِ وَجَرِّ ٱلْمُضَافِ إِلَيْهِ وَجَزْمِ ٱلشَّرْطِ وَأَشْبَاهِ ذٰلِكَ وَمَا عَدَاهُ فَلَا . وَحُسْنُ ٱلْأَلْفَاظِ وَقُبْحُهَا لَيْسَ إِضَافِيًّا إِلَى زَيْدٍ دُونَ عَمْرٍو أَوْ إِلَى عَمْرٍو دُونَ زَيْدٍ لِأَنَّهُ وَصْفٌ ذَوَوِيٌّ لَا يَتَغَيَّرُ بِٱلْإِضَافَةِ . أَلَا تَرَى أَنَّ لَفْظَةَ ٱلْمُزْنَةِ مَثَلًا حَسَنَةٌ عِنْدَ ٱلنَّاسِ كَافَّةً مِنَ ٱلْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ وَهَلُمَّ جَرًّا لَا يَخْتَلِفُ أَحَدٌ فِي حُسْنِهَا . وَكَذٰلِكَ لَفْظَةُ ٱلْبُعَاقِ فَإِنَّهَا قَبِيحَةٌ عِنْدَ ٱلنَّاسِ كَافَّةً مِنَ ٱلْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ فَإِذَا ٱسْتَعْمَلَتْهَا ٱلْعَرَبُ لَا يَكُونُ ٱسْتِعْمَالُهُمْ إِيَّاهَا مُخْرِجًا لَهَا عَنِ ٱلْقُبْحِ وَلَا يُلْتَفَتُ إِذَنْ إِلَى ٱسْتِعْمَالِهِمْ إِيَّاهَا بَلْ يُعَابُ مُسْتَعْمِلُهَا وَيُغَلَّظُ لَهُ ٱلنَّكِيرُ حَيْثُ ٱسْتَعْمَلَهَا

فَلَا تَظُنَّنَّ أَنَّ ٱلْوَحْشِيَّ مِنَ ٱلْأَلْفَاظِ مَا يَكْرَهُهُ سَمْعُكَ وَيَثْقُلُ عَلَيْكَ ٱلنُّطْقُ بِهِ وَإِنَّمَا هُوَ ٱلْغَرِيبُ ٱلَّذِي يَقِلُّ ٱسْتِعْمَالُهُ فَتَارَةً يَخِفُّ عَلَى سَمْعِكَ وَلَا تَجِدُ بِهِ كَرَاهَةً وَتَارَةً يَثْقُلُ عَلَى سَمْعِكَ وَتَجِدُ مِنْهُ ٱلْكَرَاهَةَ . وَذٰلِكَ فِي ٱللَّفْظِ عَيْبَانِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ غَرِيبُ ٱلِاسْتِعْمَالِ وَٱلْآخَرُ أَنَّهُ ثَقِيلٌ عَلَى ٱلسَّمْعِ كَرِيهٌ عَلَى ٱلذَّوْقِ . وَإِذَا كَانَ ٱللَّفْظُ بِهٰذِهِ ٱلصِّفَةِ فَلَا مَزِيدَ عَلَى فَظَاظَتِهِ وَغِلَاظَتِهِ وَهُوَ ٱلَّذِي يُسَمَّى ٱلْوَحْشِيَّ ٱلْغَلِيظَ وَيُسَمَّى

أَيضًا ٱلْمُتَوَعِّرِ وَلَيْسَ وَرَآءَهُ فِي ٱلْقُبْحِ دَرَجَةٌ أخْرَى وَلَا يَسْتَعْمِلُهُ إِلَّا أَجْهَلُ ٱلنَّاسِ مِمَّنْ لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِهِ شَيْءٌ مِنْ مَعْرِفَةِ هٰذَا ٱلْفَنِّ أَصْلًا. فَإِنْ قِيلَ فَمَا هٰذَا ٱلنَّوْعُ مِنَ ٱلْأَلْفَاظِ. قُلْتُ قَدْ ثَبتَ لَكَ أَنَّهُ مَا كَرِهَهُ سَمْعُكَ وَثَقُلَ عَلَى لِسَانِكَ ٱلنُّطْقُ بِهِ. وَسَأَضْرِبُ لَكَ فِي ذٰلِكَ مِثَالًا فَمِنْهُ مَا وَرَدَ لِتَأَبَّطَ شَرًّا فِي كِتَابِ ٱلْحَمَاسَةِ

يَظَلُّ بِمَوْمَاةٍ وَيُمْسِي بِغَيْرِهَا

جَحِيشًا وَيَعْرَوْرِي ظُهُورَ ٱلْمَسَالِكِ

فَإِنَّ لَفْظَةَ جَحِيشٍ مِنَ ٱلْأَلْفَاظِ ٱلْمُنْكَرَةِ ٱلْقَبِيحَةِ. وَيَا لِلّٰهِ ٱلْعَجَبُ أَلَيْسَ أَنَّهَا بِمَعْنَى فَرِيدٍ وَفَرِيدٌ لَفْظَةٌ حَسَنَةٌ رَائِقَةٌ وَلَوْ وُضِعَتْ فِي هٰذَا ٱلْبَيْتِ مَوْضِعَ جَحِيشٍ لَمَا ٱخْتَلَّ شَيْءٌ مِنْ وَزْنِهِ. فَتَأَبَّطَ شَرًّا مَلُومٌ مِنْ وَجْهَيْنِ فِي هٰذَا ٱلْمَوْضِعِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ ٱسْتَعْمَلَ ٱلْقَبِيحَ وَٱلْآخَرُ أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ مَنْدُوحَةٌ عَنِ ٱسْتِعْمَالِهِ فَلَمْ يَعْدِلْ عَنْهُ. وَمِمَّا هُوَ أَقْبَحُ مِنْهَا مَا وَرَدَ لِأَبِي تَمَّامٍ قَوْلُهُ

قَدْ قُلْتُ لَمَّا ٱطْلَخَمَّ ٱلْأَمْرُ وَٱنْبَعَثَتْ

عَشْوَاءُ تَالِيَةٌ غُبْسًا دَهَارِيسَا

فَلَفْظَةُ ٱطْلَخَمَّ مِنَ ٱلْأَلْفَاظِ ٱلْمُنْكَرَةِ ٱلَّتِي جَمَعَتِ ٱلْوَصْفَيْنِ

ٱلْقَبِيحَيْنِ فِي أَنَّهَا غَرِيبَةٌ وَأَنَّهَا غَلِيظَةٌ فِي ٱلسَّمْعِ كَرِيهَةٌ عَلَى ٱلذَّوْقِ . وَكَذٰلِكَ لَفْظَةُ دَهَارِيسَ أَيْضًا . وَعَلَى هٰذَا وَرَدَ قَوْلُهُ مِنْ أَبْيَاتٍ يَصِفُ فَرَسًا مِنْ جُمْلَتِهَا

نِعْمَ مَتَاعُ ٱلدُّنْيَا حَبَاكَ بِهِ   أَرْوَعُ لَا جَيْدَرٌ وَلَا جِبْسُ

فَلَفْظَةُ جَيْدَرٍ غَلِيظَةٌ . وَأَغْلَظُ مِنْهَا قَوْلُ أَبِي ٱلطَّيِّبِ ٱلْمُتَنَبِّي

جَفَخَتْ وَهُمْ لَا يَجْفَخُونَ بِهَا بِهِمْ
شِيَمٌ عَلَى ٱلْحَسَبِ ٱلْأَغَرِّ دَلَائِلُ

فَإِنَّ لَفْظَةَ جَفَخَ مُرَّةُ ٱلطَّعْمِ وَإِذَا مَرَّتْ عَلَى ٱلسَّمْعِ ٱقْشَعَرَّ مِنْهَا وَأَبُو ٱلطَّيِّبِ فِي ٱسْتِعْمَالِهَا كَٱسْتِعْمَالِ تَأَبَّطَ شَرًّا لَفْظَةَ جَحِيشٍ . فَإِنَّ تَأَبَّطَ شَرًّا كَانَتْ لَهُ مَنْدُوحَةٌ عَنِ ٱسْتِعْمَالِ تِلْكَ ٱللَّفْظَةِ كَمَا أَشَرْنَا إِلَيْهِ فِيمَا تَقَدَّمَ وَكَذٰلِكَ أَبُو ٱلطَّيِّبِ فِي ٱسْتِعْمَالِ هٰذِهِ ٱللَّفْظَةِ ٱلَّتِي هِيَ جَفَخَتْ فَإِنَّ مَعْنَاهَا فَخَرَتْ وَٱلْجَفْخُ ٱلْفَخْرُ يُقَالُ جَفَخَ فُلَانٌ إِذَا فَخَرَ وَلَوِ ٱسْتَعْمَلَ عِوَضًا عَنْ جَفَخَتْ فَخَرَتْ لَٱسْتَقَامَ وَزْنُ ٱلْبَيْتِ وَحَظِيَ فِي ٱسْتِعْمَالِهِ بِٱلْأَحْسَنِ وَمَا أَعْلَمُ كَيْفَ يَذْهَبُ هٰذَا وَأَمْثَالُهُ عَلَى مِثْلِ هٰؤُلَاءِ ٱلْفُحُولِ مِنَ ٱلشُّعَرَاءِ . وَهٰذَا ٱلَّذِي ذَكَرْتُهُ وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهُ مِنَ ٱلْأَلْفَاظِ هُوَ ٱلْوَحْشِيُّ ٱلْغَلِيظُ ٱلَّذِي لَيْسَ لَهُ مَا يُدَانِيهِ فِي قُبْحِهِ

وَكَرَاهَتِهِ وَهٰذِهِ ٱلْأَمْثِلَةُ دَلِيلٌ عَلَى مَا أَرَدْنَاهُ. وَٱلْعَرَبُ إِذَنْ لَا تُلَامُ عَلَى ٱسْتِعْمَالِ ٱلْغَرِيبِ ٱلْحَسَنِ مِنَ ٱلْأَلْفَاظِ وَإِنَّمَا تُلَامُ عَلَى ٱلْغَرِيبِ ٱلْقَبِيحِ وَأَمَّا ٱلْحَضَرِيُّ فَإِنَّهُ يُلَامُ عَلَى ٱسْتِعْمَالِ ٱلْقِسْمَيْنِ مَعًا وَهُوَ فِي أَحَدِهِمَا أَشَدُّ مَلَامَةً مِنْهُ فِي ٱلْآخَرِ (عن المثل السائر)

أَلْقِسْمُ ٱلثَّانِي

فِي ٱلْكَلَامِ

قَدْ رَأَيْتُ جَمَاعَةً مِنْ مُدَّعِي هٰذِهِ ٱلصِّنَاعَةِ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ ٱلْكَلَامَ ٱلْفَصِيحَ هُوَ ٱلَّذِي يَعِزُّ فَهْمُهُ وَيَبْعُدُ مُتَنَاوَلُهُ وَإِذَا رَأَوْا كَلَامًا وَحْشِيًّا غَامِضَ ٱلْأَلْفَاظِ يُعْجَبُونَ بِهِ وَيَصِفُونَهُ بِٱلْفَصَاحَةِ وَهُوَ بِٱلضِّدِّ مِنْ ذٰلِكَ لِأَنَّ ٱلْفَصَاحَةَ هِيَ ٱلظُّهُورُ وَٱلْبَيَانُ لَا ٱلْغُمُوضُ وَٱلْخَفَاءُ. وَسَأُبَيِّنُ لَكَ مَا تَعْتَمِدُ عَلَيْهِ فِي هٰذَا ٱلْمَوْضِعِ فَأَقُولُ ٱلْأَلْفَاظُ تَنْقَسِمُ فِي ٱلِٱسْتِعْمَالِ إِلَى جَزْلَةٍ وَرَقِيقَةٍ وَلِكُلٍّ مِنْهُمَا مَوْضِعٌ يَحْسُنُ ٱسْتِعْمَالُهُ فِيهِ. فَٱلْجَزْلُ مِنْهَا يُسْتَعْمَلُ فِي وَصْفِ مَوَاقِفِ ٱلْحُرُوبِ وَفِي قَوَارِعِ ٱلتَّهْدِيدِ وَٱلتَّخْوِيفِ وَأَشْبَاهِ ذٰلِكَ. وَأَمَّا ٱلرَّقِيقُ مِنْهَا فَإِنَّهُ

يستعمل في وصف الأشواق وذكر أيام البعاد وفي استجلاب المودات وملاينات الاستعطاف وأشباه ذلك. ولست أعني بالجزل من الألفاظ أن يكون وحشيا متوعرا عليه عنجهية البداوة بل أعني بالجزل أن يكون متينا على عذوبته في الفم ولذاذته في السمع. وكذلك لست أعني بالرقيق أن يكون ركيكا سفسافا وإنما هو اللطيف الرقيق الحاشية الناعم الملبس كقول أبي تمام

نَاعِمَاتُ الأَطْرَافِ لَوْ أَنَّهَا تَلْـ ـبَسُ أَغْنَتْ عَنِ المُلاءِ الرِّقَاقِ

وسأضرب لك مثالا للجزل من الألفاظ والرقيق فأقول انظر إلى قوارع القرآن عند ذكر الحساب والعذاب والميزان والصراط وعند ذكر الموت ومفارقة الدنيا وما جرى هذا المجرى فإنك لا ترى شيئا من ذلك وحشي الألفاظ ولا متوعرا. ثم انظر إلى ذكر الرحمة والرأفة والمغفرة والملاطفات في خطاب الأنبياء وخطاب المنيبين والتائبين من العباد وما جرى هذا المجرى فإنك لا ترى شيئا من ذلك ضعيف الألفاظ ولا سفسافا. فمثال الأول وهو الجزل من الألفاظ قوله تعالى ونفخ في الصور

فَصَعِقَ مَنْ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَآءَ ٱللَّهُ
ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ. وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ
بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَابُ وَجِيٓءَ بِٱلنَّبِيِّينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ
بَيْنَهُمْ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ. وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ. وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا
حَتَّىٰ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ
رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ
هٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ.
قِيلَ ٱدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى
ٱلْمُتَكَبِّرِينَ. وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا
جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ
فَٱدْخُلُوهَا خَالِدِينَ وَقَالُوا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ
وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ
ٱلْعَامِلِينَ. فَتَأَمَّلْ هٰذِهِ ٱلْآيَاتِ ٱلْمُضَمَّنَةَ ذِكْرَ ٱلْحَشْرِ عَلَىٰ
تَفَاصِيلِ أَحْوَالِهِ وَذِكْرِ ٱلنَّارِ وَٱلْجَنَّةِ وَٱنْظُرْ هَلْ فِيهَا لَفْظَةٌ
إِلَّا وَهِيَ سَهْلَةٌ مُسْتَعْذَبَةٌ عَلَىٰ مَا بِهَا مِنَ ٱلْجَزَالَةِ. وَكَذٰلِكَ وَرَدَ
قَوْلُهُ تَعَالَىٰ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ

وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ
ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيهَا شُرَكَآءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ
مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ. وَأَمَّا مِثَالُ ٱلثَّانِي وَهُوَ ٱلرَّقِيقُ مِنَ ٱلْأَلْفَاظِ
فَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي مُخَاطَبَةِ ٱلنَّبِيِّ وَٱلضُّحَى وَٱللَّيْلِ اذا سَجَا مَا
وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى إِلَى آخِرِ ٱلسُّورَةِ. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ
تَعَالَى فِي تَرْغِيبِ ٱلْمَسْئَلَةِ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي
قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِي إِذَا دَعَانِ. وَهٰكَذَا تَرَى سَبِيلَ
ٱلْقُرْآنِ ٱلْكَرِيمِ فِي كِلَا هٰذَيْنِ ٱلْحَالَيْنِ مِنَ ٱلْجَزَالَةِ وَٱلرِّقَّةِ.
وَكَذٰلِكَ كَلَامُ ٱلْعَرَبِ ٱلْأُوَلِ فِي ٱلزَّمَنِ ٱلْقَدِيمِ مِمَّا وَرَدَ
عَنْهَا نَثْرًا وَيَكْفِي مِنْ ذٰلِكَ كَلَامُ قَبِيصَةَ بْنِ نُعَيْمٍ لَمَّا قَدِمَ
عَلَى أَمْرِئِ ٱلْقَيْسِ فِي أَشْيَاخٍ لِبَنِي أَسَدٍ يَسْأَلُونَهُ ٱلْعَفْوَ عَنْ
دَمِ أَبِيهِ فَقَالَ لَهُ إِنَّكَ فِي ٱلْمَحَلِّ وَٱلْقَدْرِ مِنَ ٱلْمَعْرِفَةِ
بِتَصَرُّفِ ٱلدَّهْرِ وَمَا تُحْدِثُهُ أَيَّامُهُ وَتَنْتَقِلُ بِهِ أَحْوَالُهُ بِحَيْثُ لَا
تَحْتَاجُ إِلَى تَذْكِيرٍ مِنْ وَاعِظٍ وَلَا تَبْصِيرٍ مِنْ مُجَرِّبٍ. وَلَكَ مِنْ
سُؤْدُدِ مَنْصِبِكَ وَشَرَفِ أَعْرَاقِكَ وَكَرَمِ أَصْلِكَ فِي ٱلْعَرَبِ
مَحْتِدٌ يَحْتَمِلُ مَا حُمِلَ عَلَيْهِ مِنْ إِقَالَةِ ٱلْعَثْرَةِ وَٱلرُّجُوعِ عَنِ
ٱلْهَفْوَةِ وَلَا تَتَجَاوَزُ ٱلْهِمَمُ إِلَى غَايَةٍ إِلَّا رَجَعَتْ إِلَيْكَ فَوَجَدَتْ

عِنْدَكَ مِنْ فَضِيلَةِ ٱلرَّأْيِ وَبَصِيرَةِ ٱلْفَهْمِ وَكَرَمِ ٱلصَّفْحِ مَا يَطُولُ رَغَبَاتِهَا وَيَسْتَغْرِقُ طَلِبَاتِهَا. وَقَدْ كَانَ ٱلَّذِي كَانَ مِنَ ٱلْخَطْبِ ٱلْجَلِيلِ ٱلَّذِي عَمَّتْ رَزِيَّتُهُ نِزَارًا وَٱلْيَمَنَ وَلَمْ تُخْصَصْ بِذٰلِكَ كِنْدَةُ دُونَنَا لِلشَّرَفِ ٱلْبَارِعِ ٱلَّذِي كَانَ لِحُجْرٍ وَلَوْ كَانَ يُفْدَى هَالِكٌ بِٱلْأَنْفُسِ ٱلْبَاقِيَةِ بَعْدَهُ لَمَا بَخِلَتْ أَكَارِمُنَا بِهَا عَلَى مِثْلِهِ وَلٰكِنَّهُ مَضَى بِهِ سَبِيلٌ لَا تَرْجِعُ أُخْرَاهُ عَلَى أُولَاهُ وَلَا يَلْحَقُ أَقْصَاهُ أَدْنَاهُ. فَأَحْمَدُ ٱلْحَالَاتِ فِي ذٰلِكَ أَنْ تَعْرِفَ ٱلْوَاجِبَ عَلَيْكَ فِي إِحْدَى خِلَالٍ ثَلَاثٍ إِمَّا أَنْ تَخْتَارَ مِنْ بَنِي أَسَدٍ أَشْرَفَهَا بَيْتًا وَأَعْلَاهَا فِي بِنَاءِ ٱلْمَكْرُمَاتِ صَوْتًا فَنَقُودَهُ إِلَيْكَ بِنِسْعِهِ تَذْهَبُ مَعَ شَفَرَاتِ حُسَامِكَ بِبَاقِي قَصَرَتِهِ فَنَقُولُ رَجُلٌ ٱمْتُحِنَ بِهَالِكٍ عَزِيزٍ فَلَمْ يَسْتَلَّ سَخِيمَتَهُ إِلَّا بِمُكْنَتِهِ مِنَ ٱلِٱنْتِقَامِ. وَإِمَّا فِدَاءٌ بِمَا يَرُوحُ عَلَى بَنِي أَسَدٍ مِنْ نَعَمِهَا فَهِيَ أُلُوفٌ تُجَاوِزُ ٱلْخَمْسَةَ فَيَكُونُ ذٰلِكَ فِدَاءً تَرْجِعُ بِهِ ٱلْقُضُبُ إِلَى أَجْفَانِهَا. وَإِمَّا أَنْ تُوَادِعَنَا إِلَى أَنْ تَضَعَ ٱلْحَوَامِلُ فَتُسْدَلَ ٱلْأُزُرُ وَتُعْقَدَ ٱلْخُمُرُ فَوْقَ ٱلرَّايَاتِ. قَالَ فَبَكَى سَاعَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ لَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْعَرَبُ أَنَّهُ لَا كُفْؤَ لِحُجْرٍ فِي دَمٍ وَإِنِّي لَنْ أَعْتَاضَ جَمَلًا وَلَا نَاقَةً فَأَكْتَسِبَ بِهِ سُبَّةَ ٱلْأَبَدِ

وَفَتَّ ٱلْعَضُدِ. وَأَمَّا ٱلنَّظِرَةُ فَقَدْ أَوْجَبَتْهَا ٱلْأَجِنَّةُ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِهَا وَلَنْ أَكُونَ لِعَطَبِهَا سَبَباً وَسَتَعْرِفُونَ طَلَائِعَ كِنْدَةَ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ تَحْمِلُ فِي ٱلْقُلُوبِ حَنَقاً وَفَوْقَ ٱلْأَسِنَّةِ عَلَقاً

إِذَا جَالَتِ ٱلْخَيْلُ فِي مَأْزِقٍ

تُصَافِحُ فِيهِ ٱلْمَنَايَا ٱلنُّفُوسَا

أَتُقِيمُونَ أَمْ تَنْصَرِفُونَ. قَالُوا بَلْ نَنْصَرِفُ بِأَسْوَإِ ٱلِاخْتِيَارِ وَأَبْلَى الِاجْتِرَارِ بِمَكْرُوهٍ وَأَذِيَّةٍ وَحَرْبٍ وَبَلِيَّةٍ. ثُمَّ نَهَضُوا عَنْهُ وَقَبِيصَةُ يَتَمَثَّلُ

لَعَلَّكَ أَنْ تَسْتَوْخِمَ ٱلْوِرْدَ إِنْ عَدَتْ

كَتَائِبُنَا فِي مَأْزِقِ ٱلْحَرْبِ تَمْطُرُ

فَقَالَ ٱمْرُؤُ ٱلْقَيْسِ لَا وَٱللهِ وَلٰكِنْ أَسْتَعْذِبُهُ فَرُوَيْداً يَنْفَرِجْ لَكَ دُجَاهَا مِنْ فُرْسَانِ كِنْدَةَ وَكَتَائِبِ حِمْيَرَ وَلَقَدْ كَانَ ذِكْرُ غَيْرِ هٰذَا بِي أَوْلَى إِذْ كُنْتَ نَازِلاً بِرَبْعِي وَلٰكِنَّكَ قُلْتَ فَأَوْجَبْتَ. فَلْتَنْظُرْ إِلَى هٰذَا ٱلْكَلَامِ مِنَ ٱلرَّجُلَيْنِ قَبِيصَةَ وَٱمْرِئِ ٱلْقَيْسِ حَتَّى يَدَعَ ٱلْمُتَعَمِّقُونَ تَعَمُّقَهُمْ فِي ٱسْتِعْمَالِ ٱلْوَحْشِيِّ مِنَ ٱلْأَلْفَاظِ فَإِنَّ هٰذَا ٱلْكَلَامَ قَدْ كَانَ فِي ٱلزَّمَنِ ٱلْقَدِيمِ قَبْلَ ٱلْإِسْلَامِ بِمَا شَاءَ ٱللهُ

وَإِذَا كَانَ هٰذَا قَوْلَ سَاكِنٍ فِي ٱلْفَلَاةِ لَا يَرَى إِلَّا شِيحَةً أَوْ قَيْصُومَةً وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا ضَبًّا أَوْ يَرْبُوعًا فَمَا بَالُ قَوْمٍ سَكَنُوا ٱلْحَضَرَ وَوَجَدُوا رِقَّةَ ٱلْعَيْشِ يَتَعَاطَوْنَ وَحْشِيَّ ٱلْأَلْفَاظِ وَشَظَفَ ٱلْعِبَارَاتِ وَمَا يُخْلِدُ إِلَى ذٰلِكَ إِلَّا إِمَّا جَاهِلٌ بِأَسْرَارِ ٱلْفَصَاحَةِ وَإِمَّا عَاجِزٌ عَنْ سُلُوكِ طَرِيقِهَا. فَإِنَّ كُلَّ أَحَدٍ مِمَّنْ شَدَا شَيْئًا مِنْ عِلْمِ ٱلْأَدَبِ يُمْكِنُهُ أَنْ يَأْتِيَ بِٱلْوَحْشِيِّ مِنَ ٱلْكَلَامِ وَذَاكَ أَنَّهُ يَلْتَقِطُهُ مِنْ كُتُبِ ٱللُّغَةِ أَوْ يَتَلَقَّفُهُ مِنْ أَرْبَابِهَا. وَأَمَّا ٱلْفَصِيحُ ٱلْمُتَّصِفُ بِصِفَةِ ٱلْمَلَاحَةِ فَإِنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ وَلَوْ قَدَرَ عَلَيْهِ لَمَا عَلِمَ أَيْنَ يَضَعُ يَدَهُ فِي تَأْلِيفِهِ وَسَبْكِهِ فَإِنْ مَارَى فِي ذٰلِكَ مُمَارٍ فَلْيَنْظُرْ إِلَى أَشْعَارِ عُلَمَاءِ ٱلْأَدَبِ مِمَّنْ كَانَ مُشَارًا إِلَيْهِ حَتَّى يَعْلَمَ صِحَّةَ مَا ذَكَرْتُهُ. هٰذَا ٱبْنُ دُرَيْدٍ قَدْ قِيلَ إِنَّهُ أَشْعَرُ عُلَمَاءِ ٱلْأَدَبِ وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى شِعْرِهِ وَجَدْتَهُ بِٱلنِّسْبَةِ إِلَى شِعْرِ ٱلشُّعَرَاءِ ٱلْمُجِيدِينَ مُنْحَطًّا مَعَ أَنَّ أُولٰئِكَ ٱلشُّعَرَاءَ لَمْ يَعْرِفُوا مِنْ عِلْمِ ٱلْأَدَبِ عُشْرَ مِعْشَارِ مَا عَلِمَهُ. هٰذَا ٱلْعَبَّاسُ ٱبْنُ ٱلْأَحْنَفِ قَدْ كَانَ مِنْ أَوَائِلِ ٱلشُّعَرَاءِ ٱلْمُجِيدِينَ وَشِعْرُهُ كَمَمَرِّ نَسِيمٍ عَلَى عَذَبَاتِ أَغْصَانٍ وَكَلُؤْلُؤَاتِ طَلٍّ عَلَى طُرَرِ رَيْحَانٍ وَلَيْسَ فِيهِ

لَفْظَةٌ وَاحِدَةٌ غَرِيبَةٌ يُحْتَاجُ إِلَى ٱسْتِخْرَاجِهَا مِنْ كُتُبِ ٱللُّغَةِ

(انتهى ملخصاً عن المثل السائر)

ٱلْفَصْلُ ٱلرَّابِعُ

فِي ٱنْقِسَامِ ٱلْكَلَامِ إِلَى فَنَّيِ ٱلنَّظْمِ وَٱلنَّثْرِ

إِعْلَمْ أَنَّ لِسَانَ ٱلْعَرَبِ وَكَلَامَهُمْ عَلَى فَنَّيْنِ فَنِّ ٱلشِّعْرِ ٱلْمَنْظُومِ وَهُوَ ٱلْكَلَامُ ٱلْمَوْزُونُ ٱلْمُقَفَّى وَمَعْنَاهُ ٱلَّذِي تَكُونُ أَوْزَانُهُ كُلُّهَا عَلَى رَوِيٍّ وَاحِدٍ وَهُوَ ٱلْقَافِيَةُ . وَفَنِّ ٱلنَّثْرِ وَهُوَ ٱلْكَلَامُ غَيْرُ ٱلْمَوْزُونِ . وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ ٱلْفَنَّيْنِ يَشْتَمِلُ عَلَى فُنُونٍ وَمَذَاهِبَ فِي ٱلْكَلَامِ . فَأَمَّا ٱلشِّعْرُ فَمِنْهُ ٱلْمَدْحُ وَٱلْهِجَاءُ وَٱلرِّثَاءُ . وَأَمَّا ٱلنَّثْرُ فَمِنْهُ ٱلسَّجْعُ ٱلَّذِي يُؤْتَى بِهِ قِطَعًا وَيُلْتَزَمُ فِي كُلِّ كَلِمَتَيْنِ مِنْهُ قَافِيَةٌ وَاحِدَةٌ وَيُسَمَّى سَجْعًا وَمِنْهُ ٱلْمُرْسَلُ وَهُوَ ٱلَّذِي يُطْلَقُ فِيهِ ٱلْكَلَامُ إِطْلَاقًا وَلَا يُقَطَّعُ أَجْزَاءً بَلْ يُرْسَلُ إِرْسَالًا مِنْ غَيْرِ تَقْيِيدٍ بِقَافِيَةٍ وَلَا غَيْرِهَا . وَيُسْتَعْمَلُ فِي ٱلْخُطَبِ وَٱلدُّعَاءِ وَتَرْغِيبِ ٱلْجُمْهُورِ وَتَرْهِيبِهِمْ . وَأَمَّا ٱلْقُرْآنُ فَهُوَ وَإِنْ كَانَ مِنَ ٱلْمَنْثُورِ إِلَّا أَنَّهُ خَارِجٌ عَنِ ٱلْوَصْفَيْنِ وَلَيْسَ يُسَمَّى مُرْسَلًا مُطْلَقًا وَلَا مُسَجَّعًا بَلْ تَفْصِيلَ

آيات ينتهي إلى مقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها ثم يعاد الكلام في الآية الأخرى بعدها ويثنى من غير التزام حرف يكون سجعاً أو قافية وهو معنى قوله تعالى الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم. وقال قد فصّلنا الآيات. ويسمى آخر الآيات منه فواصل إذ ليست أسجاعاً ولا التزم فيها ما يلتزم في السجع ولا هي أيضاً قواف. وأطلق اسم المثاني على آيات القرآن كلها على العموم لما ذكرناه واختصت بأم القرآن للغلبة فيها كالنجم للثريا ولهذا سميت السبع المثاني. وانظر هذا مع ما قاله المفسرون في تعليل تسميتها بالمثاني يشهد لك الحق برجحان ما قلناه. واعلم أن لكل واحد من هذه الفنون أساليب تختص به عند أهله ولا تصلح للفن الآخر ولا تستعمل فيه مثل النسيب المختص بالشعر والحمد والدعاء المختص بالخطب والدعاء المختص بالمخاطبات وأمثال ذلك. وقد استعمل المتأخرون أساليب الشعر وموازينه في المنثور من كثرة الأسجاع والتزام التقفية وتقديم النسيب بين يدي الأغراض وصار

هٰذَا ٱلْمَنْثُورُ إِذَا تَأَمَّلْتَهُ مِنْ بَابِ ٱلشِّعْرِ وَفَنِّهِ وَلَمْ يَفْتَرِقَا إِلَّا فِي ٱلْوَزْنِ. وَٱسْتَمَرَّ ٱلْمُتَأَخِّرُونَ مِنَ ٱلْكُتَّابِ عَلَى هٰذِهِ ٱلطَّرِيقَةِ وَٱسْتَعْمَلُوهَا فِي ٱلْمُخَاطَبَاتِ ٱلسُّلْطَانِيَّةِ وَقَصَرُوا ٱلِٱسْتِعْمَالَ فِي ٱلْمَنْثُورِ كُلِّهِ عَلَى هٰذَا ٱلْفَنِّ ٱلَّذِي ٱرْتَضَوْهُ وَخَلَطُوا ٱلْأَسَالِيبَ فِيهِ وَهَجَرُوا ٱلْمُرْسَلَ وَتَنَاسَوْهُ وَخُصُوصًا أَهْلَ ٱلْمَشْرِقِ وَصَارَتِ ٱلْمُخَاطَبَاتُ ٱلسُّلْطَانِيَّةُ لِهٰذَا ٱلْعَهْدِ عِنْدَ ٱلْكُتَّابِ ٱلْغُفَّلِ جَارِيَةً عَلَى هٰذَا ٱلْأُسْلُوبِ ٱلَّذِي أَشَرْنَا إِلَيْهِ. وَهُوَ غَيْرُ صَوَابٍ مِنْ جِهَةِ ٱلْبَلَاغَةِ لِمَا يُلَاحَظُ فِي تَطْبِيقِ ٱلْكَلَامِ عَلَى مُقْتَضَى ٱلْحَالِ مِنْ أَحْوَالِ ٱلْمُخَاطِبِ وَٱلْمُخَاطَبِ. وَهٰذَا ٱلْفَنُّ ٱلْمَنْثُورُ ٱلْمُقَفَّى أَدْخَلَ ٱلْمُتَأَخِّرُونَ فِيهِ أَسَالِيبَ ٱلشِّعْرِ فَوَجَبَ أَنْ تَنَزَّهَ ٱلْمُخَاطَبَاتُ ٱلسُّلْطَانِيَّةُ عَنْهُ إِذْ أَسَالِيبُ ٱلشِّعْرِ تُنَافِيهَا ٱللَّوْذَعِيَّةُ وَخَلْطُ ٱلْجِدِّ بِٱلْهَزْلِ وَٱلْإِطْنَابُ فِي ٱلْأَوْصَافِ وَضَرْبُ ٱلْأَمْثَالِ وَكَثْرَةُ ٱلتَّشْبِيهَاتِ وَٱلِٱسْتِعَارَاتِ حَيْثُ لَا تَدْعُو ضَرُورَةٌ إِلَى ذٰلِكَ فِي ٱلْخِطَابِ. وَٱلْمَحْمُودُ فِي ٱلْمُخَاطَبَاتِ ٱلسُّلْطَانِيَّةِ ٱلتَّرَسُّلُ وَهُوَ إِطْلَاقُ ٱلْكَلَامِ وَإِرْسَالُهُ مِنْ غَيْرِ تَسْجِيعٍ إِلَّا فِي ٱلْأَقَلِّ ٱلنَّادِرِ وَحَيْثُ تُرْسِلُهُ ٱلْمَلَكَةُ إِرْسَالًا مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ لَهُ. ثُمَّ إِعْطَاءُ

ٱلْكَلَامِ حَقَّهُ فِي مُطَابَقَتِهِ لِمُقْتَضَى ٱلْحَالِ فَإِنَّ ٱلْمَقَامَاتِ مُخْتَلِفَةٌ وَلِكُلِّ مَقَامٍ أُسْلُوبٌ يَخُصُّهُ مِنْ إِطْنَابٍ أَوْ إِيجَازٍ أَوْ حَذْفٍ أَوْ إِثْبَاتٍ أَوْ تَصْرِيحٍ أَوْ إِشَارَةٍ وَكِنَايَةٍ وَٱسْتِعَارَةٍ. وَأَمَّا إِجْرَآءُ ٱلْمُخَاطَبَاتِ ٱلسُّلْطَانِيَّةِ عَلَى هٰذَا ٱلنَّحْوِ ٱلَّذِي هُوَ عَلَى أَسَالِيبِ ٱلشِّعْرِ فَمَذْمُومٌ وَمَا حَمَلَ عَلَيْهِ أَهْلَ ٱلْعَصْرِ إِلَّا ٱسْتِيلَآءُ ٱلْعُجْمَةِ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ وَقُصُورُهُمْ لِذٰلِكَ عَنْ إِعْطَآءِ ٱلْكَلَامِ حَقَّهُ فِي مُطَابَقَتِهِ لِمُقْتَضَى ٱلْحَالِ فَعَجَزُوا عَنِ ٱلْكَلَامِ ٱلْمُرْسَلِ لِبُعْدِ أَمَدِهِ فِي ٱلْبَلَاغَةِ وَٱنْفِسَاحِ خُطْوَتِهِ وَوَلِعُوا بِهٰذَا ٱلْمُسَجَّعِ يُلَفِّقُونَ بِهِ مَا نَقَصَهُمْ مِنْ تَطْبِيقِ ٱلْكَلَامِ عَلَى ٱلْمَقْصُودِ وَمُقْتَضَى ٱلْحَالِ فِيهِ وَيَجْبُرُونَهُ بِذٰلِكَ ٱلْقَدْرِ مِنَ ٱلتَّزْيِينِ بِٱلْأَسْجَاعِ وَٱلْأَلْقَابِ ٱلْبَدِيعَةِ وَيَغْفُلُونَ عَمَّا سِوَى ذٰلِكَ. وَأَكْثَرُ مَنْ أَخَذَ بِهٰذَا ٱلْفَنِّ وَبَالَغَ فِيهِ فِي سَائِرِ أَنْحَاءِ كَلَامِهِمْ كُتَّابُ ٱلْمَشْرِقِ وَشُعَرَآؤُهُ لِهٰذَا ٱلْعَهْدِ حَتَّى إِنَّهُمْ لَيُخِلُّونَ بِٱلْإِعْرَابِ فِي ٱلْكَلِمَاتِ وَٱلتَّصْرِيفِ إِذَا دَخَلَتْ لَهُمْ فِي تَجْنِيسٍ أَوْ مُطَابَقَةٍ لَا يَجْتَمِعَانِ مَعَهَا فَيُرَجِّحُونَ ذٰلِكَ ٱلصِّنْفَ مِنَ ٱلتَّجْنِيسِ وَيَدَعُونَ ٱلْإِعْرَابَ وَيُفْسِدُونَ بِنْيَةَ ٱلْكَلِمَةِ عَسَاهَا تُصَادِفُ ٱلتَّجْنِيسَ. فَتَأَمَّلْ ذٰلِكَ بِمَا قَدَّمْنَاهُ

لَكَ تَقِفْ عَلَى صِحَّةِ مَا ذَكَرْنَاهُ وَٱللّٰهُ ٱلْمُوَفِّقُ إِلَى ٱلصَّوَابِ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ وَٱللّٰهُ تَعَالَى أَعْلَمُ (عن ابن خلدون)

أَلْفَصْلُ ٱلْخَامِسُ

فِي ٱلسَّجْعِ

إِعْلَمْ أَنَّ ٱلسَّجْعَ قَدْ يَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ. ٱلْأَوَّلُ أَنْ يَكُونَ ٱلْفَصْلَانِ مُتَسَاوِيَيْنِ لَا يَزِيدُ أَحَدُهُمَا عَلَى ٱلْآخَرِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ. وَأَمَّا ٱلسَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ. وَقَوْلِهِ تَعَالَى وَٱلْعَادِيَاتِ ضَبْحًا. فَٱلْمُورِيَاتِ قَدْحًا. فَٱلْمُغِيرَاتِ صُبْحًا. فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا. فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا. أَلَا تَرَى كَيْفَ جَاءَتْ هٰذِهِ ٱلْفُصُولُ مُتَسَاوِيَةَ ٱلْأَجْزَاءِ حَتَّى كَأَنَّهَا أُفْرِغَتْ فِي قَالَبٍ وَاحِدٍ. وَأَمْثَالُ ذٰلِكَ فِي ٱلْقُرْآنِ ٱلْكَرِيمِ كَثِيرَةٌ وَهُوَ أَشْرَفُ ٱلسَّجْعِ مَنْزِلَةً لِلِٱعْتِدَالِ ٱلَّذِي فِيهِ

أَلْقِسْمُ ٱلثَّانِي أَنْ يَكُونَ ٱلْفَصْلُ ٱلثَّانِي أَطْوَلَ مِنَ ٱلْأَوَّلِ لَا طُولًا يَخْرُجُ بِهِ عَنِ ٱلِٱعْتِدَالِ خُرُوجًا كَثِيرًا فَإِنَّهُ يَقْبُحُ عِنْدَ ذٰلِكَ وَيُسْتَكْرَهُ وَيُعَدُّ عَيْبًا. فَمِمَّا جَاءَ مِنْ ذٰلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى بَلْ كَذَّبُوا بِٱلسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ

سَعِيرًا. إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا. وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا. أَلَا تَرَى أَنَّ ٱلْفَصْلَ ٱلْأَوَّلَ ثَمَانِي لَفَظَاتٍ وَٱلْفَصْلَ ٱلثَّانِيَ وَٱلثَّالِثَ تِسْعٌ تِسْعٌ. وَيُسْتَثْنَى مِنْ هٰذَا ٱلْقِسْمِ مَا كَانَ مِنَ ٱلسَّجْعِ عَلَى ثَلَاثِ فِقَرٍ فَإِنَّ ٱلْفِقْرَتَيْنِ ٱلْأُولَيَيْنِ تُحْسَبَانِ فِي عِدَّةٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ تَأْتِي ٱلثَّالِثَةُ فَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ طَوِيلَةً طُولًا يَزِيدُ عَلَيْهِمَا فَإِذَا كَانَتِ ٱلْأُولَى وَٱلثَّانِيَةُ أَرْبَعَ لَفَظَاتٍ أَرْبَعَ لَفَظَاتٍ تَكُونُ ٱلثَّالِثَةُ عَشْرَ لَفَظَاتٍ أَوْ إِحْدَى عَشْرَةَ. إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَجْعَلَ ذٰلِكَ قِيَاسًا مُطَّرِدًا فِي ٱلسَّجَعَاتِ ٱلثَّلَاثِ أَيْنَ وَقَعَتْ مِنَ ٱلْكَلَامِ بَلْ تَعْلَمُ أَنَّ ٱلْجَوَازَ يَعُمُّ ٱلْجَانِبَيْنِ مِنَ ٱلتَّسَاوِي فِي ٱلسَّجَعَاتِ ٱلثَّلَاثِ وَمِنْ زِيَادَةِ ٱلسَّجْعَةِ ٱلثَّالِثَةِ. أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَدْ وَرَدَ ثَلَاثُ سَجَعَاتٍ مُتَسَاوِيَاتٍ فِي ٱلْقُرْآنِ ٱلْكَرِيمِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَأَصْحَابُ ٱلْيَمِينِ. مَا أَصْحَابُ ٱلْيَمِينِ. فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ. وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ. وَظِلٍّ مَمْدُودٍ. فَهٰذِهِ ٱلسَّجَعَاتُ كُلُّهَا مِنْ لَفْظَتَيْنِ لَفْظَتَيْنِ وَلَوْ جُعِلَتِ ٱلثَّالِثَةُ مِنْهَا خَمْسَ لَفَظَاتٍ أَوْ سِتًّا لَمَا كَانَ ذٰلِكَ مَعِيبًا

أَلْقِسْمُ ٱلثَّالِثُ أَنْ يَكُونَ ٱلْفَصْلُ ٱلْآخَرُ أَقْصَرَ مِنَ

ٱلْأَوَّلِ وَهُوَ عِنْدِي عَيْبٌ فَاحِشٌ وَسَبَبُ ذٰلِكَ أَنَّ ٱلسَّجْعَ يَكُونُ قَدِ ٱسْتَوْفَى أَمَدَهُ مِنَ ٱلْفَصْلِ ٱلْأَوَّلِ بِحُكْمِ طُولِهِ ثُمَّ يَجِيءُ ٱلْفَصْلُ ٱلثَّانِي قَصِيرًا عَنِ ٱلْأَوَّلِ فَيَكُونُ كَالشَّيْءِ ٱلْمَبْتُورِ فَيَبْقَى ٱلْإِنْسَانُ عِنْدَ سَمَاعِهِ كَمَنْ يُرِيدُ ٱلِٱنْتِهَاءَ إِلَى غَايَةٍ فَيَعْثُرُ دُونَهَا .

وَإِذِ ٱنْتَهَيْنَا إِلَى هٰهُنَا وَبَيَّنَّا أَقْسَامَ ٱلسَّجْعِ وَلُبَّهُ وَقُشُورَهُ فَسَنَقُولُ فِيهِ قَوْلًا كُلِّيًّا وَهُوَ أَنَّ ٱلسَّجْعَ عَلَى ٱخْتِلَافِ أَقْسَامِهِ ضَرْبَانِ أَحَدُهُمَا يُسَمَّى ٱلسَّجْعَ ٱلْقَصِيرَ وَهُوَ أَنْ تَكُونَ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنَ ٱلسَّجْعَتَيْنِ مُؤَلَّفَةً مِنْ أَلْفَاظٍ قَلِيلَةٍ وَكُلَّمَا قَلَّتِ ٱلْأَلْفَاظُ كَانَ أَحْسَنَ لِقُرْبِ ٱلْفَوَاصِلِ ٱلْمَسْجُوعَةِ مِنْ سَمْعِ ٱلسَّامِعِ وَهٰذَا ٱلضَّرْبُ أَوْعَرُ ٱلسَّجْعِ مَذْهَبًا وَأَبْعَدُهُ مُتَنَاوَلًا وَلَا يَكَادُ ٱسْتِعْمَالُهُ يَقَعُ إِلَّا نَادِرًا . وَٱلضَّرْبُ ٱلْآخَرُ يُسَمَّى ٱلسَّجْعَ ٱلطَّوِيلَ وَهُوَ ضِدُّ ٱلْأَوَّلِ لِأَنَّهُ أَسْهَلُ مُتَنَاوَلًا . وَإِنَّمَا كَانَ ٱلْقَصِيرُ مِنَ ٱلسَّجْعِ أَوْعَرَ مَسْلَكًا مِنَ ٱلطَّوِيلِ لِأَنَّ ٱلْمَعْنَى إِذَا صِيغَ بِأَلْفَاظٍ قَصِيرَةٍ عَزَّ مُوَاتَاةُ ٱلسَّجْعِ فِيهِ لِقِصَرِ تِلْكَ ٱلْأَلْفَاظِ وَضِيقِ ٱلْمَجَالِ فِي ٱسْتِجْلَابِهِ وَأَمَّا ٱلطَّوِيلُ فَإِنَّ ٱلْأَلْفَاظَ تَطُولُ فِيهِ وَيُسْتَجْلَبُ لَهُ ٱلسَّجْعُ مِنْ حَيْثُ وَلَيْسَ كَمَا

يُقَالُ وَكَانَ ذٰلِكَ سَهْلاً. وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هٰذَيْنِ ٱلضَّرْبَيْنِ تَتَفَاوَتُ دَرَجَاتُهُ فِي عِدَّةِ ٱلْأَلْفَاظِ. أَمَّا ٱلسَّجْعُ ٱلْقَصِيرُ فَأَحْسَنُهُ مَا كَانَ مُؤَلَّفًا مِنْ لَفْظَتَيْنِ لَفْظَتَيْنِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَٱلْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا. فَٱلْعَاصِفَاتِ عَصْفًا. وَقَوْلِهِ تَعَالَى يَا أَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنْذِرْ. وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ. وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ. وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ. وَمِنْهُ مَا يَكُونُ مُؤَلَّفًا مِنْ ثَلَاثَةِ ٱلْأَلْفَاظِ وَأَرْبَعَةٍ وَخَمْسَةٍ وَكَذٰلِكَ ٱلْعَشَرَةُ وَمَا زَادَ عَلَى ذٰلِكَ فَهُوَ مِنَ ٱلسَّجْعِ ٱلطَّوِيلِ. فَمِمَّا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَى. مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى. وَمَا يَنْطِقُ عَنِ ٱلْهَوَى. وَقَوْلُهُ تَعَالَى ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنْشَقَّ ٱلْقَمَرُ. وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ. وَكَذَّبُوا وَٱتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ. وَأَمَّا ٱلسَّجْعُ ٱلطَّوِيلُ فَإِنَّ دَرَجَاتِهِ تَتَفَاوَتُ فِي ٱلطُّولِ أَيْضًا فَمِنْهُ مَا يَقْرُبُ مِنَ ٱلسَّجْعِ ٱلْقَصِيرِ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ تَأْلِيفُهُ مِنْ إِحْدَى عَشْرَةَ إِلَى ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَفْظَةً وَأَكْثَرُهُ خَمْسَ عَشْرَةَ لَفْظَةً كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُوسٌ كَفُورٌ. وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ. فَٱلْأُولَى إِحْدَى عَشْرَةَ لَفْظَةً وَٱلثَّانِيَةُ

ثلاثَ عشرةَ لفظةً . وكذلك قولهُ تعالى لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليهِ ما عنتم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوفٌ رحيمٌ . فإن تولّوا فقل حسبي ٱللهُ لا إلهَ إلّا هوَ عليهِ توكّلتُ وهو ربُّ ٱلعرشِ ٱلعظيمِ . ومنَ ٱلسجعِ ٱلطويلِ ما يكونُ تأليفهُ منَ ٱلعشرين لفظةً فما حولها كقولهِ تعالى إذ يريكهمُ ٱللهُ في منامكَ قليلاً ولو أراكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في ٱلأمرِ ولكنّ ٱللهَ سلّمَ إنّهُ عليمٌ بذاتِ ٱلصدورِ . وإذ يريكموهم إذِ ٱلتقيتم في أعينكم قليلاً ويقلّلكم في أعينهم ليقضيَ ٱللهُ أمراً كانَ مفعولاً وإلى ٱللهِ ترجعُ ٱلأمورُ . ومنَ ٱلسجعِ ٱلطويلِ أيضاً ما يزيدُ على هذهِ ٱلعدّةِ ٱلمذكورةِ وهوَ غيرُ مضبوطٍ (عن المثل السائر)

ٱلفصلُ ٱلسادسُ

في كيفيّةِ عملِ ٱلشعرِ ووجهِ تعلّمهِ

إعلم أنّ لعملِ ٱلشعرِ وإحكامِ صناعتهِ شروطاً أوّلها ٱلحفظُ من جنسهِ أي من جنسِ شعرِ ٱلعربِ حتّى تنشأَ في ٱلنفسِ ملكةٌ ينسجُ على منوالها ويتخيّرُ ٱلمحفوظُ منَ ٱلحرِّ

ٱلنَّقِيِّ ٱلْكَثِيرِ ٱلْأَسَالِيبِ. وَهٰذَا ٱلْمَحْفُوظُ ٱلْمُخْتَارُ أَقَلُّ مَا
يَكْفِي فِيهِ شِعْرُ شَاعِرٍ مِنَ ٱلْفُحُولِ ٱلْإِسْلَامِيِّينَ مِثْلِ ٱبْنِ أَبِي
رَبِيعَةَ وَكُثَيِّرٍ وَذِي ٱلرُّمَّةِ وَجَرِيرٍ وَأَبِي نُوَاسٍ وَحَبِيبٍ
وَٱلْبُحْتُرِيِّ وَٱلرَّضِيِّ وَأَبِي فِرَاسٍ وَأَكْثَرُهُ شِعْرُ كِتَابِ
ٱلْأَغَانِي لِأَنَّهُ جَمَعَ شِعْرَ أَهْلِ ٱلطَّبَقَةِ ٱلْإِسْلَامِيَّةِ كُلَّهُ وَٱلْمُخْتَارَ
مِنْ شِعْرِ ٱلْجَاهِلِيَّةِ. وَمَنْ كَانَ خَالِيًا مِنَ ٱلْمَحْفُوظِ فَنَظْمُهُ قَاصِرٌ
رَدِيءٌ وَلَا يُعْطِيهِ ٱلرَّوْنَقَ وَٱلْحَلَاوَةَ إِلَّا كَثْرَةُ ٱلْمَحْفُوظِ.
فَمَنْ قَلَّ حِفْظُهُ أَوْ عُدِمَ لَمْ يَكُنْ لَهُ شِعْرٌ وَإِنَّمَا هُوَ نَظْمٌ
سَاقِطٌ وَٱجْتِنَابُ ٱلشِّعْرِ أَوْلَى بِمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَحْفُوظٌ. ثُمَّ بَعْدَ
ٱلِامْتِلَاءِ مِنَ ٱلْحِفْظِ وَشَحْذِ ٱلْقَرِيحَةِ لِلنَّسْجِ عَلَى ٱلْمِنْوَالِ يُقْبِلُ
عَلَى ٱلنَّظْمِ وَبِٱلْإِكْثَارِ مِنْهُ تَسْتَحْكِمُ مَلَكَتُهُ وَتَرْسَخُ. وَرُبَّمَا
يُقَالُ إِنَّ مِنْ شَرْطِهِ نِسْيَانَ ذٰلِكَ ٱلْمَحْفُوظِ لِتُمْحَى رُسُومُهُ
ٱلْحَرْفِيَّةُ ٱلظَّاهِرَةُ إِذْ هِيَ صَادَّةٌ عَنِ ٱسْتِعْمَالِهَا بِعَيْنِهَا فَإِذَا نَسِيَهَا
وَقَدْ تَكَيَّفَتِ ٱلنَّفْسُ بِهَا ٱنْتَقَشَ ٱلْأُسْلُوبُ فِيهَا كَأَنَّهُ مِنْوَالٌ
يَأْخُذُ فِي ٱلنَّسْجِ عَلَيْهِ بِأَمْثَالِهَا مِنْ كَلِمَاتٍ أُخْرَى ضَرُورَةً.
ثُمَّ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ ٱلْخَلْوَةِ وَٱسْتِجَادَةِ ٱلْمَكَانِ ٱلْمَنْظُورِ فِيهِ مِنَ
ٱلْمِيَاهِ وَٱلْأَزْهَارِ وَكَذَا ٱلْمَسْمُوعُ لِٱسْتِنَارَةِ ٱلْقَرِيحَةِ بِٱسْتِجْمَاعِهَا

وَتَنْشِيطِهَا بِمَلَاذِّ ٱلسُّرُورِ. ثُمَّ مَعَ هٰذَا كُلِّهِ فَشَرْطُهُ أَنْ يَكُونَ عَلَى جِمَامٍ وَنَشَاطٍ فَذٰلِكَ أَجْمَعُ لَهُ وَأَنْشَطُ لِلْقَرِيحَةِ أَنْ تَأْتِيَ بِمِثْلِ ذٰلِكَ ٱلْمِنْوَالِ ٱلَّذِي فِي حِفْظِهِ. قَالُوا وَخَيْرُ ٱلْأَوْقَاتِ لِذٰلِكَ أَوْقَاتُ ٱلْبُكَرِ عِنْدَ ٱلْهُبُوبِ مِنَ ٱلنَّوْمِ وَفَرَاغِ ٱلْمَعِدَةِ وَنَشَاطِ ٱلْفِكْرِ وَفِي هٰؤُلَاءِ ٱلْجِمَامُ. وَرُبَّمَا قَالُوا إِنَّ مِنْ بَوَاعِثِهِ ٱلْعِشْقَ وَٱلِٱنْتِشَاءَ ذَكَرَ ذٰلِكَ ٱبْنُ رَشِيقٍ فِي كِتَابِ ٱلْعُمْدَةِ وَهُوَ ٱلْكِتَابُ ٱلَّذِي ٱنْفَرَدَ بِهٰذِهِ ٱلصِّنَاعَةِ وَإِعْطَاءِ حَقِّهَا وَلَمْ يَكْتُبْ فِيهَا أَحَدٌ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ. قَالُوا فَإِنِ ٱسْتَصْعَبَ عَلَيْهِ بَعْدَ هٰذَا كُلِّهِ فَلْيَتْرُكْهُ إِلَى وَقْتٍ آخَرَ وَلَا يُكْرِهْ نَفْسَهُ عَلَيْهِ. وَلْيَكُنْ بِنَاءُ ٱلْبَيْتِ عَلَى ٱلْقَافِيَةِ مِنْ أَوَّلِ صَوْغِهِ وَنَسْجِهِ يَضَعُهَا وَيَبْنِي ٱلْكَلَامَ عَلَيْهَا إِلَى آخِرِهِ لِأَنَّهُ إِنْ غَفَلَ عَنْ بِنَاءِ ٱلْبَيْتِ عَلَى ٱلْقَافِيَةِ صَعُبَ عَلَيْهِ وَضْعُهَا فِي مَحَلِّهَا فَرُبَّمَا تَجِيءُ نَافِرَةً قَلِقَةً. وَإِذَا سَمَحَ ٱلْخَاطِرُ بِٱلْبَيْتِ وَلَمْ يُنَاسِبِ ٱلَّذِي عِنْدَهُ فَلْيَتْرُكْهُ إِلَى مَوْضِعِهِ ٱلْأَلْيَقِ بِهِ فَإِنَّ كُلَّ بَيْتٍ مُسْتَقِلٌّ بِنَفْسِهِ وَلَمْ تَبْقَ إِلَّا ٱلْمُنَاسَبَةُ فَلْيَتَخَيَّرْ فِيهَا كَمَا يَشَاءُ وَلْيُرَاجِعْ شِعْرَهُ بَعْدَ ٱلْخَلَاصِ مِنْهُ بِٱلتَّنْقِيحِ وَٱلنَّقْدِ وَلَا يَضِنَّ بِهِ عَلَى ٱلتَّرْكِ إِذَا لَمْ يَبْلُغِ ٱلْإِجَادَةَ فَإِنَّ ٱلْإِنْسَانَ

مَفْتُونٌ بِشِعْرِهِ إِذْ هُوَ بَنَاتُ فِكْرِهِ وَٱخْتِرَاعُ قَرِيحَتِهِ وَلَا يَسْتَعْمِلْ فِيهِ مِنَ ٱلْكَلَامِ إِلَّا ٱلْأَفْصَحَ مِنَ ٱلتَّرَاكِيبِ وَٱلْخَالِصَ مِنَ ٱلضَّرُورَاتِ ٱللِّسَانِيَّةِ فَلْيَهْجُرْهَا فَإِنَّهَا تَنْزِلُ بِٱلْكَلَامِ عَنْ طَبَقَةِ ٱلْبَلَاغَةِ ۰ وَقَدْ حَظَرَ أَئِمَّةُ ٱللِّسَانِ عَلَى ٱلْمُوَلَّدِ ٱرْتِكَابَ ٱلضَّرُورَةِ إِذْ هُوَ فِي سَعَةٍ مِنْهَا بِٱلْعُدُولِ عَنْهَا إِلَى ٱلطَّرِيقَةِ ٱلْمُثْلَى مِنَ ٱلْمَلَكَةِ ۰ وَيَجْتَنِبُ أَيْضًا ٱلْمُعَقَّدَ مِنَ ٱلتَّرَاكِيبِ جُهْدَهُ وَإِنَّمَا يَقْصِدُ مِنْهَا مَا كَانَتْ مَعَانِيهِ تُسَابِقُ أَلْفَاظَهُ إِلَى ٱلْفَهْمِ وَكَذٰلِكَ كَثْرَةُ ٱلْمَعَانِي فِي ٱلْبَيْتِ ٱلْوَاحِدِ فَإِنَّ فِيهَا نَوْعَ تَعْقِيدٍ عَلَى ٱلْفَهْمِ وَإِنَّمَا ٱلْمُخْتَارُ مِنْ ذٰلِكَ مَا كَانَتْ أَلْفَاظُهُ طِبْقًا عَلَى مَعَانِيهِ أَوْ أَوْفَى فَإِنْ كَانَتِ ٱلْمَعَانِي كَثِيرَةً كَانَ حَشْوًا وَٱسْتَعْمَلَ ٱلذِّهْنُ بِٱلْغَوْصِ عَلَيْهَا فَمَنَعَ ٱلذَّوْقَ عَنِ ٱسْتِيفَاءِ مُدْرَكِهِ مِنَ ٱلْبَلَاغَةِ ۰ وَلَا يَكُونُ ٱلشِّعْرُ سَهْلًا إِلَّا إِذَا كَانَتْ مَعَانِيهِ تُسَابِقُ أَلْفَاظَهُ إِلَى ٱلذِّهْنِ وَلِهٰذَا كَانَ شُيُوخُنَا رَحِمَهُمُ ٱللّٰهُ يَعِيبُونَ شِعْرَ أَبِي بَكْرِ بْنِ خَفَاجَةَ شَاعِرِ شَرْقِ ٱلْأَنْدَلُسِ لِكَثْرَةِ مَعَانِيهِ وَٱزْدِحَامِهَا فِي ٱلْبَيْتِ ٱلْوَاحِدِ كَمَا كَانُوا يَعِيبُونَ شِعْرَ ٱلْمُتَنَبِّئِ وَٱلْمَعَرِّيِّ بِعَدَمِ ٱلنَّسْجِ عَلَى ٱلْأَسَالِيبِ ٱلْعَرَبِيَّةِ

كَمَا مَرَّ فَكَانَ شِعْرُهُمَا كَلَامًا مَنْظُومًا نَازِلًا عَنْ طَبَقَةِ ٱلشِّعْرِ وَٱلْحَاكِمُ بِذٰلِكَ هُوَ ٱلذَّوْقُ. وَلْيَتَجَنَّبِ ٱلشَّاعِرُ أَيْضًا ٱلْحُوشِيَّ مِنَ ٱلْأَلْفَاظِ وَٱلْمُقَصِّرَ وَكَذٰلِكَ ٱلسُّوقِيَّ ٱلْمُبْتَذَلَ فَإِنَّهُ يَنْزِلُ بِٱلْكَلَامِ عَنْ طَبَقَةِ ٱلْبَلَاغَةِ أَيْضًا فَيَصِيرُ مُبْتَذَلًا وَيَقْرُبُ مِنْ عَدَمِ ٱلْإِفَادَةِ كَقَوْلِهِمِ ٱلنَّارُ حَارَّةٌ وَٱلسَّمَاءُ فَوْقَنَا وَبِمِقْدَارِ مَا تَقْرُبُ مِنْ طَبَقَةِ عَدَمِ ٱلْإِفَادَةِ يَبْعُدُ عَنْ رُتْبَةِ ٱلْبَلَاغَةِ إِذْ هُمَا طَرَفَانِ. وَلِهٰذَا كَانَ ٱلشِّعْرُ فِي ٱلرَّبَّانِيَّاتِ وَٱلنَّبَوِيَّاتِ قَلِيلَ ٱلْإِجَادَةِ فِي ٱلْغَالِبِ وَلَا يَحْذِقُهُ إِلَّا ٱلْفُحُولُ لِأَنَّ مَعَانِيَهَا مُتَدَاوَلَةٌ بَيْنَ ٱلْجُمْهُورِ فَتَصِيرُ مُبْتَذَلَةً لِذٰلِكَ. وَإِذَا تَعَذَّرَ ٱلشِّعْرُ بَعْدَ هٰذَا كُلِّهِ فَلْيُرَاوِضْهُ وَيُعَاوِدْهُ فَإِنَّ ٱلْقَرِيحَةَ مِثْلُ ٱلضَّرْعِ يَدِرُّ بِٱلِٱمْتِرَاءِ وَيَجِفُّ بِٱلتَّرْكِ. وَبِٱلْجُمْلَةِ فَهٰذِهِ ٱلصِّنَاعَةُ وَتَعَلُّمُهَا مُسْتَوْفًى فِي كِتَابِ ٱلْعُمْدَةِ لِٱبْنِ رَشِيقٍ وَقَدْ ذَكَرْنَا مِنْهَا مَا حَضَرَنَا بِحَسَبِ ٱلْجُهْدِ وَمَنْ أَرَادَ ٱسْتِيفَاءَ ذٰلِكَ فَعَلَيْهِ بِذٰلِكَ ٱلْكِتَابِ فَفِيهِ ٱلْبُغْيَةُ مِنْ ذٰلِكَ وَهٰذِهِ نُبْذَةٌ كَافِيَةٌ وَٱللّٰهُ ٱلْمُعِينُ

(عن ابن خلدون)

قَالَ ٱلْوَلِيدُ بْنُ عُبَيْدٍ ٱلْبُحْتُرِيُّ كُنْتُ فِي حَدَاثَتِي أَرُومُ ٱلشِّعْرَ وَكُنْتُ أَرْجِعُ فِيهِ إِلَى طَبْعِي وَلَمْ أَكُنْ أَقِفُ عَلَى تَسْهِيلِ مَأْخَذِهِ وَوُجُوهِ ٱقْتِضَابِهِ حَتَّى قَصَدْتُ أَبَا تَمَّامٍ وَٱنْقَطَعْتُ فِيهِ إِلَيْهِ وَٱتَّكَلْتُ فِي تَعْرِيفِهِ عَلَيْهِ فَكَانَ أَوَّلُ مَا قَالَ لِي يَا أَبَا عُبَادَةَ تَخَيَّرِ ٱلْأَوْقَاتَ وَأَنْتَ قَلِيلُ ٱلْهُمُومِ صِفْرٌ مِنَ ٱلْغُمُومِ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلْعَادَةَ جَرَتْ فِي ٱلْأَوْقَاتِ أَنْ يَقْصِدَ ٱلْإِنْسَانُ لِتَأْلِيفِ شَيْءٍ أَوْ حِفْظِهِ فِي وَقْتِ ٱلسَّحَرِ وَذٰلِكَ أَنَّ ٱلنَّفْسَ تَكُونُ قَدْ أَخَذَتْ حَظَّهَا مِنَ ٱلرَّاحَةِ وَقِسْطَهَا مِنَ ٱلنَّوْمِ. وَإِنْ أَرَدْتَ ٱلتَّشْبِيبَ فَٱجْعَلِ ٱللَّفْظَ رَقِيقًا وَٱلْمَعْنَى رَشِيقًا وَأَكْثِرْ فِيهِ مِنْ بَيَانِ ٱلصَّبَابَةِ وَتَوَجُّعِ ٱلْكَآبَةِ وَقَلَقِ ٱلْأَشْوَاقِ وَلَوْعَةِ ٱلْفِرَاقِ. فَإِذَا أَخَذْتَ فِي مَدِيحِ سَيِّدٍ ذِي أَيَادٍ فَأَشْهِرْ مَنَاقِبَهُ وَأَظْهِرْ مَنَاسِبَهُ وَأَبِنْ مَعَالِمَهُ وَشَرِّفْ مَقَامَهُ وَنَضِّدِ ٱلْمَعَانِيَ وَٱحْذَرِ ٱلْمَجْهُولَ مِنْهَا وَإِيَّاكَ أَنْ تَشِينَ شِعْرَكَ بِٱلْأَلْفَاظِ ٱلرَّدِيئَةِ وَكُنْ كَأَنَّكَ خَيَّاطٌ يَقْطَعُ ٱلثِّيَابَ عَلَى مَقَادِيرِ ٱلْأَجْسَادِ. وَإِذَا عَارَضَكَ ٱلضَّجَرُ فَأَرِحْ نَفْسَكَ وَلَا تَعْمَلْ شِعْرَكَ إِلَّا وَأَنْتَ فَارِغُ ٱلْقَلْبِ وَٱجْعَلْ شَهْوَتَكَ لِقَوْلِ

ٱلشِّعْرِ ٱلذَّرِيعَةَ إِلَى حُسْنِ نَظْمِهِ فَإِنَّ ٱلشَّهْوَةَ نِعْمَ ٱلْمُعِينُ. وَجُمْلَةُ ٱلْحَالِ أَنْ تَعْتَبِرَ شِعْرَكَ بِمَا سَلَفَ مِنْ شِعْرِ ٱلْمَاضِينَ فَمَا ٱسْتَحْسَنَ ٱلْعُلَمَاءُ فَٱقْصِدْهُ وَمَا تَرَكُوهُ فَٱجْتَنِبْهُ تَرْشُدْ إِنْ شَاءَ ٱللهُ. قَالَ فَأَعْمَلْتُ نَفْسِي فِي مَا قَالَ فَوَقَفْتُ عَلَى ٱلسِّيَاسَةِ (من كتاب زهر الآداب)

أَلْفَصْلُ ٱلسَّابِعُ

فِي ٱلْفَصَاحَةِ وَٱلْبَلَاغَةِ وَفِيهِ قِسْمَانِ

أَلْقِسْمُ ٱلْأَوَّلُ

فِي ٱلْفَصَاحَةِ

إِعْلَمْ أَنَّ هٰذَا بَابٌ مُتَعَذِّرٌ عَلَى ٱلْوَالِجِ وَمَسْلَكٌ مُتَوَعِّرٌ عَلَى ٱلنَّاهِجِ وَلَمْ يَزَلِ ٱلْعُلَمَاءُ مِنْ قَدِيمِ ٱلْوَقْتِ وَحَدِيثِهِ يُكْثِرُونَ ٱلْقَوْلَ فِيهِ وَٱلْبَحْثَ عَنْهُ وَلَمْ أَجِدْ مِنْ ذٰلِكَ مَا يُعَوَّلُ عَلَيْهِ إِلَّا ٱلْقَلِيلَ. وَغَايَةُ مَا يُقَالُ فِي هٰذَا ٱلْبَابِ أَنَّ ٱلْفَصَاحَةَ هِيَ ٱلظُّهُورُ وَٱلْبَيَانُ فِي أَصْلِ ٱلْوَضْعِ ٱللُّغَوِيِّ يُقَالُ أَفْصَحَ

ٱلصَّبْحُ إِذَا ظَهَرَ ثُمَّ إِنَّهُمْ يَقِفُونَ عِنْدَ ذَٰلِكَ وَلَا يَكْشِفُونَ عَنِ ٱلسِّرِّ فِيهِ • وَبِهَٰذَا ٱلْقَوْلِ لَا تَتَبَيَّنُ حَقِيقَةُ ٱلْفَصَاحَةِ لِأَنَّهُ يُعْتَرَضُ عَلَيْهِ بِوُجُوهٍ مِنَ ٱلِاعْتِرَاضَاتِ • أَحَدُهَا أَنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنِ ٱللَّفْظُ ظَاهِرًا بَيِّنًا لَمْ يَكُنْ فَصِيحًا ثُمَّ إِذَا ظَهَرَ وَتَبَيَّنَ صَارَ فَصِيحًا • ٱلْوَجْهُ ٱلثَّانِي أَنَّهُ إِذَا كَانَ ٱللَّفْظُ ٱلْفَصِيحُ هُوَ ٱلظَّاهِرَ ٱلْبَيِّنَ فَقَدْ صَارَ ذَٰلِكَ بِٱلنِّسَبِ وَٱلْإِضَافَاتِ إِلَى ٱلْأَشْخَاصِ فَإِنَّ ٱللَّفْظَ قَدْ يَكُونُ ظَاهِرًا لِزَيْدٍ وَلَا يَكُونُ ظَاهِرًا لِعَمْرٍو فَهُوَ إِذَنْ فَصِيحٌ عِنْدَ هٰذَا وَغَيْرُ فَصِيحٍ عِنْدَ هٰذَا • وَلَيْسَ كَذَٰلِكَ بَلِ ٱلْفَصِيحُ هُوَ فَصِيحٌ عِنْدَ ٱلْجَمِيعِ لَا خِلَافَ فِيهِ بِحَالٍ مِنَ ٱلْأَحْوَالِ لِأَنَّهُ إِذَا تَحَقَّقَ حَدُّ ٱلْفَصَاحَةِ وَعُرِفَ مَا هِيَ لَمْ يَبْقَ فِي ٱللَّفْظِ ٱلَّذِي يَخْتَصُّ بِهِ خِلَافٌ • ٱلْوَجْهُ ٱلثَّالِثُ أَنَّهُ إِذَا جِيءَ بِلَفْظٍ قَبِيحٍ يَنْبُو عَنْهُ ٱلسَّمْعُ وَهُوَ مَعَ ذَٰلِكَ ظَاهِرٌ بَيِّنٌ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فَصِيحًا وَلَيْسَ كَذَٰلِكَ لِأَنَّ ٱلْفَصَاحَةَ وَصْفُ حُسْنٍ لِلَّفْظِ لَا وَصْفُ قُبْحٍ • فَهَٰذِهِ ٱلِاعْتِرَاضَاتُ ٱلثَّلَاثَةُ وَارِدَةٌ عَلَى قَوْلِ ٱلْقَائِلِ إِنَّ ٱللَّفْظَ ٱلْفَصِيحَ هُوَ ٱلظَّاهِرُ ٱلْبَيِّنُ مِنْ غَيْرِ تَفْصِيلٍ • وَلَمَّا وَقَفْتُ عَلَى أَقْوَالِ ٱلنَّاسِ فِي هٰذَا

ٱلْبَابِ مَلَكَتْنِي ٱلْحَيْرَةُ فِيهَا وَلَمْ يَثْبُتْ عِنْدِي مِنْهَا مَا أُعَوِّلُ عَلَيْهِ وَلِكَثْرَةِ مُلَابَسَتِي هٰذَا ٱلْفَنَّ وَمُعَارَكَتِي إِيَّاهُ ٱنْكَشَفَ لِيَ ٱلسِّرُّ فِيهِ وَسَأُوضِحُهُ فِي كِتَابِي هٰذَا وَأُحَقِّقُ ٱلْقَوْلَ فِيهِ فَأَقُولُ.

إِنَّ ٱلْكَلَامَ ٱلْفَصِيحَ هُوَ ٱلظَّاهِرُ ٱلْبَيِّنُ وَأَعْنِي بِٱلظَّاهِرِ ٱلْبَيِّنِ أَنْ تَكُونَ أَلْفَاظُهُ مَفْهُومَةً لَا يُحْتَاجُ فِي فَهْمِهَا إِلَى ٱسْتِخْرَاجٍ مِنْ كِتَابِ لُغَةٍ. وَإِنَّمَا كَانَتْ بِهٰذِهِ ٱلصِّفَةِ لِأَنَّهَا تَكُونُ مَأْلُوفَةَ ٱلِٱسْتِعْمَالِ بَيْنَ أَرْبَابِ ٱلنَّظْمِ وَٱلنَّثْرِ دَائِرَةً فِي كَلَامِهِمْ. وَإِنَّمَا كَانَتْ مَأْلُوفَةَ ٱلِٱسْتِعْمَالِ دَائِرَةً فِي ٱلْكَلَامِ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ ٱلْأَلْفَاظِ لِمَكَانِ حُسْنِهَا. وَذٰلِكَ أَنَّ أَرْبَابَ ٱلنَّظْمِ وَٱلنَّثْرِ غَرْبَلُوا ٱللُّغَةَ بِٱعْتِبَارِ أَلْفَاظِهَا وَسَبَرُوا وَقَسَّمُوا فَٱخْتَارُوا ٱلْحَسَنَ مِنَ ٱلْأَلْفَاظِ فَٱسْتَعْمَلُوهُ وَنَفَوْا ٱلْقَبِيحَ مِنْهَا فَلَمْ يَسْتَعْمِلُوهُ فَحُسْنُ ٱلِٱسْتِعْمَالِ سَبَبُ ٱسْتِعْمَالِهَا دُونَ غَيْرِهَا وَٱسْتِعْمَالُهَا سَبَبُ ظُهُورِهَا وَبَيَانِهَا. فَٱلْفَصِيحُ إِذَنْ مِنَ ٱلْأَلْفَاظِ هُوَ ٱلْحَسَنُ. فَإِنْ قِيلَ مِنْ أَيِّ وَجْهٍ عَلِمَ أَرْبَابُ ٱلنَّظْمِ وَٱلنَّثْرِ ٱلْحَسَنَ مِنَ ٱلْأَلْفَاظِ حَتَّى ٱسْتَعْمَلُوهُ وَعَلِمُوا ٱلْقَبِيحَ مِنْهَا حَتَّى نَفَوْهُ وَلَمْ يَسْتَعْمِلُوهُ. قُلْتُ فِي ٱلْجَوَابِ إِنَّ هٰذَا مِنَ ٱلْأُمُورِ

الْمَحْسُوسَةِ الَّتِي شَاهَدَهَا مِنْ نَفْسِهَا لِأَنَّ الْأَلْفَاظَ دَاخِلَةٌ فِي حَيِّزِ الْأَصْوَاتِ فَالَّذِي يَسْتَلِذُّهُ السَّمْعُ مِنْهَا وَيَمِيلُ إِلَيْهِ هُوَ الْحَسَنُ وَالَّذِي يَكْرَهُهُ وَيَنْفِرُ عَنْهُ هُوَ الْقَبِيحُ. أَلَا تَرَى أَنَّ السَّمْعَ يَسْتَلِذُّ صَوْتَ الْبُلْبُلِ مِنَ الطَّيْرِ وَصَوْتَ الشُّحْرُورِ وَيَمِيلُ إِلَيْهِمَا وَيَكْرَهُ صَوْتَ الْغُرَابِ وَيَنْفِرُ عَنْهُ وَكَذَلِكَ يَكْرَهُ نَهِيقَ الْحِمَارِ وَلَا يَجِدُ ذَلِكَ فِي صَهِيلِ الْفَرَسِ. وَالْأَلْفَاظُ جَارِيَةٌ هَذَا الْمَجْرَى فَإِنَّهُ لَا خِلَافَ فِي أَنَّ لَفْظَةَ الْمُزْنَةِ وَالدِّيمَةِ حَسَنَةٌ يَسْتَلِذُّهَا السَّمْعُ وَأَنَّ لَفْظَةَ الْبُعَاقِ قَبِيحَةٌ يَكْرَهُهَا السَّمْعُ. وَهَذِهِ اللَّفَظَاتُ الثَّلَاثُ مِنْ صِفَةِ الْمَطَرِ وَهِيَ تَدُلُّ عَلَى مَعْنًى وَاحِدٍ وَمَعَ هَذَا فَإِنَّكَ تَرَى لَفْظَتَيِ الْمُزْنَةِ وَالدِّيمَةِ وَمَا جَرَى مَجْرَاهُمَا مَأْلُوفَتَيِ الِاسْتِعْمَالِ وَتَرَى لَفْظَ الْبُعَاقِ وَمَا جَرَى مَجْرَاهُ مَتْرُوكًا لَا يُسْتَعْمَلُ وَإِنِ اسْتُعْمِلَ فَإِنَّمَا يَسْتَعْمِلُهُ جَاهِلٌ بِحَقِيقَةِ الْفَصَاحَةِ أَوْ مَنْ ذَوْقُهُ غَيْرُ ذَوْقٍ سَلِيمٍ وَإِنْ كَانَ عَرَبِيًّا مَحْضًا مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأَقْدَمِينَ فَإِنَّ حَقِيقَةَ الشَّيْءِ إِذَا عُلِمَتْ وَجَبَ الْوُقُوفُ عِنْدَهَا وَلَمْ يُعَرَّجْ عَلَى مَا خَرَجَ عَنْهَا

(عن المثل السائر)

اَلْقِسْمُ ٱلثَّانِي

فِي ٱلْبَلَاغَةِ

قَالَ أَبُو ٱلْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ ٱلْبَصْرِيُّ ٱلْمَاوَرْدِيُّ لَيْسَ يَصِحُّ ٱخْتِيَارُ ٱلْكَلَامِ إِلَّا لِمَنْ أَخَذَ نَفْسَهُ بِٱلْبَلَاغَةِ وَكَلَّفَهَا لُزُومَ ٱلْفَصَاحَةِ حَتَّى يَصِيرَ مُتَدَرِّبًا بِهَا مُعْتَادًا لَهَا فَلَا يَأْتِي بِكَلَامٍ مُسْتَكْرَهِ ٱللَّفْظِ وَلَا مُخْتَلِّ ٱلْمَعْنَى لِأَنَّ ٱلْبَلَاغَةَ لَيْسَتْ عَلَى مَعَانٍ مُفْرَدَةٍ وَلَا لِأَلْفَاظِهَا غَايَةٌ وَإِنَّمَا ٱلْبَلَاغَةُ تَكُونُ بِٱلْمَعَانِي ٱلصَّحِيحَةِ مُسْتَوْدَعَةً فِي أَلْفَاظٍ فَصِيحَةٍ فَتَكُونُ فَصَاحَةُ ٱلْأَلْفَاظِ مَعَ صِحَّةِ ٱلْمَعَانِي هِيَ ٱلْبَلَاغَةَ وَقَدْ قِيلَ لِلْيُونَانِيِّ مَا ٱلْبَلَاغَةُ قَالَ ٱخْتِيَارُ ٱلْكَلَامِ وَتَصْحِيحُ ٱلْأَقْسَامِ. وَقِيلَ ذٰلِكَ لِلرُّومِيِّ فَقَالَ حُسْنُ ٱلِاخْتِصَارِ عِنْدَ ٱلْبَدِيهَةِ وَٱلْغَزَارَةِ يَوْمَ ٱلْإِطَالَةِ. وَقِيلَ لِلْعَرَبِيِّ فَقَالَ مَا حَسُنَ إِيجَازُهُ وَقَلَّ مَجَازُهُ. وَقِيلَ لِلْبَدَوِيِّ فَقَالَ مَا دُونَ ٱلسِّحْرِ وَفَوْقَ ٱلشِّعْرِ يَفُتُّ ٱلْخَرْدَلَ وَيَحُطُّ ٱلْجَنْدَلَ. وَقِيلَ لِلْحَضَرِيِّ فَقَالَ مَا كَثُرَ إِعْجَازُهُ وَتَنَاسَبَتْ صُدُورُهُ وَأَعْجَازُهُ. وَسَأَلَ ٱلْحَجَّاجُ ٱبْنَ ٱلْقِرِّيَّةِ عَنِ ٱلْإِيجَازِ قَالَ أَنْ تَقُولَ فَلَا تُبْطِئَ

وَأَنْ تُصِيبَ فَلَا تُخْطِئَ ٠ وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ

خَيْرُ ٱلْكَلَامِ قَلِيلُ ... عَلَى كَثِيرٍ دَلِيلُ
وَٱلْعِيُّ مَعْنًى قَصِيرٌ ... يَحْوِيهِ لَفْظٌ طَوِيلُ
وَفِي ٱلْكَلَامِ فُصُولٌ ... وَفِيهِ قَالٌ وَقِيلُ

وَأَمَّا صِحَّةُ ٱلْمَعَانِي فَتَكُونُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ أَحَدُهَا إِيضَاحُ تَفْسِيرِهَا حَتَّى لَا تَكُونَ مُشْكِلَةً وَلَا مُجْمَلَةً ٠ وَٱلثَّانِي ٱسْتِيفَاءُ تَقْسِيمِهَا حَتَّى لَا يَدْخُلَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا وَلَا يَخْرُجَ عَنْهَا مَا هُوَ فِيهَا ٠ وَٱلثَّالِثُ صِحَّةُ مُقَابَلَاتِهَا وَٱلْمُقَابَلَةُ تَكُونُ مِنْ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا مُقَابَلَةُ ٱلْمَعْنَى بِمَا يُوَافِقُهُ وَحَقِيقَةُ هٰذِهِ ٱلْمُقَارَبَةُ لِأَنَّ ٱلْمَعَانِيَ تَصِيرُ مُتَشَاكِلَةً ٠ وَٱلثَّانِي مُقَابَلَتُهُ بِمَا يُضَادُّهُ وَهُوَ حَقِيقَةُ ٱلْمُقَابَلَةِ وَلَيْسَ لِلْمُقَابَلَةِ إِلَّا أَحَدُ هٰذَيْنِ ٱلْوَجْهَيْنِ ٱلْمُوَافَقَةِ فِي ٱلِٱئْتِلَافِ وَٱلْمُضَادَّةِ مَعَ ٱلِٱخْتِلَافِ ٠ فَأَمَّا فَصَاحَةُ ٱلْأَلْفَاظِ فَتَكُونُ بِثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ أَحَدُهَا مُجَانَبَةُ ٱلْغَرِيبِ ٱلْوَحْشِيِّ حَتَّى لَا يَمُجَّهُ سَمْعٌ وَلَا يَنْفِرَ مِنْهُ طَبْعٌ ٠ وَٱلثَّانِي تَنَكُّبُ ٱللَّفْظِ ٱلْمُبْتَذَلِ وَٱلْعُدُولُ عَنِ ٱلْكَلَامِ ٱلْمُسْتَرْذَلِ حَتَّى لَا يَسْتَسْقِطَهُ خَاصِّيٌّ وَلَا يَنْبُو عَنْهُ فَهْمُ عَامِّيٍّ كَمَا قَالَ ٱلْجَاحِظُ

فِي كِتَابِ ٱلْبَيَانِ. أَمَّا أَنَا فَلَمْ أَرَ قَوْمًا أَمْثَلَ طَرِيقَةً فِي ٱلْبَلَاغَةِ مِنَ ٱلْكُتَّابِ وَذٰلِكَ أَنَّهُمْ قَدِ ٱلْتَمَسُوا مِنَ ٱلْأَلْفَاظِ مَا لَمْ يَكُنْ مُتَوَعِّرًا وَحْشِيًّا وَلَا سَاقِطًا عَامِيًّا. وَٱلثَّالِثُ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ ٱلْأَلْفَاظِ وَمَعَانِيهَا مُنَاسَبَةٌ وَمُطَابَقَةٌ. أَمَّا ٱلْمُطَابَقَةُ فَهِيَ أَنْ تَكُونَ ٱلْأَلْفَاظُ كَٱلْقَوَالِبِ لِمَعَانِيهَا فَلَا تَزِيدُ عَلَيْهَا وَلَا تَنْقُصُ عَنْهَا. وَقَالَ بِشْرُ بْنُ ٱلْمُعْتَمِرِ فِي وَصِيَّتِهِ فِي ٱلْبَلَاغَةِ إِذَا لَمْ تَجِدِ ٱللَّفْظَةَ وَاقِعَةً مَوْقِعَهَا وَلَا صَائِرَةً إِلَى مُسْتَقَرِّهَا وَلَا حَالَّةً فِي مَرْكَزِهَا بَلْ وَجَدْتَهَا قَلِقَةً فِي مَكَانِهَا نَافِرَةً عَنْ مَوْضِعِهَا فَلَا تُكْرِهْهَا عَلَى ٱلْقَرَارِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَتَعَاطَ قَرْضَ ٱلشِّعْرِ ٱلْمَوْزُونِ وَلَمْ تَتَكَلَّفِ ٱخْتِيَارَ ٱلْمَنْثُورِ لَمْ يَعِبْكَ بِتَرْكِ ذٰلِكَ أَحَدٌ وَإِذَا أَنْتَ تَكَلَّفْتَهُمَا وَلَمْ تَكُنْ حَاذِقًا فِيهِمَا عَابَكَ مَنْ أَنْتَ أَقَلُّ عَيْبًا مِنْهُ وَأَزْرَى عَلَيْكَ مَنْ أَنْتَ فَوْقَهُ. وَأَمَّا ٱلْمُنَاسَبَةُ فَهِيَ أَنْ يَكُونَ ٱلْمَعْنَى يَلِيقُ بِبَعْضِ ٱلْأَلْفَاظِ إِمَّا لِعُرْفٍ مُسْتَعْمَلٍ أَوْ لِٱتِّفَاقٍ مُسْتَحْسَنٍ حَتَّى إِذَا ذَكَرْتَ تِلْكَ ٱلْمَعَانِيَ بِغَيْرِ تِلْكَ ٱلْأَلْفَاظِ كَانَتْ نَافِرَةً عَنْهَا وَإِنْ كَانَتْ أَفْصَحَ وَأَوْضَحَ لِٱعْتِيَادِ

مَا سِوَاهَا . وَقَالَ بَعضُ ٱلْبُلَغَآءِ لَا يَكُونُ ٱلْبَلِيغُ بَلِيغًا حَتَّى يَكُونَ مَعْنَى كَلَامِهِ أَسْبَقَ إِلَى فَهْمِكَ مِنْ لَفْظِهِ إِلَى سَمْعِكَ

(من كتاب ادب الدنيا والدين)

اَلْفَصْلُ ٱلثَّامِنُ

فِي ٱلْمَبَادِئِ وَٱلِٱفْتِتَاحَاتِ

إِعْلَمْ أَنَّ حَقِيقَةَ هٰذَا ٱلنَّوْعِ أَنْ يُجْعَلَ مَطْلِعُ ٱلْكَلَامِ مِنَ ٱلشِّعْرِ أَوْ ٱلرَّسَائِلِ دَالًّا عَلَى ٱلْمَعْنَى ٱلْمَقْصُودِ مِنْ ذٰلِكَ ٱلْكَلَامِ إِنْ كَانَ فَتْحًا فَفَتْحًا وَإِنْ كَانَ هَنَآءً فَهَنَآءً أَوْ كَانَ عَزَآءً فَعَزَآءً وَكَذٰلِكَ يَجْرِي ٱلْحُكْمُ فِي غَيْرِ ذٰلِكَ مِنَ ٱلْمَعَانِي وَفَائِدَتُهُ أَنْ يُعْرَفَ مِنْ مَبْدَإِ ٱلْكَلَامِ مَا ٱلْمُرَادُ بِهِ . وَحُكْمُ هٰذَا ٱلنَّوْعِ وَٱلْقَاعِدَةُ ٱلَّتِي يُبْنَى عَلَيْهَا أَسَاسُهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى ٱلشَّاعِرِ إِذَا نَظَمَ قَصِيدَةً أَنْ يَنْظُرَ فَإِنْ كَانَتْ مَدِيحًا صِرْفًا لَا يَخْتَصُّ بِحَادِثَةٍ مِنَ ٱلْحَوَادِثِ فَهُوَ مُخَيَّرٌ بَيْنَ أَنْ يَفْتَتِحَهَا بِغَزَلٍ أَوْ لَا يَفْتَتِحَهَا بِغَزَلٍ بَلْ يَرْتَجِلَ ٱلْمَدِيحَ ٱرْتِجَالًا مِنْ أَوَّلِهَا كَقَوْلِ ٱلْقَائِلِ

إِنْ حَارَتِ ٱلْأَلْبَابُ كَيْفَ تَقُولُ
فِي ذَا ٱلْمَقَـامِ فَعُذْرُهَا مَقْبُولُ
سَامِحْ بِفَضْلِكَ مَادِحِيكَ فَمَا لَهُمْ
أَبَدًا إِلَى مَا تَسْتَحِقُّ سَبِيلُ
إِنْ كَانَ لَا يُرْضِيكَ إِلَّا مُحْسِنٌ
فَٱلْمُحْسِنُونَ إِذَنْ لَدَيْكَ قَلِيلُ

فَإِنَّ هٰذَا ٱلشَّاعِرَ ٱرْتَجَلَ ٱلْمَدِيحَ مِنْ أَوَّلِ ٱلْقَصِيدَةِ فَأَتَى بِهِ كَمَا تَرَى حَسَنًا لَائِقًا. وَأَمَّا إِذَا كَانَ ٱلْقَصِيدُ فِي حَادِثَةٍ مِنَ ٱلْحَوَادِثِ كَفَتْحِ مُقْفَلٍ أَوْ هَزِيمَةِ جَيْشٍ أَوْ غَيْرِ ذٰلِكَ فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَبْدَأَ فِيهِ بِغَزَلٍ وَإِنْ فَعَلَ ذٰلِكَ دَلَّ عَلَى ضُعْفِ قَرِيحَةِ ٱلشَّاعِرِ وَقُصُورِهِ عَنِ ٱلْغَايَةِ أَوْ عَلَى جَهْلِهِ بِوَضْعِ ٱلْكَلَامِ فِي مَوَاضِعِهِ. فَإِنْ قِيلَ إِنَّكَ قُلْتَ يَجِبُ عَلَى ٱلشَّاعِرِ كَذَا وَكَذَا فَلِمَ ذٰلِكَ قُلْتُ فِي ٱلْجَوَابِ إِنَّ ٱلْغَزَلَ رِقَّةٌ مَحْضَةٌ وَٱلْأَلْفَاظُ ٱلَّتِي تُنْظَمُ فِي ٱلْحَوَادِثِ ٱلْمُشَارِ إِلَيْهَا مِنْ فَحْلِ ٱلْكَلَامِ وَمَتِينِ ٱلْقَوْلِ وَهِيَ ضِدُّ ٱلْغَزَلِ. وَأَيْضًا فَإِنَّ ٱلْأَسْمَاعَ تَكُونُ مُتَطَلِّعَةً إِلَى مَا يُقَالُ فِي تِلْكَ ٱلْحَوَادِثِ

وَٱلِٱبْتِدَآءِ بِٱلْخَوْضِ فِي ذِكْرِهَا لَا ٱلِٱبْتِدَآءِ بِٱلْغَزَلِ إِذِ ٱلْمُهِمُّ وَاجِبُ ٱلتَّقْدِيمِ ـ

وَمِنْ أَدَبِ هٰذَا ٱلنَّوْعِ أَنْ لَا يَذْكُرَ ٱلشَّاعِرُ فِي ٱفْتِتَاحِ قَصِيدَةٍ بِٱلْمَدِيحِ مَا يُتَطَيَّرُ مِنْهُ. وَهٰذَا يَرْجِعُ إِلَى أَدَبِ ٱلنَّفْسِ لَا إِلَى أَدَبِ ٱلدَّرْسِ فَيَنْبَغِي أَنْ يُحْتَرَزَ مِنْهُ فِي مَوَاضِعِهِ كَوَصْفِ ٱلدِّيَارِ بِٱلدُّثُورِ وَٱلْمَنَازِلِ بِٱلْعَفَاءِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ مِنْ تَشَتُّتِ ٱلْأُلَّافِ وَذَمِّ ٱلزَّمَانِ وَلَاسِيَّمَا إِذَا كَانَ فِي ٱلتَّهَانِئِ فَإِنَّهُ يَكُونُ أَشَدَّ قُبْحًا وَإِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ ذٰلِكَ فِي ٱلْخُطُوبِ ٱلنَّازِلَةِ وَٱلنَّوَائِبِ ٱلْحَادِثَةِ وَمَتَى كَانَ ٱلْكَلَامُ فِي ٱلْمَدِيحِ مُفْتَتَحًا بِشَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ تَطَيَّرَ مِنْهُ سَامِعُهُ

وَإِنَّمَا خُصَّتِ ٱلِٱبْتِدَآءَاتُ بِٱلِٱخْتِيَارِ لِأَنَّهَا أَوَّلُ مَا يَطْرُقُ ٱلسَّمْعَ مِنَ ٱلْكَلَامِ فَإِذَا كَانَ ٱلِٱبْتِدَآءُ لَائِقًا بِٱلْمَعْنَى ٱلْوَارِدِ بَعْدَهُ تَوَفَّرَتِ ٱلدَّوَاعِي عَلَى ٱسْتِمَاعِهِ. وَمِنْ قَبِيحِ ٱلِٱبْتِدَآءَاتِ قَوْلُ ذِي ٱلرُّمَّةِ مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا ٱلْمَآءُ يَنْسَكِبُ لِأَنَّ مُقَابَلَةَ ٱلْمَمْدُوحِ بِهٰذَا ٱلْخِطَابِ لَا خَفَآءَ بِقُبْحِهِ وَكَرَاهَتِهِ. وَمِثْلُهُ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ تَجَرَّعْ أَسًى قَدْ أَقْفَرَ ٱلْأَجْرَعُ

ٱلْفَرْدُ . وَإِنَّمَا أَلْقَى أَبَا تَمَّامٍ فِي مِثْلِ هٰذَا ٱلْمَكْرُوهِ تَتَبُّعُهُ لِلتَّجْنِيسِ بَيْنَ تَجَرَّعْ وَٱلْأَجْرَعِ . وَكَذٰلِكَ ٱسْتُقْبِحَ قَوْلُ ٱلْبُحْتُرِيِّ فُؤَادٌ مَلَاهُ ٱلْحُزْنُ حَتَّى تَصَدَّعَا . فَإِنَّ ٱبْتِدَاءَ ٱلْمَدِيحِ بِمِثْلِ هٰذَا طِيَرَةٌ يَنْبُو عَنْهَا ٱلسَّمْعُ وَهُوَ أَجْدَرُ بِأَنْ يَكُونَ ٱبْتِدَاءَ مَرْثِيَةٍ لَا مَدِيحٍ وَمَا أَعْلَمُ كَيْفَ يَخْفَى هٰذَا عَلَى مِثْلِ ٱلْبُحْتُرِيِّ وَهُوَ مِنْ مُفْلِقِي ٱلشُّعَرَاءِ . وَحُكِيَ أَنَّهُ لَمَّا فَرَغَ ٱلْمُعْتَصِمُ مِنْ بِنَاءِ قَصْرِهِ بِٱلْمَيْدَانِ جَلَسَ فِيهِ وَجَمَعَ أَهْلَهُ وَأَصْحَابَهُ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا فِي زِينَتِهِمْ فَمَا رَأَى ٱلنَّاسُ أَحْسَنَ مِنْ ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ فَٱسْتَأْذَنَ إِسْحٰقُ بْنُ إِبْرٰهِيمَ ٱلْمَوْصِلِيُّ فِي ٱلْإِنْشَادِ فَأَذِنَ لَهُ فَأَنْشَدَ شِعْرًا حَسَنًا أَجَادَ فِيهِ إِلَّا أَنَّهُ ٱسْتَفْتَحَهُ بِذِكْرِ ٱلدِّيَارِ وَعَفَائِهَا فَقَالَ

يَا دَارُ غَيَّرَكِ ٱلْبِلَى وَمَحَاكِ

يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا ٱلَّذِي أَبْلَاكِ

فَتَطَيَّرَ ٱلْمُعْتَصِمُ بِذٰلِكَ وَتَغَامَزَ ٱلنَّاسُ عَلَى إِسْحٰقَ كَيْفَ ذَهَبَ عَلَيْهِ مِثْلُ ذٰلِكَ مَعَ مَعْرِفَتِهِ وَعِلْمِهِ وَطُولِ خِدْمَتِهِ لِلْمُلُوكِ . فَإِذَا أَرَادَ ٱلشَّاعِرُ أَنْ يَذْكُرَ دَارًا فِي مَدِيحِهِ فَلْيَذْكُرْ

كَمَا ذَكَرَ أَشْجَعُ ٱلسُّلَمِيُّ حَيْثُ قَالَ

قَصْرٌ عَلَيْهِ تَحِيَّةٌ وَسَلَامُ   خَلَعَتْ عَلَيْهِ جَمَالَهَا ٱلْأَيَّامُ

وَمَا أَجْدَرَ هٰذَا ٱلْبَيْتَ بِمُفْتَتَحِ شِعْرِ إِسْحَقَ بْنِ إِبْرٰهِيمَ ٱلَّذِي أَنْشَدَهُ لِلْمُعْتَصِمِ فَإِنَّهُ لَوْ ذَكَرَ هٰذَا أَوْ جَرَى مَجْرَاهُ لَكَانَ حَسَنًا لَائِقًا. وَسُئِلَ بَعْضُهُمْ عَنْ أَحْذَقِ ٱلشُّعَرَآءِ فَقَالَ مَنْ أَجَادَ ٱلْإِبْتِدَآءَ وَٱلْمَطْلَعَ. أَلَا تَرَى إِلَى قَصِيدَةِ أَبِي نُوَاسٍ ٱلَّتِي أَوَّلُهَا

يَا دَارُ مَا فَعَلَتْ بِكِ ٱلْأَيَّامُ   لَمْ يَبْقَ فِيكِ بَشَاشَةٌ تُسْتَامُ

فَإِنَّهَا مِنْ أَشْرَفِ شِعْرِهِ وَأَعْلَاهُ مَنْزِلَةً وَهِيَ مَعَ ذٰلِكَ مُسْتَكْرَهَةُ ٱلْإِبْتِدَآءِ لِأَنَّهَا فِي مَدْحِ ٱلْخَلِيفَةِ ٱلْأَمِينِ وَٱفْتِتَاحُ ٱلْمَدِيحِ بِذِكْرِ ٱلدِّيَارِ وَدُثُورِهَا مِمَّا يُتَطَيَّرُ مِنْهُ وَلَا سِيَّمَا فِي مُشَافَهَةِ ٱلْخُلَفَآءِ وَٱلْمُلُوكِ وَلِهٰذَا يُخْتَارُ فِي ذِكْرِ ٱلْأَمَاكِنِ وَٱلْمَنَازِلِ مَا رَقَّ لَفْظُهُ وَحَسُنَ ٱلنُّطْقُ بِهِ كَٱلْعُذَيْبِ وَٱلْغُوَيْرِ وَرَامَةَ وَبَارِقٍ وَٱلْعَقِيقِ وَأَشْبَاهِ ذٰلِكَ

وَٱعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَرْطِ ٱلْإِبْتِدَآءِ أَنْ لَا يَكُونَ مِمَّا يُتَطَيَّرُ مِنْهُ فَقَطْ فَإِنَّ مِنَ ٱلْإِبْتِدَآءَاتِ مَا يُسْتَقْبَحُ وَإِنْ لَمْ يُتَطَيَّرْ مِنْهُ كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ   قَدْكَ ٱتَّئِبْ أَرْبَيْتَ فِي ٱلْغُلَوَآءِ

وَكَقَوْلِهِ ثِقِي جَمَاتِي لَسْتُ طَوْعَ مُؤَنِّبِي وَقَوْلِ أَبِي ٱلطَّيِّبِ ٱلْمُتَنَبِّيْ أَقَلُّ فَعَالِي بَلْهَ أَكْثَرَهُ مَجْدُ. وَٱلْعَجَبُ أَنَّ هٰذَيْنِ ٱلشَّاعِرَيْنِ ٱلْمُفْلِقَيْنِ يَبْتَدِئَانِ بِمِثْلِ ذٰلِكَ وَلَهُمَا مِنَ ٱلِٱبْتِدَاءَاتِ ٱلْحَسَنَةِ مَا أَذْكُرُهُ. أَمَّا أَبُو تَمَّامٍ فَإِنَّهُ ٱفْتَتَحَ قَصِيدَتَهُ ٱلَّتِي مَدَحَ بِهَا ٱلْمُعْتَصِمَ عِنْدَ فَتْحِهِ مَدِينَةَ عَمُّورِيَّةَ فَقَالَ

أَلسَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَآءً مِنَ ٱلْكُتُبِ
فِي حَدِّهِ ٱلْحَدُّ بَيْنَ ٱلْجِدِّ وَٱللَّعِبِ
بِيضُ ٱلصَّفَائِحِ لَا سُودُ ٱلصَّحَائِفِ فِي
مُتُونِهِنَّ جِلَآءُ ٱلشَّكِّ وَٱلرِّيَبِ

فَلَمَّا فُتِحَتْ بَنَى أَبُو تَمَّامٍ مَطْلَعَ قَصِيدَتِهِ عَلَى هٰذَا ٱلْمَعْنَى وَجَعَلَ ٱلسَّيْفَ أَصْدَقَ مِنَ ٱلْكُتُبِ ٱلَّتِي خَبَّرَتْ بِٱمْتِنَاعِ ٱلْبَلَدِ وَٱعْتِصَامِهَا. وَقَوْلُهُ فِي أَوَّلِ مَرْثِيَةٍ

أَصَمَّ بِكَ ٱلنَّاعِي وَإِنْ كَانَ أَسْمَعَا
وَأَصْبَحَ مَغْنَى ٱلْجُودِ بَعْدَكَ بَلْقَعَا

وَأَمَّا أَبُو ٱلطَّيِّبِ فَإِنَّهُ أَكْثَرَ مِنَ ٱلِٱبْتِدَاءَاتِ ٱلْحَسَنَةِ فِي شِعْرِهِ كَقَوْلِهِ فِي قَصِيدَةٍ يَمْدَحُ بِهَا كَافُورًا وَكَانَ قَدْ جَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱبْنِ سَيِّدِهِ نَزْغَةٌ فَبَدَأَ قَصِيدَتَهُ بِذِكْرِ ٱلْغَرَضِ

ٱلْمَقْصُودِ فَقَالَ

حَسَمَ ٱلصُّلْحُ مَا ٱشْتَهَتْهُ ٱلْأَعَادِي

وَأَذَاعَتْهُ أَلْسُنُ ٱلْحُسَّادِ

وَهٰذَا مِنْ بَدِيعِ ٱلِابْتِدَاءِ وَنَادِرِهِ. وَكَذٰلِكَ وَرَدَ قَوْلُهُ فِي سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ وَكَانَ ٱبْنُ ٱلشُّمُشْقِيقِ حَلَفَ لَيَلْقَيَنَّهُ كِفَاحًا فَلَمَّا ٱلْتَقَيَا لَمْ يُطِقْ ذٰلِكَ وَوَلَّى هَارِبًا فَٱفْتَتَحَ أَبُو ٱلطَّيِّبِ قَصِيدَتَهُ بِفَحْوَى ٱلْأَمْرِ فَقَالَ

عُقْبَى ٱلْيَمِينِ عَلَى عُقْبَى ٱلْوَغَى نَدَمُ

مَاذَا يَزِيدُكَ فِي إِقْدَامِكَ ٱلْقَسَمُ

وَفِي ٱلْيَمِينِ عَلَى مَا أَنْتَ وَاعِدُهُ

مَا دَلَّ أَنَّكَ فِي ٱلْمِيعَادِ مُتَّهَمُ

وَمِنَ ٱلْبَدِيعِ ٱلنَّادِرِ فِي هٰذَا ٱلْبَابِ قَوْلُهُ مُتَغَزِّلًا فِي مَطْلَعِ قَصِيدَتِهِ ٱلْقَافِيَّةِ وَهِيَ

أَتُرَاهَا لِكَثْرَةِ ٱلْعُشَّاقِ تَحْسَبُ ٱلدَّمْعَ خِلْقَةً فِي ٱلْمَآقِي

وَهٰذَا ٱلْقَدْرُ مِنَ ٱلْأَمْثِلَةِ كَافٍ لِلْمُتَعَلِّمِ وَٱللّٰهُ ٱلْمُوَفِّقُ

(انتهى ملخصاً ببعض تصرّف عن المثل السائر)

ٱلْفَصْلُ ٱلتَّاسِعُ

فِي ٱلتَّخَلُّصِ وَٱلِٱقْتِضَابِ

إِعْلَمْ أَنَّ ٱلتَّخَلُّصَ هُوَ أَنْ يَأْخُذَ مُؤَلِّفُ ٱلْكَلَامِ فِي مَعْنًى مِنَ ٱلْمَعَانِي فَبَيْنَا هُوَ فِيهِ إِذْ أَخَذَ فِي مَعْنًى آخَرَ غَيْرِهِ وَجَعَلَ ٱلْأَوَّلَ سَبَبًا إِلَيْهِ فَيَكُونُ بَعْضُهُ آخِذًا بِرِقَابِ بَعْضٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَقْطَعَ كَلَامَهُ وَيَسْتَأْنِفَ كَلَامًا آخَرَ بَلْ يَكُونُ جَمِيعُ كَلَامِهِ كَأَنَّمَا أُفْرِغَ إِفْرَاغًا وَذٰلِكَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى حِذْقِ ٱلشَّاعِرِ وَقُوَّةِ تَصَرُّفِهِ مِنْ أَجْلِ أَنَّ نِطَاقَ ٱلْكَلَامِ يَضِيقُ عَلَيْهِ وَيَكُونُ مُتَّبِعًا لِلْوَزْنِ وَٱلْقَافِيَةِ فَلَا تُوَاتِيهِ ٱلْأَلْفَاظُ عَلَى حَسَبِ إِرَادَتِهِ. وَأَمَّا ٱلنَّاثِرُ فَإِنَّهُ مُطْلَقُ ٱلْعِنَانِ يَمْضِي حَيْثُ شَاءَ فَلِذٰلِكَ يَشُقُّ ٱلتَّخَلُّصُ عَلَى ٱلشَّاعِرِ أَكْثَرَ مِمَّا يَشُقُّ عَلَى ٱلنَّاثِرِ

وَأَمَّا ٱلِٱقْتِضَابُ فَإِنَّهُ ضِدُّ ٱلتَّخَلُّصِ وَذَاكَ أَنْ يَقْطَعَ ٱلشَّاعِرُ كَلَامَهُ ٱلَّذِي هُوَ فِيهِ وَيَسْتَأْنِفَ كَلَامًا آخَرَ غَيْرَهُ مِنْ مَدِيحٍ أَوْ هِجَاءٍ أَوْ غَيْرِ ذٰلِكَ وَلَا يَكُونُ لِلثَّانِي عِلَاقَةٌ بِٱلْأَوَّلِ وَهُوَ مَذْهَبُ ٱلْعَرَبِ وَمَنْ يَلِيهِمْ مِنَ ٱلْمُخَضْرَمِينَ. وَأَمَّا

ٱلْمُحْدَثُونَ فَإِنَّهُمْ تَصَرَّفُوا فِي ٱلتَّخَلُّصِ فَأَبْدَعُوا وَأَظْهَرُوا مِنْهُ كُلَّ غَرِيبَةٍ فَمِنْ ذٰلِكَ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ

يَقُولُ فِي قُومَسٍ صَحْبِي وَقَدْ أَخَذَتْ
مِنَّا ٱلسُّرَى وَخُطَى ٱلْمَهْرِيَّةِ ٱلْقُودِ

أَمَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ تَبْغِي أَنْ تَؤُمَّ بِنَا
فَقُلْتُ كَلَّا وَلٰكِنْ مَطْلِعَ ٱلْجُودِ

وَقَوْلُهُ

غَيْدَاءَ جَادَ وَلِيُّ ٱلْحُسْنِ سُنَّتَهَا
فَصَاغَهَا بِيَدَيْهِ رَوْضَةً أُنُفَا

يُضْحِي ٱلْعَذُولُ عَلَى تَأْنِيبِهِ كَلِفًا
بِعُذْرِ مَنْ كَانَ مَشْغُوفًا بِهَا كَلِفَا

وَدِّعْ فُؤَادَكَ تَوْدِيعَ ٱلْفِرَاقِ فَمَا
أَرَاهُ مِنْ سَفَرِ ٱلتَّوْدِيعِ مُنْصَرِفَا

يُجَاهِدُ ٱلشَّوْقَ طَوْرًا ثُمَّ يَجْذِبُهُ
جِهَادَهُ لِلْقَوَافِي فِي أَبِي دُلَفَا

وَمِمَّا جَاءَ مِنَ ٱلتَّخَلُّصَاتِ ٱلْحَسَنَةِ قَوْلُ ٱلْمُتَنَبِّي فِي قَصِيدَتِهِ ٱلدَّالِيَّةِ

خَلِيلَيَّ إِنِّي لَا أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ
فَلِمْ مِنْهُمُ ٱلدَّعْوَى وَمِنِّي ٱلْقَصَائِدُ
فَلَا تَعْجَبَا إِنَّ ٱلسُّيُوفَ كَثِيرَةٌ
وَلَٰكِنَّ سَيْفَ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْيَوْمَ وَاحِدُ

وَهٰذَا هُوَ ٱلْكَلَامُ ٱلْآخِذُ بَعْضُهُ بِرِقَابِ بَعْضٍ أَلَا تَرَى إِلَى ٱلْخُرُوجِ إِلَى مَدْحِ ٱلْمَمْدُوحِ فِي هٰذِهِ ٱلْأَبْيَاتِ كَأَنَّهُ أُفْرِغَ فِي قَالَبٍ وَاحِدٍ. وَكَذٰلِكَ قَوْلُهُ أَيْضًا وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ مَا أَتَى بِهِ مِنَ ٱلتَّخَلُّصَاتِ وَهُوَ فِي قَصِيدَتِهِ ٱلتَّائِيَّةِ

وَمَطَالِبٍ فِيهَا ٱلْهَلَاكُ أَتَيْتُهَا ... ثَبْتَ ٱلْجَنَانِ كَأَنَّنِي لَمْ آتِهَا
وَمَقَانِبٍ بِمَقَانِبٍ غَادَرْتُهَا ... أَقْوَاتَ وَحْشٍ كُنَّ مِنْ أَقْوَاتِهَا
أَقْبَلْتُهَا غُرَرَ ٱلْجِيَادِ كَأَنَّمَا ... أَيْدِي بَنِي عِمْرَانَ فِي جَبَهَاتِهَا
أَلثَّابِتِينَ فُرُوسَةً كَجُلُودِهَا ... فِي ظَهْرِهَا وَٱلطَّعْنُ فِي لَبَّاتِهَا
فَكَأَنَّهَا نُتِجَتْ قِيَامًا تَحْتَهُمْ ... وَكَأَنَّهُمْ وُلِدُوا عَلَى صَهَوَاتِهَا
تِلْكَ ٱلنُّفُوسُ ٱلْغَالِبَاتُ عَلَى ٱلْعُلَى ... وَٱلْمَجْدُ يَغْلِبُهَا عَلَى شَهَوَاتِهَا
سُقِيَتْ مَنَابِتُهَا ٱلَّتِي سَقَتِ ٱلْوَرَى ... بِيَدَيْ أَبِي أَيُّوبَ خَيْرِ نَبَاتِهَا

فَٱنْظُرْ إِلَى هٰذَيْنِ ٱلتَّخَلُّصَيْنِ ٱلْبَدِيعَيْنِ فَٱلْأَوَّلُ خَرَجَ بِهِ إِلَى مَدْحِ قَوْمِ ٱلْمَمْدُوحِ وَٱلثَّانِي خَرَجَ بِهِ إِلَى نَفْسِ

ٱلْمَمْدُوحِ وَكِلَاهُمَا قَدْ أَغْرَبَ فِيهِ كُلَّ ٱلْإِغْرَابِ . وَعَلَى هٰذَا جَآءَ قَوْلُهُ

إِذَا صُلْتُ لَمْ أَتْرُكْ مَصَالاً لِفَاتِكٍ
وَإِنْ قُلْتُ لَمْ أَتْرُكْ مَقَالاً لِعَالِمِ
وَإِلَّا فَخَانَتْنِي ٱلْقَوَافِي وَعَاقَنِي
عَنِ ٱبْنِ عُبَيْدِ ٱللّٰهِ ضُعْفُ ٱلْعَزَائِمِ

وَٱعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ يَقْصِدُ ٱلشَّاعِرُ ٱلتَّخَلُّصَ فَيَأْتِي بِهِ قَبِيحًا كَمَا فَعَلَ فَقَالَ عِنْدَ ٱلْخُرُوجِ مِنَ ٱلْغَزَلِ إِلَى ٱلْمَدِيحِ

غَدَا بِكِ كُلُّ خِلْوٍ مُسْتَهَامًا وَأَصْبَحَ كُلُّ مَسْتُورٍ خَلِيعَا
أُحِبُّكِ أَوْ يَقُولُوا جَرَّ نَمْلٌ ثَبِيرَ أَوِ ٱبْنُ إِبْرٰهِيمَ رِيعَا

وَهٰذَا تَخَلُّصٌ كَمَا تَرَاهُ بَارِدٌ لَيْسَ عَلَيْهِ مِنْ مَسْحَةِ ٱلْجَمَالِ شَيْءٌ وَهٰهُنَا يَكُونُ ٱلِٱقْتِضَابُ أَحْسَنَ مِنَ ٱلتَّخَلُّصِ . فَيَنْبَغِي لِسَالِكِ هٰذِهِ ٱلطَّرِيقَةِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَا يَصُوغُهُ فَإِنْ أَتَاهُ ٱلتَّخَلُّصُ حَسَنًا كَمَا يَنْبَغِي وَإِلَّا فَلْيَدَعْهُ وَلَا يَسْتَكْرِهْهُ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ هٰذَا كَمَا فَعَلَ ٱلْمُتَنَبِّي

وَقَدِ ٱسْتَعْمَلَ ذٰلِكَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فِي قَصِيدَتِهِ ٱلَّتِي أَوَّلُهَا أَحْيَا وَأَيْسَرُ مَا قَاسَيْتُ مَا قَتَلَا فَقَالَ

عَلَّ ٱلْأَمِيرَ يَرَى ذُلِّي فَيَشْفَعَ لِي
إِلَى ٱلَّتِي تَرَكَتْنِي فِي ٱلْهَوَى مَثَلَا

وَٱلْإِضْرَابُ عَنْ مِثْلِ هٰذَا ٱلتَّخَلُّصِ خَيْرٌ مِنْ ذِكْرِهِ وَمَا أَلْقَاهُ فِي هٰذِهِ ٱلْهُوَّةِ إِلَّا أَبُو نُوَاسٍ فَإِنَّهُ قَالَ

سَأَشْكُو إِلَى ٱلْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ
هَوَاكِ لَعَلَّ ٱلْفَضْلَ يَجْمَعُ بَيْنَنَا

وَلِهٰذَا نَظَائِرُ وَأَشْبَاهٌ فَلْيَتَخَيَّرِ ٱلنَّاظِمُ

وَٱلِاقْتِضَابُ ٱلْوَارِدُ فِي ٱلشِّعْرِ كَثِيرٌ لَا يُحْصَى وَٱلتَّخَلُّصُ بِٱلنِّسْبَةِ إِلَيْهِ قَطْرَةٌ مِنْ بَحْرٍ وَلَا يَكَادُ يُوجَدُ ٱلتَّخَلُّصُ فِي شِعْرِ ٱلشَّاعِرِ ٱلْمُجِيدِ إِلَّا قَلِيلًا بِٱلنِّسْبَةِ إِلَى ٱلْمُقْتَضَبِ مِنْ شِعْرِهِ. فَمِنَ ٱلِاقْتِضَابِ قَوْلُ أَبِي نُوَاسٍ فِي قَصِيدَتِهِ ٱلنُّونِيَّةِ ٱلَّتِي أَوَّلُهَا يَا كَثِيرَ ٱلنَّوْحِ فِي ٱلدِّمَنِ وَهٰذِهِ ٱلْقَصِيدَةُ هِيَ عَيْنُ شِعْرِهِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُكْمِلْ حُسْنَهَا بِٱلتَّخَلُّصِ مِنَ ٱلْغَزَلِ إِلَى ٱلْمَدِيحِ بَلِ ٱقْتَضَبَهُ ٱقْتِضَابًا فَبَيْنَا هُوَ يَصِفُ ٱلْخَمْرَ وَيَقُولُ

فَٱسْقِنِي كَأْسًا عَلَى عَذَلٍ ... كَرِهَتْ مَسْمُوعَهُ أُذُنِي
مِنْ كُمَيْتِ ٱللَّوْنِ صَافِيَةٍ ... خَيْرِ مَا سَلْسَلْتَ فِي بَدَنِي
مَا ٱسْتَقَرَّتْ فِي فُؤَادِ فَتًى ... فَدَرَى مَا لَوْعَةُ ٱلْحَزَنِ

حَتَّى قَالَ

تَضْحَكُ ٱلدُّنْيَا إِلَى مَلِكٍ ... قَامَ بِٱلآثَارِ وَٱلسُّنَنِ

سَنَّ لِلنَّاسِ ٱلنَّدَى فَنَدَوْا ... فَكَأَنَّ ٱلْبُخْلَ لَمْ يَكُنِ

فَأَكْثَرُ مَدَائِحِ أَبِي نُوَاسٍ مُقْتَضَبَةٌ هٰكَذَا. وَمِنْ هٰذَا ٱلْبَابِ قَوْلُ ٱلْبُحْتُرِيِّ فِي قَصِيدَتِهِ ٱلْمَشْهُورَةِ بِٱلْجُودَةِ ٱلَّتِي مَدَحَ بِهَا ٱلْفَتْحَ بْنَ خَاقَانَ وَذَكَرَ لِقَاءَهُ ٱلْأَسَدَ وَقَتْلَهُ إِيَّاهُ وَأَوَّلُهَا أَجِدَّكَ مَا يَنْفَكُّ يَسْرِي لِزَيْنَبَا وَهِيَ مِنْ أُمَّهَاتِ شِعْرِهِ وَمَعَ ذٰلِكَ لَمْ يُوَفَّقْ فِيهَا لِلتَّخَلُّصِ مِنَ ٱلْغَزَلِ إِلَى ٱلْمَدِيحِ فَإِنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ فِي تَغَزُّلِهِ وَهُوَ يَقُولُ

عَهِدْتُكَ إِنْ مَنَّيْتَ مَنَّيْتَ مَوْعِدًا

جَهَامًا وَإِنْ أَبْرَقْتَ أَبْرَقْتَ خُلَّبَا

وَكُنْتُ أَرَى أَنَّ ٱلصُّدُودَ ٱلَّذِي مَضَى

دَلَالٌ فَمَا إِنْ كَانَ إِلَّا تَجَنُّبَا

فَوَا أَسَفَا حَتَّامَ أَسْأَلُ مَانِعًا

وَآمَنُ خَوَّانًا وَأُعْتِبُ مُذْنِبَا

حَتَّى قَالَ فِي أَثَرِ ذٰلِكَ

أَقُولُ لِرَكْبٍ مُعْتَفِينَ تَدَرَّعُوا
عَلَى عَجَلٍ قِطْعًا مِنَ ٱللَّيْلِ غَيْهَبَا
رِدُوا نَائِلَ ٱلْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ إِنَّهُ
أَعَمُّ نَدًى فِيكُمْ وَأَيْسَرُ مَطْلَبَا

فَخَرَجَ إِلَى ٱلْمَدِيحِ بِغَيْرِ وُصْلَةٍ وَلَا سَبَبٍ. وَكَذٰلِكَ قَوْلُهُ فِي قَصِيدَتِهِ ٱلْمَشْهُورَةِ بِٱلْجُودَةِ ٱلَّتِي مَدَحَ بِهَا ٱلْفَتْحَ بْنَ خَاقَانَ أَيْضًا وَأَوَّلُهَا مَتَى لَاحَ بَرْقٌ أَوْ بَدَا طَلَلٌ قَفْرُ فَبَيْنَا هُوَ فِي غَزَلِهَا حَتَّى قَالَ

لَعَمْرُكَ مَا ٱلدُّنْيَا بِنَاقِصَةِ ٱلْجَدَى
إِذَا بَقِيَ ٱلْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ وَٱلْقَطْرُ

فَخَرَجَ إِلَى ٱلْمَدِيحِ مُقْتَضَبًا لَا مُتَعَلِّقًا بِهِ. وَأَمْثَالُ هٰذَا فِي شِعْرِهِ كَثِيرٌ

وَٱلتَّخَلُّصُ غَيْرُ مُمْكِنٍ فِي كُلِّ ٱلْأَحْوَالِ وَهُوَ مِنْ مُسْتَصْعَبَاتِ عِلْمِ ٱلْبَيَانِ فَلْيَتَدَبَّرِ ٱلشَّاعِرُ وَبِهٰذَا ٱلْقَدْرِ مِنَ ٱلْأَمْثِلَةِ كِفَايَةٌ لِلطَّالِبِ

(انتهى ملخصًا عن المثل السائر)

اَلْفَصْلُ الْعَاشِرُ

فِي الْخِتَامِ

هٰذَا النَّوْعُ يَنْبَغِي لِلشَّاعِرِ وَالنَّاثِرِ أَنْ يَتَأَنَّقَا فِيهِ غَايَةَ التَّأَنُّقِ وَيُجَوِّدَا فِيهِ مَا اسْتَطَاعَا لِأَنَّهُ آخِرُ مَا يَنْتَهِي إِلَى السَّمْعِ وَيَتَرَدَّدُ صَدَاهُ فِي الْأُذُنِ وَيَعْلَقُ بِحَوَاشِي الذِّكْرِ فَهُوَ كَمَقْطَعِ الشَّرَابِ يَكُونُ آخِرَ مَا يَمُرُّ بِالْفَمِ وَيَعْرِضُ عَلَى الذَّوْقِ فَيَشْعُرُ مِنْهُ بِمَا لَا يَشْعُرُ مِنْ سِوَاهُ حَتَّى لَوْ كَانَ فِي الشَّرَابِ بَعْضُ مَرَارَةٍ وَكَانَ حُلْوَ الثُّمَالَةِ طَيِّبَ الْمَنْزَعَةِ سَتَرَ هٰذَا الْحُلْوُ تِلْكَ الْمَرَارَةَ وَكَانَ هُوَ الْبَاقِيَ وَهِيَ الذَّاهِبَةَ. وَلِذٰلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْخِتَامُ مُمَيَّزًا عَنْ سَائِرِ الْكَلَامِ قَبْلَهُ بِنُكْتَةٍ لَطِيفَةٍ أَوْ أُسْلُوبٍ رَشِيقٍ أَوْ مَعْنًى بَلِيغٍ وَيُخْتَارَ لَهُ مِنَ اللَّفْظِ الرَّقِيقُ الْحَاشِيَةِ الْخَفِيفُ الْمَحْمِلِ عَلَى السَّمْعِ السَّهْلُ الْوُرُودِ عَلَى الطَّبْعِ وَيُتَجَافَى بِهِ عَنِ الْإِسْهَابِ وَالتَّعْقِيدِ وَالثِّقَلِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ مِمَّا تَنْبُو عَنْهُ الْأُذُنُ وَتَثْقُلُ مَؤُونَتُهُ عَلَى الذِّكْرِ فَتَذْهَبُ طَلَاوَتُهُ وَتَضِيعُ بِهِ مَحَاسِنُ مَا قَبْلَهُ لِأَنَّ كُلَّ تَالٍ مِمَّا سَبَقَهُ يَمْحُو أَثَرَ مَا تَلَاهُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْآخِرِ مَا يَخْلُفُ تِلْكَ الْمَحَاسِنَ كُلَّهَا ذَهَبَتْ بِأَسْرِهَا طَلَفًا. وَمَتَى جَوَّدَ الشَّاعِرُ أَوِ

ٱلنَّاثِرُ فِي آخِرِ كَلَامِهِ كَانَ ذٰلِكَ دَلِيلًا عَلَى سَعَةِ صَدْرِهِ وَقُوَّةِ ضَرِيبَتِهِ وَأَنَّهُ لَمْ يُسْرِعْ إِلَيْهِ ٱلضَّجَرُ وَلَمْ يَسْتَوْلِ عَلَيْهِ ٱلْحَصَرُ وَلَمْ يَنْتَزِفْ مَادَّتَهُ ٱلْإِنْفَاقُ وَيَكُونُ مَثَلُهُ مَثَلَ ٱلْفَرَسِ ٱلْجَوَادِ كُلَّمَا ذَهَبَ مِنْهُ جَرْيٌ نَشِطَ لِغَيْرِهِ وَكَانَ فِي آخِرِ شَوْطِهِ أَقْوَى مِنْهُ فِي أَوَّلِهِ

وَحُكْمُ ٱلْخِتَامِ أَنْ يَكُونَ مُؤْذِنًا بِتَمَامِ ٱلْكَلَامِ بِحَيْثُ يَكُونُ وَاقِعًا عَلَى آخِرِ ٱلْمَعْنَى فَلَا يَنْتَظِرُ ٱلسَّامِعُ شَيْئًا بَعْدَهُ وَأَظْهَرُ مَا يَكُونُ هٰذَا فِي ٱلْقِصَصِ ٱلْمَسُوقَةِ كَمَا فِي ٱلْمَقَامَاتِ مَثَلًا فَإِنَّ نِهَايَةَ ٱلْوَاقِعَةِ تَدُلُّ عَلَى خِتَامِ ٱلْمَعْنَى فَيُخْتَمُ بِهِ ٱللَّفْظُ . وَإِذَا لَمْ يَكُنِ ٱلْمَعْنَى دَالًّا بِنَفْسِهِ عَلَى ٱلْخِتَامِ حَسُنَ أَنْ يُدَلَّ عَلَيْهِ بِكَلَامٍ آخَرَ يُذْكَرُ عَلَى عَقِبِ ٱلْفَرَاغِ مِنْ سِيَاقَةِ ٱلْأَغْرَاضِ ٱلسَّابِقَةِ وَحُكْمُهُ أَنْ يَكُونَ مُنْتَزَعًا مِمَّا سَبَقَهُ فَيَقْفُي بِهِ تَقْرِيرًا لِشَيْءٍ مِنْ تِلْكَ ٱلْأَغْرَاضِ أَوْ إِجْمَالًا لِمُفَصَّلِهَا مُورَدًا عَلَى وَجْهٍ مِنْ وُجُوهِ ٱلْبَلَاغَةِ أَوِ ٱلْكَلَامِ ٱلْجَامِعِ أَوْ مُخْرَجًا مُخْرَجَ ٱلْمَثَلِ أَوِ ٱلْحِكْمَةِ أَوْ مَا شَاكَلَ ذٰلِكَ مِمَّا تَعْلَقُهُ ٱلْخَوَاطِرُ وَتُقَيِّدُهُ ٱلْأَذْهَانُ . وَهٰذَا مِنْ أَوْعَرِ مَسَالِكِ هٰذَا ٱلنَّوْعِ وَٱلظَّافِرُونَ بِقَلَائِدِهِ قَلِيلٌ لِعِزَّتِهِ وَٱمْتِنَاعِهِ وَأَكْثَرُ مَا يَجِيءُ

فِي ٱلشِّعْرِ أَوْ مَا يُنْحَى فِيهِ مَنْحَاهُ مِنْ مَقَامَاتِ ٱلْبَلَاغَةِ وَٱلْجَزَالَةِ

وَذٰلِكَ كَقَوْلِ أَبِي ٱلطَّيِّبِ ٱلْمُتَنَبِّي

وَمَا أَخُصُّكَ فِي بُرْءٍ بِتَهْنِئَةٍ
إِذَا سَلِمْتَ فَكُلُّ ٱلنَّاسِ قَدْ سَلِمُوا

وَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ

أَوْلَى ٱلْبَرِيَّةِ حَقًّا أَنْ تُرَاعِيَهُ
عِنْدَ ٱلسُّرُورِ ٱلَّذِي آسَاكَ فِي ٱلْحَزَنِ

إِنَّ ٱلْكِرَامَ إِذَا مَا أَسْهَلُوا ذَكَرُوا
مَنْ كَانَ يَأْلَفُهُمْ فِي ٱلْمَنْزِلِ ٱلْخَشِنِ

وَكَقَوْلِ ٱلزَّمَخْشَرِيِّ فِي خِتَامِ إِحْدَى مَقَالَاتِهِ إِنَّ ٱلطَّيْشَ فِي ٱلْكَلَامِ يُتَرْجِمُ عَنْ خِفَّةِ ٱلْأَحْلَامِ وَمَا دَخَلَ ٱلرِّفْقُ شَيْئًا إِلَّا زَانَهُ وَمَا زَانَ ٱلْمُتَكَلِّمَ إِلَّا ٱلرَّزَانَةُ. وَكَقَوْلِهِ فِي خِتَامِ أُخْرَى وَمَنْ جَاءَ بِٱلدَّعْوَةِ يُخْفِيهَا وَيَخَافُ ٱلْمَدْعُوَّ فِيهَا فَيَا لَهَا مُحْكَمَةً ذَاتَ نَيِّرَيْنِ مُشْرِقَةً ذَاتَ نُورَيْنِ قَدْ أَخْرَجَتْهَا ٱلْخُفْيَةُ مِنْ بَابِ ٱلرِّئَاءِ وَأَدْخَلَتْهَا ٱلْخِيفَةُ فِي بَابِ ٱلْاِتِّقَاءِ وَلٰكِنَّ ٱلنَّاسَ عَنِ ٱلتَّحْقِيقِ رُقُودٌ وَٱلنَّظَرُ ٱلصَّحِيحُ بَيْنَهُمْ مَفْقُودٌ. وَأَمَّا فِي غَيْرِ ذٰلِكَ فَٱلْأَكْثَرُ فِي هٰذَا ٱلضَّرْبِ أَنْ

يُضمِنَ غرضًا آخرَ مِنَ ٱلدُّعَآءِ أَوْ عَرْضِ ٱلنَّفْسِ عَلَى خِدْمَةِ ٱلْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ أَوِ تَوَقُّعِ ٱلْجَوَابِ مِنْهُ أَوْ غَيْرِ ذٰلِكَ مِمَّا تَحْتَمِلُهُ مَقَامَاتُ ٱلْكَلَامِ وَتَقْتَضِيهِ دَوَاعِي ٱلْحَالِ وَهِيَ طَرِيقَةُ ٱلْكُتَّابِ وَٱلْمُوَلَّدِينَ مِنَ ٱلشُّعَرَآءِ ذَهَابًا إِلَى ٱلْفَأْلِ أَوِ ٱلتَّبَرُّكِ أَوْ زِيَادَةِ ٱلتَّحَبُّبِ وَٱلتَّقَرُّبِ مِنْ مَقَامِ ٱلْمُخَاطَبِ أَوِ ٱلْمَمْدُوحِ وَأَكْثَرُ مَا يَخْتِمُونَهَا فِي ٱلنَّثْرِ بَعْدَ ٱلْأَغْرَاضِ ٱلْمَذْكُورَةِ بِقَوْلِهِمْ إِنْ شَآءَ ٱللّٰهُ أَوْ بِمَنِّ ٱللّٰهِ وَفَضْلِهِ وَمَا أَشْبَهَ ذٰلِكَ. وَٱلْأَمْثِلَةُ عَلَى جَمِيعِ ذٰلِكَ كَثِيرَةٌ مُسْتَفِيضَةٌ كَقَوْلِ ٱلْقَاضِي مُحْيِي ٱلدِّينِ بْنِ عَبْدِ ٱلظَّاهِرِ فِي خِتَامِ صُورَةِ عَهْدٍ لِلْمَلِكِ ٱلْأَشْرَفِ صَلَاحِ ٱلدِّينِ خَلِيلٍ وَٱللّٰهُ تَعَالَى يَجْعَلُ ٱسْتِخْلَافَهُ هٰذَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا وَلِلْمُعْتَدِينَ ٱنْفِصَامًا وَيُطْفِئُ بِمَآءِ سُيُوفِهِ نَارَ كُلِّ حَطَبٍ حَتَّى تُصْبِحَ كَمَا أَصْبَحَتْ نَارُ سَمِيِّهِ بَرْدًا وَسَلَامًا. وَقَوْلِ ٱلْوَزِيرِ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ ٱلْقَاسِمِ فِي خِتَامِ جَوَابٍ وَإِنَّ قَسِيمَكَ ٱلْمُجِلَّ لِقَدْرِكَ وَحَمِيمَكَ ٱلْمُتَنَاهِيَ فِي بِرِّكَ تَصَفَّحَ ثَنَآءَكَ مَجْدًا وَطَوْلًا وَٱسْتَوْضَحَ إِخَآءَكَ عَقْدًا وَقَوْلًا وَأَعْطَاكَ صَفْقَةَ يَمِينِهِ عَلَى ٱلْمَوَدَّةِ وَٱلْإِكْبَارِ وَوَلَّاكَ صَفْوَةَ يَقِينِهِ صَادِقَةَ ٱلْإِعْلَانِ وَٱلْإِسْرَارِ فَلَنْ تَزَالَ بِتَوْفِيقِ ٱللّٰهِ

تجده حيث تنشده وتعهده على أبرّ ما تعتقده إن شاء الله. وقول البديع الهمذاني في ختام رسالة وللشيخ الرئيس في تشريفي بالجواب وتعريفي بسارّ الأخبار وتكليفي سوانح الأوطار وتصريفي على الأمر والنهي رأيه الموفق إن شاء الله تعالى. ومن أمثلته في الشعر قول المتنبي

فلا حطّت لك الهيجاء سرجا
ولا ذاقت لك الدنيا فراقا

وقوله

أتمّ سعدك من أعطاك أوّله
ولا استردّ حياة منك معطيها

وقول ابن الوردي

سلام عليكم ما أحبّ وصالكم
وغاية مجهود المقلّ سلام

وكثيراً ما يختم الناثر بقوله والسلام وهو من مقامات الاختصار والإيجاز ويكثر استعماله في رسائل العتب والموجدة وما أشبه ذلك. وقد يختم بلا حول ولا قوّة

إلاَّ باللهِ أَوْ بقولِهِ واللهُ المستعانُ أَوْ والحمدُ للهِ أَوْ واللهُ أَعلَمُ أَوْ غيرِ ذلكَ ممَّا تدعُو إليهِ الحالُ . وربَّما ختمَ بمثلٍ أَوْ ببيتٍ منَ الشعرِ وذلكَ كقولِ الخوارزميِّ في ختامِ رسالةٍ وَلقدْ سلكَ الأميرُ منَ الكرمِ طريقاً يستوحشُ فيها لِقلَّةِ سالكيها ويتيهُ في قفارِها لِدُرُوسِ آثارِها وانهدامِ منارِها أَعانهُ اللهُ على صعوبةِ الطَّريقِ وقِلَّةِ الرَّفيقِ وألهمَهُ صبراً يهوِّنُ عليهِ احتمالَ المغارمِ ويقرِّبُ عليهِ مسافةَ المكارمِ فبالصَّبرِ تنالُ العُلى وعندَ الصَّباحِ يحمدُ القومُ السُّرى . وقولِهِ أيضاً في ختامِ تسليةٍ ولكنَّ الغضبَ ينسي الحرُماتِ ويدفنُ السيِّئاتِ ويخلقُ للبريءِ جناياتٍ

وإنَّ أميرَ المؤمنينَ وفعلَهُ

لَكالدَّهرِ لا عارٌ بما فعلَ الدَّهرُ

إنتهى وفي هذا القدرِ غُنيةٌ للبصيرِ وفي تتبُّعِ رسائلِهِمْ وخُطَبِهِمْ ودواوينِ الشعراءِ منهُمْ قديمِها وحديثِها مؤونةٌ كافيةٌ بهدايةِ اللهِ وتسديدِهِ (مصحح)



اَلْقِسْمُ ٱلثَّانِي

فِي شَذَرَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ أَقْوَالِ ٱلْكُتَّابِ
وَفِيهِ فُصُولٌ

فَصْلٌ

فِي حُسْنِ ٱلتَّوَاصُلِ

كتبَ ابو عبدِ الرحمنِ محمدُ بنُ طاهرٍ الى بعض إخوانهِ

كَتَبْتُ أَعَزَّكَ ٱللّٰهُ عَنْ ضَمِيرٍ ٱنْدَمَجَ عَلَى سِرِّ ٱعْتِقَادِكَ دُرُّهُ وَتَبَلَّجَ فِي أُفُقِ وِدَادِكَ بَدْرُهُ وَسَالَ عَلَى صَفَحَاتِ ثَنَائِكَ مِسْكُهُ وَصَارَ فِي رَاحَتَيْ سَنَائِكَ مِلْكُهُ وَلَمَّا ظَفِرْتُ بِفُلَانٍ حَمَّلْتُهُ مِنْ تَحِيَّتِي زَهَرًا جَنِيًّا يُوَافِيكَ عَرْفُهُ ذَكِيًّا وَيُوَالِيكَ أُنْسُهُ نَجِيًّا وَيَقْضِي مِنْ حَقِّكَ فَرْضًا مَأْتِيًّا عَلَى أَنَّ شَخْصَ جَلَالِكَ لِي مَاثِلٌ وَبَيْنَ ضُلُوعِي نَازِلٌ لَا يَمَلُّهُ خَاطِرٌ وَلَا يَمَسُّهُ عَرَضٌ دَائِرٌ إِنْ شَاءَ ٱللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ

وكتبَ ابو الفضلِ بنُ العَميدِ الى بعضِ إخوانهِ

قَدْ قَرَّبَ أَيَّدَكَ ٱللّٰهُ مَحَلَّكَ عَلَى تَرَاخِيهِ وَتَصَاقَبَ

مُسْتَقَرُّكَ عَلَى تَنَائِيهِ لِأَنَّ ٱلشَّوْقَ يُمَثِّلُكَ وَٱلذِّكْرَ يُخَيِّلُكَ فَنَحْنُ فِي ٱلظَّاهِرِ عَلَى ٱفْتِرَاقٍ وَفِي ٱلْبَاطِنِ عَلَى تَلَاقٍ وَفِي ٱلتَّسْمِيَةِ مُتَبَايِنُونَ وَفِي ٱلْمَعْنَى مُتَوَاصِلُونَ وَلَئِنْ تَفَارَقَتِ ٱلْأَشْبَاحُ لَقَدْ تَعَانَقَتِ ٱلْأَرْوَاحُ

وكتب بديعُ الزمانِ الهَمَذانيُّ الى القاسمِ الكَرَجيِّ

يَعِزُّ عَلَيَّ أَطَالَ ٱللهُ بَقَاءَ ٱلشَّيْخِ ٱلرَّئِيسِ أَنْ يَنُوبَ فِي خِدْمَتِهِ قَلَمِي عَنْ قَدَمِي وَيَسْعَدَ بِرُؤْيَتِهِ رَسُولِي دُونَ وُصُولِي وَيَرِدَ مَشْرَعَةَ ٱلْأُنْسِ بِهِ كِتَابِي قَبْلَ رِكَابِي وَلَكِنْ مَا ٱلْحِيلَةُ وَٱلْعَوَائِقُ جَمَّةٌ

وَعَلَيَّ أَنْ أَسْعَى وَلَيْسَ عَلَيَّ إِدْرَاكُ ٱلنَّجَاحِ

وَقَدْ حَضَرْتُ دَارَهُ وَقَبَّلْتُ جِدَارَهُ وَمَا بِي حُبُّ ٱلْحِيطَانِ وَلَكِنْ شَغَفًا بِٱلْقُطَّانِ وَلَا عِشْقُ ٱلْجُدْرَانِ وَلَكِنْ شَوْقًا إِلَى ٱلسُّكَّانِ وَحِينَ عَدَتِ ٱلْعَوَادِي عَنْهُ أَمْلَيْتُ ضَمِيرَ ٱلشَّوْقِ عَلَى لِسَانِ ٱلْقَلَمِ مُعْتَذِرًا إِلَى ٱلشَّيْخِ عَلَى ٱلْحَقِيقَةِ عَنْ تَقْصِيرٍ وَقَعَ وَفُتُورٍ فِي ٱلْخِدْمَةِ عَرَضَ وَلَكِنِّي أَقُولُ

إِنْ يَكُنْ تَرْكِي لِقَصْدِكَ ذَنْبًا فَكَفَى أَنْ لَا أَرَاكَ عِقَابَا

وكتب ابو محمد عبدُ اللهِ البطليوسي الى ابي الحسن بن الاخضر

يَا سَيِّدِيَ ٱلْأَعْلَى وَعِمَادِيَ ٱلْأَسْنَى وَحَسَنَةَ ٱلدَّهْرِ ٱلْحُسْنَى ٱلَّذِي جَلَّ قَدْرُهُ وَسَارَ مَسِيرَ ٱلشَّمْسِ ذِكْرُهُ وَمَنْ أَطَالَ ٱللهُ بَقَاءَهُ لِفَضْلٍ يُعْلِي مَنَارَهُ وَعِلْمٍ يُحْيِي آثَارَهُ نَحْنُ أَعَزَّكَ ٱللهُ نَتَدَانَى إِخْلَاصًا وَإِنْ تَنَاءَيْنَا أَشْخَاصًا وَيَجْمَعُنَا ٱلْأَدَبُ وَإِنْ فَرَّقَنَا ٱلنَّسَبُ فَٱلْأَشْكَالُ أَقَارِبُ وَٱلْآدَابُ مَنَاسِبُ وَلَيْسَ يَضُرُّ تَنَاءِي ٱلْأَشْبَاحِ إِذَا تَقَارَبَتِ ٱلْأَرْوَاحُ وَمَا مَثَلُنَا فِي هٰذَا ٱلِٱنْتِظَامِ إِلَّا كَمَا قَالَ أَبُو تَمَّامٍ

نَسِيبِيَ فِي رَأْيِي وَعِلْمِي وَمَذْهَبِي
وَإِنْ بَاعَدَتْنَا فِي ٱلْأُصُولِ ٱلْمَنَاسِبُ

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِمَآثِرِكَ ذَاكِرٌ وَلِمَفَاخِرِكَ نَاشِرٌ إِلَّا ذُو ٱلْوِزَارَتَيْنِ أَبُو فُلَانٍ أَبْقَاهُ ٱللهُ لَقَامَ لَكَ مَقَامَ سَحْبَانَ وَائِلٍ وَأَغْنَاكَ عَنْ قَوْلِ كُلِّ قَائِلٍ فَإِنَّهُ يَمُدُّ فِي مِضْمَارِ ذِكْرِكَ بَاعًا رَحِيبًا وَيَقُومُ بِفَخْرِكَ فِي كُلِّ نَادٍ خَطِيبًا حَتَّى يَثْنِيَ إِلَيْكَ ٱلْأَحْدَاقَ وَيَلْوِيَ نَحْوَكَ ٱلْأَعْنَاقَ فَكَيْفَ وَمَا يَنْطِقُ إِلَّا بِٱلَّذِي عَلِمَتْ سَعْدٌ وَمَا تَقَرَّرَ فِي ٱلنُّفُوسِ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ فَذِكْرُكَ قَدْ أَنْجَدَ وَأَغَارَ وَلَمْ يَسِرْ فَلَكٌ حَيْثُ سَارَ وَإِنَّ لَيْلَ جَهْلٍ

أَطْلَعَتْ فِيهِ فَجْرَ تَبْصِيرِكَ لَجَدِيرٌ بِأَنْ يَصِيرَ نَهَارًا وَإِنَّ نَبْعَ فِكْرٍ قَدَحْتَهُ بِتَذْكِيرِكَ لَجَدِيرٌ بِأَنْ يَعُودَ مَرْخًا وَعَفَارًا فَهَنِيئًا لَكَ ٱلْفَضْلُ ٱلَّذِي أَنْتَ فِيهِ رَاسِخُ ٱلْقَدَمِ شَامِخُ ٱلْعَلَمِ مَنْشُورُ ٱللِّوَاءِ مَشْهُورُ ٱلذَّكَاءِ مُلِّيتَ ٱلْآدَابُ عُمْرَكَ وَلَا عَدِمَتِ ٱلْأَلْبَابُ ذِكْرَكَ وَرَقِيتَ مِنَ ٱلْمَرَاتِبِ أَعْلَاهَا وَلَقِيتَ مِنَ ٱلْمَآرِبِ أَقْصَاهَا بِفَضْلِ ٱللّٰهِ

وله ايضاً الى صديق له

مَا زِلْتُ أُدَافِعُ ٱلنَّفْسَ فِيمَا تَتَقَاضَانِي مِنْ شَكْوَى أَشْوَاقِهَا وَفِي ٱلشَّكْوَى شِفَاءٌ وَٱسْتِنْزَالِ أَثَرٍ مِنْ لَدُنْكَ تَتَعَلَّلُ بِهِ مَسَافَةَ ٱلْبَيْنِ إِلَى أَنْ يَمُنَّ ٱللّٰهُ بِٱللِّقَاءِ وَمِنْ دُونِ إِجَابَتِهَا مَشَادِهُ قَدْ شَغَلَتِ ٱلذَّرْعَ وَشَوَاغِلُ قَدْ فَرَغَ مِنْ دُونِهَا ٱلْوُسْعُ إِلَى أَنْ غَلَبَ جَيْشُ ٱلْوَجْدِ عَلَى مَعَاقِلِ ٱلصَّبْرِ وَزَاحَمَ مَنَاكِبَ ٱلْعُدَوَاءِ حَتَّى ضَرَبَ أَطْنَابَهُ بَيْنَ ٱلْحِجَابِ وَٱلصَّدْرِ فَٱتَّخَذْتُ هٰذِهِ ٱلرُّقْعَةَ أُزْجِيهَا إِلَيْكَ وَفِيهَا مِنْ وِقْرِ ٱلشَّوْقِ مَا يَنُوءُ بِرَسُولِهَا وَمِنْ رِقَّةِ ٱلصَّبَابَةِ مَا يَكَادُ يَطِيرُ بِهَا أَوْ يُخَلِّفُهَا فَيُصَافِحُ ٱلْأَعْنَابَ قَبْلَ وُصُولِهَا رَاجِيًا لَهَا أَنْ تُتَلَقَّى بِمَا عُهِدَ فِي سَيِّدِي مِنَ ٱلطَّلَاقَةِ وَٱلْبِشْرِ وَأَنْ لَا يَضَنَّ عَلَيْهَا بِمَا

عَوَّدَنِي مِنْ تَمْهِيدِ ٱلْعُذْرِ وَيَصِلَنِي مِنْ بَعْدِهَا بِأَنْبَائِهِ ٱلطَّيِّبَةِ عَائِدَةً عَنْهُ بِمَا يَكُونُ لِلنَّاظِرِ قُرَّةً وَلِلْخَاطِرِ مَسَرَّةً إِنْ شَاءَ ٱللهُ

وله

وَافَانِي كِتَابُكَ ٱلْعَزِيزُ فَأَهْلًا بِأَكْرَمِ رَسُولٍ جَاءَ بِبَيِّنَاتِ ٱلْإِخْلَاصِ وَٱلْوَفَاءِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ ذِمَّةِ ٱلْوِدَادِ وَٱلْإِخَاءِ يَتْلُو عَلَيَّ مِنْ حَدِيثِ ٱلشَّوْقِ مَا شَهِدَ بِصِحَّتِهِ سُقْمِي وَهَتَفَ مُؤَذِّنُهُ فِي كُلِّ مَفْصِلٍ مِنْ جِسْمِي وَيُذَكِّرُنِي مِنْ عَهْدِكَ مَا طَالَمَا أَذْكَرَنِيهِ ٱلْبَرْقُ إِذَا لَمَعَ وَٱلْبَدْرُ إِذَا طَلَعَ وَٱلْقُمْرِيُّ إِذَا سَجَعَ وَإِنَّمَا عَدَانِي عَنْكَ مَا أَنَا فِيهِ مِنْ مُجَاذَبَةِ ٱلشَّوَاغِلِ وَمُسَاوَرَةِ ٱلْبَلَابِلِ

وَفِي ٱلْقَلْبِ مَا فِي ٱلْقَلْبِ مِنْ شَجَنِ ٱلْهَوَى
تَبَدَّلَتِ ٱلْحَالَاتُ وَهُوَ مُقِيمُ

وَأَنَا عَلَى مَا بِي مِنْ غَلِّ ٱلْبَنَانِ وَشُغْلِ ٱلْجَنَانِ مَا زَالَتْ أَنْبَاؤُكَ عِنْدِي لَا يُخْطِئُنِي بَرِيدُهَا وَلَا يَنْقَطِعُ عَنِّي وُرُودُهَا أُهَنِّئُ ٱلنَّفْسَ مِنْهَا بِمَا نَتَمَنَّى لَكَ مِنْ سَلَامَةٍ لَا يَرِثُّ لَهَا شِعَارٌ وَإِقْبَالٍ لَا يَعْتَرِضُهُ بِإِذْنِ ٱللهِ إِدْبَارٌ وَقُصَارَى ٱلْمَأْمُولِ فِي كَرَمِكَ أَنْ تُعَامِلَنِي بِمَا سَبَقَ لَكَ مِنْ جَمِيلِ ٱلصِّلَةِ إِلَى

أَنْ يَمُنَّ ٱللهُ بِٱلِٱجْتِمَاعِ وَيُغْنِيَ بِٱلْعِيَانِ عَنِ ٱلسَّمَاعِ
وَمَا ذٰلِكَ عَلَى ٱللهِ بِعَزِيزٍ

وكتبَ ابو بكرٍ الخُوَارَزْميُّ الى ابي الوفآء صاحب جيش عضُدِ الدولة

كِتَابِي وَأَنَا بِمَا يَبْلُغُنِي مِنْ صَالِحِ أَخْبَارِ ٱلشَّيْخِ مُغْتَبِطٌ
مَسْرُورٌ وَبِمَا يَعْرِفُهُ ٱلزَّمَانُ وَأَهْلُهُ مِنِ ٱعْتِضَادِي بِهِ مَصُونٌ
مَوْفُورٌ وَٱللهُ عَلَى ٱلْأُولَى مَحْمُودٌ وَعَلَى ٱلْأُخْرَى مَشْكُورٌ
أَلتَّطَفُّلُ وَإِنْ كَانَ مَحْظُورًا فِي غَيْرِ مَوَاطِنِهِ فَإِنَّهُ مُبَاحٌ فِي
أَمَاكِنِهِ وَهُوَ وَإِنْ كَانَ فِي بَعْضِ ٱلْأَحْوَالِ يَجْمَعُ عَارًا وَوِزْرًا
فَإِنَّهُ فِي بَعْضِهَا يَجْمَعُ فَخْرًا وَذُخْرًا وَرُبَّ فِعْلٍ يُصَابُ بِهِ
وَقْتُهُ فَيَكُونُ سُنَّةً وَهُوَ فِي غَيْرِ وَقْتِهِ بِدْعَةٌ وَقَدْ تَطَفَّلْتُ عَلَى
ٱلشَّيْخِ بِهٰذِهِ ٱلْأَحْرُفِ أَخْطُبُ بِهَا مَوَدَّتَهُ إِلَيْهِ وَأَعْرِضُ
فِيهَا مَوَدَّتِي عَلَيْهِ وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَرْسُمَ لِي فِي لِسَانِي وَقَلْبِي رَسْمًا
وَيَخْتِمَ عَلَيْهِمَا خَتْمًا فَقَدْ جَعَلْتُهُمَا بِٱسْمِهِ وَقَصَرْتُهُمَا عَلَى
حُكْمِهِ وَسَأَضَعُهُمَا تَحْتَ خَتْمِهِ وَبَرِئْتُ إِلَيْهِ مِنْهُمَا وَصِرْتُ
وَكِيلَهُ فِيهِمَا فَهُمَا عَلَى غَيْرِهِ حِمًى لَا يُقْرَبُ وَبَحِيرَةٌ لَا تُحْلَبُ
وَلَا تُرْكَبُ وَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى آثَارِ ٱلشَّيْخِ عَلَى ٱلْأَحْرَارِ
وَنَشَرْتُ طِرَازَ مَحَاسِنِهِ مِنْ أَيْدِي ٱلْقَاصِدِينَ وَٱلزُّوَّارِ وَرَأَيْتُ

نَفْسِي غُفْلاً مِنْ سِمَةِ مَوَدَّتِهِ وَعُطْلاً مِنْ جَمَالِ عِشْرَتِهِ حَمِيَتْهَا مِنْ أَنْ يُحْمَى عَلَيْهَا وِرْدٌ مَوْرُودٌ . وَيُحْسَرَ عَنْهَا ظِلٌّ عَلَى الْجَمِيعِ مَمْدُودٌ وَتَجَنَّبَتْ مِنْ

سَحَابٍ خَطَانِي جَوْدُهُ وَهُوَ صَيِّبٌ
وَبَحْرٍ عَدَانِي سَيْلُهُ وَهُوَ مُفْعَمُ
وَبَدْرٍ أَضَاءَ الْأَرْضَ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
وَمَوْضِعُ رِجْلِي مِنْهُ أَسْوَدُ مُظْلِمُ

فَصْلٌ

فِي الْاِسْتِعْطَافِ وَالْاِعْتِذَارِ

كتب عمرُو بنُ بحرٍ الجاحظُ الى ابنِ ابي دُؤادٍ

لَيْسَ عِنْدِي أَعَزَّكَ ٱللهُ سَبَبٌ وَلَا أَقْدِرُ عَلَى شَفِيعٍ إِلَّا مَا طَبَعَكَ ٱللهُ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْكَرَمِ وَٱلرَّحْمَةِ وَٱلتَّأْمِيلِ ٱلَّذِي لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ نِتَاجِ حُسْنِ ٱلظَّنِّ وَإِثْبَاتِ ٱلْفَضْلِ بِحَالِ ٱلْمَأْمُولِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْعُتَقَاءِ ٱلشَّاكِرِينَ فَتَكُونَ خَيْرَ مُعْتِبٍ وَأَكُونَ أَفْضَلَ شَاكِرٍ . وَلَعَلَّ ٱللهَ أَنْ يَجْعَلَ هٰذَا ٱلْأَمْرَ سَبَبًا لِهٰذَا ٱلْإِنْعَامِ وَهٰذَا ٱلْإِنْعَامَ سَبَبًا لِلْاِنْقِطَاعِ

إِلَيْكُمْ وَٱلْكَوْنِ تَحْتَ أَجْنِحَتِكُمْ فَيَكُونَ لَا أَعْظَمَ بَرَكَةً وَلَا أَنْمَى بَقِيَّةً مِنْ ذَنْبٍ أَصْبَحْتُ فِيهِ وَبِمِثْلِكَ جُعِلْتُ فِدَاكَ عَادَ ٱلذَّنْبُ وَسِيلَةً وَٱلسَّيِّئَةُ حَسَنَةً وَمِثْلُكَ مَنِ ٱنْقَلَبَ بِهِ ٱلشَّرُّ خَيْرًا وَٱلْغُرْمُ غُنْمًا. مَنْ عَاقَبَ فَقَدْ أَخَذَ حَظَّهُ وَإِنَّمَا ٱلْأَجْرُ فِي ٱلْآخِرَةِ وَطِيبُ ٱلذِّكْرِ فِي ٱلدُّنْيَا عَلَى قَدْرِ ٱلِاحْتِمَالِ وَتَجَرُّعِ ٱلْمَرَائِرِ وَأَرْجُو أَنْ لَا أَضِيعَ وَأَهْلِكَ فِيمَا بَيْنَ كَرَمِكَ وَعَقْلِكَ. وَمَا أَكْثَرَ مَنْ يَعْفُو عَمَّنْ صَغُرَ ذَنْبُهُ وَعَظُمَ حَقُّهُ وَإِنَّمَا ٱلْفَضْلُ وَٱلثَّنَاءُ ٱلْعَفْوُ عَنْ عَظِيمِ ٱلْجُرْمِ ضَعِيفِ ٱلْحُرْمَةِ وَإِنْ كَانَ ٱلْعَفْوُ ٱلْعَظِيمُ مُسْتَطْرَفًا مِنْ غَيْرِكُمْ فَهُوَ تِلَادٌ فِيكُمْ حَتَّى رُبَّمَا دَعَا ذَلِكَ كَثِيرًا مِنَ ٱلنَّاسِ إِلَى مُخَالَفَةِ أَمْرِكُمْ فَلَا أَنْتُمْ عَنْ ذَلِكَ تَنْكُلُونَ وَلَا عَلَى سَالِفِ إِحْسَانِكُمْ تَنْدَمُونَ وَلَا مَثَلُكُمْ إِلَّا كَمَثَلِ عِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ حِينَ كَانَ لَا يَمُرُّ بِمَلَإٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا أَسْمَعُوهُ شَرًّا وَأَسْمَعَهُمْ خَيْرًا فَقَالَ لَهُ شَمْعُونُ ٱلصَّفَا مَا رَأَيْتُ كَٱلْيَوْمِ كُلَّمَا أَسْمَعُوكَ شَرًّا أَسْمَعْتَهُمْ خَيْرًا فَقَالَ كُلُّ ٱمْرِئٍ يُنْفِقُ مِمَّا عِنْدَهُ وَلَيْسَ عِنْدَكُمْ إِلَّا ٱلْخَيْرُ وَلَا فِي أَوْعِيَتِكُمْ إِلَّا ٱلرَّحْمَةُ وَكُلُّ إِنَاءٍ بِٱلَّذِي فِيهِ يَنْضَحُ

وكتب الى رجل

زَيَّنَكَ ٱللهُ بِٱلتَّقْوَى وَكَفَاكَ مَا أَهَمَّكَ مِنَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَى. مَنْ عَاقَبَ أَبْقَاكَ ٱللهُ تَعَالَى عَلَى ٱلصَّغِيرَةِ عُقُوبَةَ ٱلْكَبِيرَةِ وَعَلَى ٱلْهَفْوَةِ عُقُوبَةَ ٱلْإِصْرَارِ فَقَدْ تَنَاهَى فِي ٱلظُّلْمِ. وَمَنْ لَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ ٱلْأَسَافِلِ وَٱلْأَعَالِي وَٱلْأَدَانِي وَٱلْأَقَاصِي فَقَدْ قَصَّرَ. وَٱللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ سَرَفَ ٱلرِّضَى مَخَافَةَ أَنْ يُؤَدِّيَ إِلَى سَرَفِ ٱلْهَوَى فَمَا ظَنُّكَ بِسَرَفِ ٱلْغَيْظِ وَغَلَبَةِ ٱلْغَضَبِ مِنْ طَيَّاشٍ عَجُولٍ فَحَّاشٍ وَمَعَهُ مِنَ ٱلْخُرْقِ بِقَدَرِ قِسْطِهِ مِنِ ٱلْتِهَابِ ٱلْحَمْرَآءِ وَأَنْتَ رُوحٌ كَمَا أَنْتَ جِسْمٌ وَكَذَلِكَ جِنْسُكَ وَنَوْعُكَ إِلَّا أَنَّ ٱلتَّأْثِيرَ فِي ٱلرِّقَاقِ أَسْرَعُ وَضِدُّهُ فِي ٱلْغِلَاظِ ٱلْجُفَاةِ أَكْمَلُ وَلِذَلِكَ ٱشْتَدَّ جَزَعِي عَلَيْكَ مِنْ سُلْطَانِ ٱلْغَيْظِ وَغَلَبَتِهِ. فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ مِقْدَارَ ٱلذَّنْبِ إِلَيْكَ مِنْ مِقْدَارِ عِقَابِكَ عَلَيْهِ فَٱنْظُرْ فِي عِلَّتِهِ وَفِي سَبَبِ إِخْرَاجِهِ إِلَى مَعْدِنِهِ ٱلَّذِي مِنْهُ نَجَمَ وَعُشِّهِ ٱلَّذِي مِنْهُ دَرَجَ وَإِلَى جِهَةِ صَاحِبِهِ فِي ٱلتَّسَرُّعِ وَٱلتَّثَبُّتِ وَإِلَى حِلْمِهِ عِنْدَ ٱلتَّعْرِيضِ وَفِطْنَتِهِ عِنْدَ ٱلتَّوْبَةِ. فَكُلُّ ذَنْبٍ كَانَ سَبَبُهُ ضِيقَ صَدْرٍ مِنْ جِهَةِ ٱلْفَيْضِ فِي ٱلْمَقَادِيرِ أَوْ مِنْ طَرِيقِ

ٱلْأَنفَةِ وَغَلَبَةِ طِبَاعِ ٱلْحَمِيَّةِ مِنْ جِهَةِ ٱلْجَفْوَةِ أَوْ مِنْ جِهَةِ ٱسْتِحْقَاقِهِ أَوْ كَانَ مُبَلَّغًا عَنْهُ مَكْذُوبًا عَلَيْهِ وَلَوْ كَانَ ذٰلِكَ جَائِزًا فِيهِ غَيْرَ مُمْتَنِعٍ مِنْهُ فَإِذَا كَانَتْ ذُنُوبُهُ مِنْ هٰذَا ٱلشَّكْلِ فَلَيْسَ يَقِفُ عَلَيْهَا كَرِيمٌ وَلَا يَنْظُرُ فِيهَا حَلِيمٌ. وَلَسْتُ أُسَمِّيهِ بِكَثْرَةِ مَعْرُوفِهِ كَرِيمًا حَتَّى يَكُونَ عَقْلُهُ غَامِرًا بِعِلْمِهِ وَعِلْمُهُ غَالِبًا عَلَى طِبَاعِهِ كَمَا لَا أُسَمِّيهِ بِكَفِّ ٱلْعِقَابِ حَلِيمًا حَتَّى يَكُونَ عَارِفًا بِمِقْدَارِ مَا أَخَذَ وَتَرَكَ. وَمَتَى وَجَدْتَ ٱلذَّنْبَ بَعْدَ ذٰلِكَ لَا سَبَبَ لَهُ إِلَّا ٱلْبُغْضُ ٱلْمَحْضُ وَٱلنِّفَارُ ٱلْغَالِبُ فَلَوْ لَمْ تَرْضَ لِصَاحِبِهِ بِعِقَابٍ دُونَ قَعْرِ جَهَنَّمَ لَعَذَرَكَ كَثِيرٌ مِنَ ٱلْعُقَلَاءِ وَصَوَّبَ رَأْيَكَ عَالَمٌ مِنَ ٱلْأَشْرَافِ. وَٱلْأَنَاةُ أَقْرَبُ مِنَ ٱلْحَمْدِ وَأَبْعَدُ مِنَ ٱلذَّمِّ وَأَنْأَى مِنْ خَوْفِ ٱلْعَجَلَةِ وَقَدْ قَالَ ٱلْأَوَّلُ عَلَيْكَ بِٱلْأَنَاةِ فَإِنَّكَ عَلَى إِيقَاعِ مَا لَمْ تُوقِعْهُ أَقْدَرُ مِنْكَ عَلَى رَدِّ مَا قَدْ أَوْقَعْتَهُ. وَلَيْسَ يُصَارِعُ ٱلْغَضَبَ أَيَّامَ شَبَابِهِ شَيْءٌ إِلَّا صَرَعَهُ وَلَا يُنَازِعُهُ قَبْلَ ٱنْتِهَائِهِ إِلَّا قَهَرَهُ وَإِنَّمَا يُحْتَالُ لَهُ قَبْلَ هَيْجِهِ فَمَتَى تَمَكَّنَ وَٱسْتَفْحَلَ وَأَذْكَى نَارَهُ وَأَشْعَلَ ثُمَّ لَاقَى مِنْ صَاحِبِهِ قُدْرَةً وَمِنْ أَعْوَانِهِ سَمْعًا وَطَاعَةً فَلَوِ ٱسْتَنْبَطْتَهُ بِٱلتَّوْرَاةِ وَأَوْجَرْتَهُ بِٱلْإِنْجِيلِ وَلَدَدْتَهُ

بِٱلزَّبُورِ وَأَفْرَغْتَ عَلَى رَأْسِهِ ٱلْقُرْآنَ إِفْرَاغًا وَأَتَيْتَهُ بِآدَمَ
شَفِيعًا لَمَا أَقْصَرَ دُونَ أَقْصَى قُوَّتِهِ وَلَنْ يُسَكِّنَ غَضَبَ ٱلْعَبْدِ
إِلَّا ذِكْرُهُ غَضَبَ ٱلرَّبِّ. فَلَا تَقِفْ حَفِظَكَ ٱللهُ بَعْدَ مُضِيِّكَ
فِي عِتَابِي ٱلْتِمَاسًا لِلْعَفْوِ عَنِّي وَلَا تُقْصِرْ عَنْ إِفْرَاطِكَ مِنْ
طَرِيقِ ٱلرَّحْمَةِ بِي وَلَكِنْ قِفْ وِقْفَةَ مَنْ يَتَّهِمُ ٱلْغَضَبَ عَلَى
عَقْلِهِ وَٱلشَّيْطَانَ عَلَى دِينِهِ وَيَعْلَمُ أَنَّ لِلْكَرَمِ أَعْدَاءً وَيُمْسِكُ
إِمْسَاكَ مَنْ لَا يُبَرِّئُ نَفْسَهُ مِنَ ٱلْهَوَى وَلَا يُبَرِّئُ ٱلْهَوَى مِنَ
ٱلْخَطَاءِ وَلَا تُنْكِرْ لِنَفْسِكَ أَنْ تَزِلَّ وَلِعَقْلِكَ أَنْ يَهْفُوَ فَقَدْ زَلَّ
آدَمُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ خَلَقَهُ بِيَدِهِ. وَلَسْتُ أَسْأَلُكَ
إِلَّا رَيْثَمَا تَسْكُنُ نَفْسُكَ وَيَرْتَدُّ إِلَيْكَ ذِهْنُكَ وَتَرَى ٱلْحِلْمَ
وَمَا يَجْلُبُ مِنَ ٱلسَّلَامَةِ وَطِيبِ ٱلْأُحْدُوثَةِ. وَٱللهُ يَعْلَمُ
وَكَفَى بِهِ عَلِيمًا لَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَفْدِيَكَ بِنَفْسِي فِي مُكَاتَبَاتِي
وَكُنْتُ عِنْدَ نَفْسِي فِي عِدَادِ ٱلْمَوْتَى وَفِي حَيِّزِ ٱلْهَلْكَى فَرَأَيْتُ
أَنَّ مِنَ ٱلْخِيَانَةِ لَكَ وَمِنَ ٱللُّؤْمِ فِي مُعَامَلَتِكَ أَنْ أَفْدِيَكَ
بِنَفْسٍ مَيِّتَةٍ وَأَنْ أُرِيَكَ أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ لَكَ أَنْفَسَ ذُخْرٍ
وَٱلذُّخْرُ مَعْدُومٌ. وَأَنَا أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخُو ثَقِيفٍ مَوَدَّةُ
ٱلْأَخِ ٱلتَّالِدِ وَإِنْ أَخْلَقَ خَيْرٌ مِنْ مَوَدَّةِ ٱلْأَخِ ٱلطَّارِفِ

وَإِنْ ظَهَرَتْ مَسَاعِيهِ وَرَاقَتْ جِدَّتُهُ. سَلَّمَكَ ٱللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْكَ وَكَانَ لَكَ وَمَعَكَ

وكتب بعضهم الى أمير

أَنَا مَنْ لَا يُحَاجُّكَ عَنْ نَفْسِهِ وَلَا يُغَالِطُكَ فِي جُرْمِهِ وَلَا يَلْتَمِسُ رِضَاكَ إِلَّا مِنْ جِهَةِ عَفْوِكَ وَلَا يَسْتَعْطِفُكَ إِلَّا بِٱلْإِقْرَارِ بِٱلذَّنْبِ وَلَا يَسْتَمِيلُكَ إِلَّا بِٱلِاعْتِرَافِ بِٱلزَّلَّةِ

وَقَالَ ٱلْحَسَنُ بْنُ وَهْبٍ

مَا أَحْسَنَ ٱلْعَفْوَ مِنَ ٱلْقَادِرِ   لَا سِيَّمَا عَنْ غَيْرِ ذِي نَاصِرِ
إِنْ كَانَ لِي ذَنْبٌ وَلَا ذَنْبَ لِي   فَمَا لَهُ غَيْرَكَ مِنْ غَافِرِ
أَعُوذُ بِٱلْوُدِّ ٱلَّذِي بَيْنَنَا   أَنْ يَفْسُدَ ٱلْأَوَّلُ بِٱلْآخِرِ

وكتب ابنُ مكرَّم الى بعض الرؤساء

نَبَتْ بِي غِرَّةُ ٱلْحَدَاثَةِ فَرَدَّتْنِي إِلَيْكَ ٱلتَّجْرِبَةُ وَقَادَتْنِي ٱلضَّرُورَةُ ثِقَةً بِإِسْرَاعِكَ إِلَيَّ وَإِنْ أَبْطَأْتُ عَنْكَ وَقَبُولِكَ لِعُذْرِي وَإِنْ قَصَّرْتُ عَنْ وَاجِبِكَ وَإِنْ كَانَتْ ذُنُوبِي سَدَّتْ عَلَيَّ مَسَالِكَ ٱلصَّفْحِ عَنِّي فَرَاجِعْ فِيَّ مَجْدَكَ وَسُؤْدُدَكَ وَإِنِّي لَا أَعْرِفُ مَوْقِفًا أَذَلَّ مِنْ مَوْقِفِي لَوْلَا أَنَّ ٱلْمُخَاطَبَةَ فِيهِ لَكَ وَلَا خُطَّةً أَدْنَأَ مِنْ خُطَّتِي لَوْلَا أَنَّهَا فِي طَلَبِ رِضَاكَ

وكتب أبو بكرٍ الخوارزميُّ الى أبي عليٍّ اليعلي لما طال عتابهُ وكثرت رقاعهُ اليهِ

لَوْ بِغَيْرِ ٱلْمَاءِ حَلْقِي شَرِقٌ
كُنْتُ كَٱلْغَصَّانِ بِٱلْمَاءِ ٱعْتِصَارِي

كَيْفَ يَقْدِرُ أَبْقَى ٱللهُ ٱلشَّيْخَ عَلَى ٱلدَّوَاءِ مَنْ لَا يَهْتَدِي إِلَى أَوْجُهِ ٱلدَّاءِ وَكَيْفَ يُدَارِي أَعْدَاءَهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ ٱلْأَصْدِقَاءَ مِنَ ٱلْأَعْدَاءِ وَكَيْفَ يُعَالِجُ عِلَّةَ ٱلْقَرْحَةِ ٱلْعَمْيَاءِ أَمْ كَيْفَ يَسْرِي بِلَا دَلِيلٍ فِي ٱلظَّلْمَاءِ أَمْ كَيْفَ يَخْرُجُ ٱلْهَارِبُ مِنْ بَيْنِ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَاءِ. أَلْكَرِيمُ أَيَّدَ ٱللهُ ٱلشَّيْخَ إِذَا قَدَرَ غَفَرَ وَإِذَا أَوْثَقَ أَطْلَقَ وَإِذَا أَسَرَ أَعْتَقَ وَلَقَدْ هَرَبْتُ مِنَ ٱلشَّيْخِ إِلَيْهِ وَتَسَلَّحْتُ بِعَفْوِهِ عَلَيْهِ وَأَلْقَيْتُ رِبْقَةَ حَيَاتِي وَمَمَاتِي بِيَدَيْهِ فَلْيُذِقْنِي حَلَاوَةَ رِضَاهُ عَنِّي كَمَا أَذَاقَنِي مَرَارَةَ ٱنْتِقَامِهِ مِنِّي وَلْتَلُحْ عَلَى حَالِهِ غُرَّةُ عَفْوِهِ كَمَا لَاحَتْ عَلَيْهَا مَوَاسِمُ غَضَبِهِ وَسَطْوِهِ وَلْيَعْلَمْ أَنَّ ٱلْحُرَّ كَرِيمُ ٱلظَّفَرِ إِذَا نَالَ أَحَالَ وَأَنَّ ٱللَّئِيمَ لَئِيمُ ٱلظَّفَرِ إِذَا نَالَ ٱسْتَطَالَ وَلْيَغْتَنِمِ ٱلتَّجَاوُزَ عَنْ عَثَرَاتِ ٱلْأَحْرَارِ وَلْيَنْتَهِزْ فُرَصَ ٱلِاقْتِدَارِ وَلْيَحْمَدِ ٱللهَ ٱلَّذِي أَقَامَهُ مَقَامَ مَنْ يُرْتَجَى وَيُخْشَى

وَرَكَّبَ نِصَابَهُ فِي رُتْبَةٍ شَابَ ٱلزَّمَانُ وَمَجْدُهَا فَتِيٌّ وَأَخْلَقَ ٱلْعَالَمُ وَذِكْرُهَا طَرِيٌّ فَجَعَلَهُ فِي ٱلْمِيلَادِ كَرِيمَهَا وَسَلِيلَهَا وَفِي ٱلرُّتْبَةِ قَدْوَتَهَا وَجَلِيلَهَا وَلْيَعْتَقِدْ أَنَّهُ قَدْ هَابَهُ مَنِ ٱسْتَتَرَ وَلَمْ يُذْنِبْ إِلَيْهِ مَنِ ٱعْتَذَرَ وَأَنَّ مَنْ رُدَّ عَلَيْهِ عُذْرُهُ فَقَدْ أُخْرِجَ إِلَى ٱلشَّجَاعَةِ بَعْدَ ٱلْجُبْنِ وَأُخْرِجَ ذَنْبُهُ إِلَى صَحْنِ ٱلْيَقِينِ مِنْ سُتْرَةِ ٱلظَّنِّ وَفَّقَ ٱللَّهُ ٱلشَّيْخَ لِمَا يَحْفَظُ عَلَيْهِ قُلُوبَ أَوْلِيَائِهِ وَعَصَمَهُ مِمَّا يَزِيدُ بِهِ فِي عَدَدِ جَمَاجِمِ أَعْدَائِهِ وَلَيْسَ بَيْنَ ٱلْمُوَالَاةِ وَٱلْمُعَادَاةِ إِلَّا لَقْيَةٌ بَشِعَةٌ أَوْ لَفْظَةٌ قَذِعَةٌ

وله ايضا الى بعض اصفيائه

وَافَانِي كِتَابُكَ ٱلْعَزِيزُ وَٱلنَّفْسُ نَازِعَةٌ إِلَى مَا يُزِيلُ نِفَارَهَا وَٱلْقَرِيحَةُ تَائِقَةٌ إِلَى مَا يَشْحَذُ غِرَارَهَا فَكَانَ رَوْضَةً بَاسِمَةَ ٱلْكَمَائِمِ فَائِحَةَ ٱلنَّسَائِمِ قَدْ رَدَّتْ عَلَى ٱلنَّفْسِ ٱنْبِسَاطَهَا وَأَحْيَتِ ٱلْبَادِرَةَ فَٱسْتَأْنَفَتْ نَشَاطَهَا فَأَنَا مِنْهُ مَا بَيْنَ وَشْيٍ يُخْجِلُ طِرَازَ ٱلْعَبْقَرِيَّةِ وَزُخْرُفٍ دُونَهُ نَضْرَةُ ٱلسَّابِرِيَّةِ تُنَاجِينِي مِنْهُ رَشَاقَةُ أَلْفَاظٍ تَفْضَحُ قُدُودَ ٱلْحِسَانِ وَغَضَاضَةُ أَنْفَاسٍ يَغَارُ مِنْهَا وَرْدُ ٱلْجِنَانِ وَرِقَّةُ خِطَابٍ يَشِفُّ عَنْ

وُدٍّ صَفِيٍّ وَلُطْفٍ حَفِيٍّ وَكَرَمٍ وَفِيٍّ وَعَتْبٍ أَعْذَبَ مِنَ ٱلْمَاءِ ٱلْقَرَاحِ وَأَرَقَّ مِنْ نَسَمَاتِ ٱلصَّبَا فِي ٱلصَّبَاحِ حتى لَقَدْ حَبَّبَ إِلَيَّ تَقْصِيرِي وَشَفَعَ عِنْدَ نَفْسِي فِي قَبُولِ مَعَاذِيرِي عَلَى أَنَّ مَا عِنْدِي مِنَ ٱلْوَلَاءِ لَا يَعْتَرِيهِ مَعَاذَ ٱللهِ وَهَنٌ وَلَا يُخْلِقُهُ تَمَادِي زَمَنٍ أَوْ تَرَامِي وَطَنٍ وَلٰكِنَّ صُرُوفَ ٱلْأَحْدَاثِ قَدْ قَصَّرَتِ ٱلْجُهْدَ وَصَرَفَتْ جَوَادَ ٱلْعَزِيمَةِ عَنِ ٱلْقَصْدِ وَٱللهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَوْ نَزَلْتُ عَلَى حُكْمِ نَوَازِلِ ٱلدَّهْرِ وَلَمْ أُدَافِعْ طَلَائِعَهَا بِمَا بَقِيَ مِنْ سَاقَةِ ٱلصَّبْرِ لَمَا كَانَ فِي هِمَّتِي إِلَّا كَسْرُ ٱلْيَرَاعِ وَهَجْرُ ٱلْمَحَابِرِ وَٱلرِّقَاعِ وَحَسْبِي مِنَ ٱلْعُذْرِ مَا أَعْرِفُهُ مِنْ حِلْمِكَ ٱلْمَأْلُوفِ وَمَا أَلِفْتُهُ مِنْ كَرَمِكَ ٱلْمَعْرُوفِ وَٱللهَ أَسْأَلُ أَنْ يُبْقِيَكَ لِي مِنَ ٱلدَّهْرِ نَصِيبًا وَيُمَتِّعَنِي بِلِقَائِكَ قَرِيبًا بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ

ولهُ ايضاً

بِمَ يَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مَنْ لَا يَرَى لِنَفْسِهِ عُذْرًا وَكَيْفَ يَسْتَتِرُ مِنْ عَتْبِكَ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ لِذَنْبِهِ سَتْرًا بَلْ كَفَانِي مِنَ ٱلْعَتْبِ تَعْنِيفُ نَفْسِي عَلَى مَا أَلْقَيْتُ عَلَيْهَا مِنْ تَبِعَةِ تَقْصِيرِي وَمَا حُلْتُ بِهِ مِنَ ٱلتَّفْرِيطِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَعَاذِيرِي وَٱللهُ يَعْلَمُ مَا

كَانَ تَقْصِيرِي شَيْئًا أَرَدْتُهُ وَلَا كَانَ تَفْرِيطِي أَمْرًا قَصَدْتُهُ وَلٰكِنَّهَا ٱلْأَيَّامُ إِنْ صَاحَبْتَهَا لَمْ تُصْحِبْ وَإِنْ عَاتَبْتَهَا لَمْ تُعْتِبْ فَلَقَدْ عَبَرَتْ بِي هٰذِهِ ٱلْبُرْهَةُ كُلُّهَا وَأَنَا بَيْنَ شَوَاغِلَ لَا يَشْغَلُهَا عَنِّي شَاغِلٌ وَبَلَابِلَ قَدِ ٱخْتَلَطَ حَابِلُهَا بِٱلنَّابِلِ فَنَازَعَتْهَا هٰذِهِ ٱلنُّهْزَةَ ٱلْيَسِيرَةَ أُجَدِّدُ فِيهَا صِلَةَ ٱلتَّذْكِرَةِ إِلَى أَنْ يَمُنَّ ٱللّٰهُ بِصِلَةِ ٱلْحَبْلِ وَٱجْتِمَاعِ ٱلشَّمْلِ وَأَسْتَنْزِلُ أَحْرُفًا مِنْ خَطِّكَ يَكْتَحِلُ بِهَا ٱلنَّاظِرُ وَيَأْنَسُ إِلَيْهَا ٱلْخَاطِرُ مُتَوَقِّعًا بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ أَبْقَى بَيْنَ يَدَيْ مَوَدَّتِكَ مَذْكُورًا وَأَنْ لَا يَكُونَ عَجْزِي لَدَيْكَ شَيْئًا مَنْظُورًا وَأَنْ تُجْرِيَ بِي عَلَى عَادَةِ حِلْمِكَ إِلَى أَنْ يَجْمَعَ ٱللّٰهُ ٱلشَّتِيتَيْنِ وَيُغْنِيَ ٱلْعَيْنَ عَنِ ٱلْأَثَرِ بِٱلْعَيْنِ إِنْ شَاءَ ٱللّٰهُ تَعَالَى

فَصْلٌ

فِي ٱلْعِتَابِ

وكتب ابو الفضل بديعُ الزمان الهَمَذانيُّ الى ابي جعفرٍ الميكاليِّ

لَئِنْ سَاءَنِي أَنْ نِلْتَنِي بِمَسَاءَةٍ لَقَدْ سَرَّنِي أَنِّي خَطَرْتُ بِبَالِكَ ٱلْأَمِيرُ أَطَالَ ٱللّٰهُ بَقَاءَهُ إِلَى آخِرِ ٱلدُّعَاءِ فِي حَالَيْ

بِرِّهِ وَجَفَائِهِ مُنفَصِلٌ وَفِي يَوْمَيْ إِدْنَائِهِ وَإِبْعَادِهِ مُحْسِنٌ وَهَنِيئًا لَهُ مِنْ حِمَانَا مَا يَحِلُّهُ وَمِنْ عِرَانَا مَا يَحُلُّهُ وَمِنْ أَعْرَاضِنَا مَا يَسْتَحِلُّهُ بَلَغَنِي أَنَّهُ أَدَامَ ٱللَّهُ عِزَّهُ ٱسْتَزَادَ صَنِيعَهُ فَكُنْتُ أَظُنُّنِي مُجْنِيًا عَلَيْهِ مُسَاءً إِلَيْهِ فَإِذَا أَنَا فِي قَرَارَةِ ٱلذَّنْبِ وَمَشَارَةِ ٱلْعَتْبِ وَلَيْتَ شِعْرِي أَيُّ مَحْظُورٍ فِي ٱلْعِشْرَةِ حَضَرْتُهُ أَوْ مَفْرُوضٍ مِنَ ٱلْخِدْمَةِ رَفَضْتُهُ أَوْ وَاجِبٍ فِي ٱلزِّيَارَةِ أَهْمَلْتُهُ وَهَلْ كُنْتُ إِلَّا ضَيْفًا أَهْدَاهُ مَنْزَعٌ شَاسِعٌ وَأَدَّاهُ أَمَلٌ وَاسِعٌ وَحَدَاهُ فَضْلٌ وَإِنْ قَلَّ وَهَدَاهُ رَأْيٌ وَإِنْ ضَلَّ ثُمَّ لَمْ يَلْقَ إِلَّا فِي آلِ مِيكَالَ رَحْلَهُ وَلَمْ يَصِلْ إِلَّا بِهِمْ حَبْلَهُ وَلَمْ يَنْظِمْ إِلَّا فِيهِمْ شِعْرَهُ وَلَمْ يَقِفْ إِلَّا عَلَيْهِمْ شُكْرَهُ ثُمَّ مَا بَعُدَتْ صُحْبَةٌ إِلَّا دَنَتْ مَهَانَةٌ وَلَا زَادَتْ حُرْمَةٌ إِلَّا نَقَصَتْ صِيَانَةٌ وَلَا تَضَاعَفَتْ مِنَّةٌ إِلَّا تَرَاجَعَتْ مَنْزِلَةٌ حَتَّى صَارَ وَابِلُ ٱلْإِعْظَامِ قَطْرَةً وَعَادَ قَمِيصُ ٱلْقِيَامِ صُدْرَةً وَدَخَلْتُ مَجْلِسَهُ وَحَوْلَهُ مِنَ ٱلْأَعْدَاءِ كَتِيبَةٌ فَصَارَ ذَلِكَ ٱلتَّقْرِيبُ ٱزْوِرَارًا وَذَلِكَ ٱلسَّلَامُ ٱخْتِصَارًا وَٱلِٱهْتِزَازُ إِيمَاءً وَٱلْعِبَارَةُ إِشَارَةً وَحِينَ عَاتَبْتُهُ آمُلُ إِعْتَابَهُ وَكَاتَبْتُهُ أَنْتَظِرُ جَوَابَهُ وَسَأَلْتُهُ أَرْجُو إِجَابَهُ أَجَابَ بِٱلسُّكُوتِ

فَمَا أَزْدَدْتُ لَهُ إِلاَّ وَلاَءً وَعَلَيْهِ إِلاَّ ثَنَاءً لاَ جَرَمَ أَنِّي ٱلْيَوْمَ أَبْيَضُ وَجْهِ ٱلْعَهْدِ وَاضِحُ حُجَّةِ ٱلْوُدِّ طَوِيلُ لِسَانِ ٱلْقَوْلِ رَفِيعُ حُكْمِ ٱلْعُذْرِ وَقَدْ حَمَّلْتُ فُلاَنًا مِنَ ٱلرِّسَالَةِ مَا تَجَافَى ٱلْقَلَمُ عَنْهُ وَٱلْأَمِيرُ ٱلرَّئِيسُ أَطَالَ ٱللهُ بَقَاءَهُ يُنْعِمُ بِٱلْإِصْغَاءِ لِمَا يُورِدُهُ مُوَفَّقًا إِنْ شَاءَ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ

ولهُ الى القاسم الكَرَجيّ

أَنَا أَطَالَ ٱللهُ بَقَاءَ ٱلشَّيْخِ سَيِّدِي وَمَوْلاَيَ وَإِنْ لَمْ أَلْقَ تَطَاوُلَ ٱلْإِخْوَانِ إِلاَّ بِٱلتَّطَوُّلِ وَتَحَامُلَ ٱلْأَحْرَارِ إِلاَّ بِٱلتَّحَمُّلِ أُحَاسِبُ ٱلشَّيْخَ أَيَّدَهُ ٱللهُ عَلَى أَخْلاَقِهِ ضَنًّا بِمَا عُقِدَتْ يَدِي عَلَيْهِ مِنَ ٱلظَّنِّ بِهِ وَٱلتَّقْدِيرِ فِي مَذْهَبِهِ وَلَوْلاَ ذٰلِكَ لَقُلْتُ فِي ٱلْأَرْضِ مَجَالٌ إِنْ ضَاقَتْ ظِلاَلُكَ وَفِي ٱلنَّاسِ وَاصِلٌ إِنْ رَثَّتْ حِبَالُكَ وَأُوَاخِذُهُ بِأَفْعَالِهِ فَإِنْ أَعَارَنِي أُذُنًا وَاعِيَةً وَنَفْسًا مُرَاعِيَةً وَقَلْبًا مُتَعِظًا وَرُجُوعًا عَنْ ذَهَابِهِ وَنُزُوعًا عَنْ هٰذَا ٱلْبَابِ ٱلَّذِي يَقْرَعُهُ وَنُزُولاً عَنِ ٱلصَّعُودِ ٱلَّذِي يَفْرَعُهُ فَرَشْتُ لِمَوَدَّتِهِ خِوَانَ صَدْرِي وَعَقَدْتُ عَلَيْهِ جَوَامِعَ خَصْرِي وَمَجَامِعَ عُمْرِي وَإِنْ رَكِبَ مِنَ ٱلتَّعَالِي غَيْرَ مَرْكَبِهِ وَذَهَبَ مِنَ ٱلتَّغَالِي

فِي غَيْرِ مَذْهَبِهِ أَقْطَعْتُهُ خِطَّـةَ أَخْلَاقِهِ وَوَلَّيْتُهُ جَانِبَ إِعْرَاضِهِ وَٱنْكِفَاتُ

لَا أَذُودُ ٱلطَّيْرَ عَنْ شَجَرٍ قَدْ بَلَوْتُ ٱلْمُرَّ مِنْ ثَمَرِهْ

فَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ فِي مُقْتَبَلِ ٱلسِّنِّ وَٱلْعُمْرِ قَدْ حَلَبْتُ شَطْرَيِ ٱلدَّهْرِ وَرَكِبْتُ ظَهْرَيِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَلَقِيتُ وَفْدَيِ ٱلْخَيْرِ وَٱلشَّرِّ وَصَافَحْتُ يَدَيِ ٱلنَّفْعِ وَٱلضَّرِّ وَضَرَبْتُ إِبْطَيِ ٱلْعُسْرِ وَٱلْيُسْرِ وَبَلَوْتُ طَعْمَيِ ٱلْحُلْوِ وَٱلْمُرِّ وَرَضِعْتُ ضَرْعَيِ ٱلْعُرْفِ وَٱلنُّكْرِ فَمَا تَكَادُ ٱلْأَيَّامُ تُرِينِي مِنْ أَفْعَالِهَا غَرِيبًا وَتُسْمِعُنِي مِنْ أَحْوَالِهَـا عَجِيبًا وَلَقِيتُ ٱلْأَفْرَادَ وَطَرَحْتُ ٱلْآحَادَ فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا إِلَّا مَلَأَتْ حَافَتَيْ سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَشَغَلَتْ حَيِّزَيْ فِكْرِهِ وَنَظَرِهِ وَأَثْقَلَتْ كِتْفَهُ فِي ٱلْحَزْنِ وَكِفَّتَهُ فِي ٱلْوَزْنِ وَوَدَّ لَوْ بَادَرَ ٱلْقِرْنُ صَحِيفَتِي أَوْ لَقِيَ صَفِيحَتِي فَمَا لِي صَغُرْتُ هٰذَا ٱلصِّغَرَ فِي عَيْنِهِ وَمَا ٱلَّذِي أَزْرَى بِي عِنْدَهُ حَتَّى ٱحْتَجَبَ وَقَدْ قَصَدْتُهُ وَلَزِمَ أَرْضَهُ وَقَدْ حَضَرْتُهُ أَنَا أُحَاشِيهِ أَنْ يَجْهَلَ قَدْرَ ٱلْفَضْلِ أَوْ يَجْحَدَ فَضْلَ ٱلْعِلْمِ أَوْ يَمْتَطِيَ ظَهْرَ ٱلتِّيهِ عَلَى أَهْلِيهِ وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَخُصَّنِي مِنْ بَيْنِهِمْ بِفَضْلِ إِعْظَامٍ إِنْ زَلَّتْ بِي مَرَّةً قَدَمٌ فِي

قَصْدِهِ وَكَأَنِّي بِهِ قَدْ غَضِبَ لِهٰذِهِ ٱلْخَاطِبَةِ ٱلْمُجْحِفَةِ وَٱلرُّتْبَةِ ٱلْمُتَحَيِّفَةِ وَهُوَ فِي جَنْبِ جَفَائِهِ يَسِيرٌ فَإِنْ أَقْلَعَ عَنْ عَادَتِهِ وَنَزَعَ عَنْ شِيمَتِهِ فِي ٱلْجَفَاءِ فَأَطَالَ ٱللّٰهُ بَقَاءَ ٱلْأُسْتَاذِ ٱلْفَاضِلِ وَأَدَامَ عِزَّهُ وَتَأْيِيدَهُ

وكتبَ الجاحظ الى فليبٍ المغربيّ

وَٱللّٰهِ يَا قَلِيبُ لَوْلَا أَنَّ كَبِدِي فِي هَوَاكَ مَقْرُوحَةٌ وَرُوحِي بِكَ مَجْرُوحَةٌ لَسَاجَلْتُكَ هٰذِهِ ٱلْقَطِيعَةَ وَمَادَدْتُكَ حَبْلَ ٱلْمُصَارَمَةِ وَأَرْجُو أَنَّ ٱللّٰهَ تَعَالَى يُدِيلُ صَبْرِي مِنْ جَفَائِكَ فَيَرُدُّكَ إِلَى مَوَدَّتِي وَأَنْفُ ٱلْقِلَى رَاغِمٌ فَقَدْ طَالَ ٱلْعَهْدُ بِٱلِٱجْتِمَاعِ حَتَّى كِدْنَا نَتَنَاكَرُ عِنْدَ ٱلِٱلْتِقَاءِ

وكتب بعضهم

لَوْ كَانَتْ ٱلشُّكُوكُ تَخْتَلِجُنِي فِي صِحَّةِ مَوَدَّتِكَ وَكَرِيمِ إِخَائِكَ وَدَوَامِ عَهْدِكَ لَطَالَ عَتْبِي عَلَيْكَ فِي تَوَاتُرِ كُتُبِي وَٱحْتِبَاسِ جَوَابَاتِهَا عَنِّي وَلٰكِنَّ ٱلثِّقَةَ بِمَا تَقَدَّمَ عِنْدِي تَعْذُرُكَ وَتُحَسِّنُ مَا يُقَبِّحُهُ جَفَاؤُكَ وَٱللّٰهُ يُدِيمُ نِعْمَتَهُ لَكَ وَلَنَا بِكَ

وكتبَ آخرُ الى بعض إخوانه

أَلْهَمَكَ ٱللّٰهُ مِنَ ٱلرُّشْدِ بِحَسَبِ مَا مَنَحَكَ مِنَ ٱلْفَضْلِ

لَوْ أَنَّ كُلَّ مَنْ نَازَعَ إِلَى ٱلصَّرْمِ قَلَّدْنَاهُ عِنَانَ ٱلْهَجْرِ لَكُنَّا أَوْلَى بِٱلذَّنْبِ مِنْهُ وَلٰكِنْ نَرُدُّ عَلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ وَنَأْخُذُ لَهَا مِنْكَ

وكتب عبدُ اللهِ بنُ معاويةَ بن عبدِ الله بنِ جعفرٍ ذي الجناحين الى بعض إخوانه

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ عَاقَنِي ٱلشَّكُّ فِي أَمْرِكَ عَنْ عَزِيمَةِ ٱلرَّأْيِ فِيكَ أَبْتَدَأْتَنِي بِلُطْفٍ عَنْ غَيْرِ خِبْرَةٍ وَأَعْقَبْتَهُ جَفَاءً مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ فَأَطْمَعَنِي أَوَّلُكَ فِي إِخَائِكَ وَأَيْأَسَنِي آخِرُكَ مِنْ وَفَائِكَ فَسُبْحَانَ مَنْ لَوْ شَاءَ لَكَشَفَ مِنْ أَمْرِكَ عَنْ عَزِيمَةِ ٱلرَّأْيِ فِيكَ فَأَقَمْنَا عَلَى ٱئْتِلَافٍ وَٱفْتَرَقْنَا عَلَى ٱخْتِلَافٍ

وكتب احمدُ بنُ يوسفَ الى بعضهم

لَوْلَا حُسْنُ ٱلظَّنِّ بِكَ أَعَزَّكَ ٱللّٰهُ لَكَانَ فِي إِغْضَائِكَ عَنِّي مَا يَقْبِضُنِي عَنِ ٱلطَّلَبَةِ إِلَيْكَ وَلٰكِنْ أَمْسَكَ بِرَمَقٍ مِنَ ٱلرَّجَاءِ عِلْمِي بِرَأْيِكَ فِي رِعَايَةِ ٱلْحَقِّ وَبَسْطِ يَدِكَ إِلَى ٱلَّذِي لَوْ قَبَضْتَهَا عَنْهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَّا كَرَمُكَ مُذَكِّرًا وَسُؤْدَدُكَ شَافِعًا

وكتبَ العتابيُّ الى بعض اخوانه

لَوِ ٱعْتَصَمَ شَوْقِي إِلَيْكَ بِمِثْلِ سُلُوِّكَ عَنِّي لَمْ أَبْذُلْ وَجْهَ

ٱلرَّغبَةِ إِلَيْكَ وَلَمْ أَتَجَشَّمْ مَرَارَةَ تَمَادِيكَ وَلٰكِنِ ٱسْتَخَفَّتنَا صَبَابَتنَا فَٱحْتَمَلْنَا قَسوَتَكَ لِعَظِيمِ قَدْرِ مَوَدَّتِكَ وَأَنتَ أَحَقُّ مَنِ ٱقْتَصَّ لِصِلَتِنَا مِنْ جَفَائِهِ وَلِشَوْقِنَا مِنْ إِبْطَائِهِ

وكتب ابو بكر الخوارزمي الى صديق له لما تخلص من يد محمد بن ابرهيم

كِتَابِي وَقَدْ خَرَجْتُ مِنَ ٱلْبَلَاءِ خُرُوجَ ٱلسَّيفِ مِنَ ٱلْجِلَاءِ وَبُرُوزَ ٱلْبَدْرِ مِنَ ٱلظَّلْمَاءِ وَقَدْ فَارَقَتْنِي ٱلْمِحنَةُ وَهِيَ مُفَارِقٌ لَا يُشْتَاقُ إِلَيْهِ وَوَدَّعَتْنِي وَهِيَ مُوَدِّعٌ لَا يُبكَى عَلَيْهِ وَٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ تَعَالَى عَلَى مِحْنَةٍ يُجَلِّيهَا وَنِعْمَةٍ يُنِيلُهَا وَيُولِيهَا كُنْتُ أَتَوَقَّعُ أَمْسِ كِتَابَ ٱلشَّيْخِ بِٱلتَّسْلِيَةِ وَٱلْيَوْمَ بِٱلتَّهْنِيَةِ فَلَمْ يُكَاتِبْنِي فِي أَيَّامِ ٱلْبُرَحَاءِ بِأَنَّهَا غَمَّتْهُ وَلَا فِي أَيَّامِ ٱلرَّخَاءِ بِأَنَّهَا سَرَّتْهُ وَقَدِ ٱعْتَذَرْتُ عَنْهُ إِلَى نَفْسِي وَجَادَلْتُ عَنْهُ قَلْبِي فَقُلْتُ أَمَّا إِخْلَالُهُ بِٱلْأُولَى فَلِأَنَّهُ شَغَلَهُ ٱلِٱهْتِمَامُ بِهَا عَنِ ٱلْكَلَامِ فِيهَا وَأَمَّا تَغَافُلُهُ عَنِ ٱلْأُخْرَى فَلِأَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يُوفِرَ عَلَيَّ مَرْتَبَةَ ٱلسَّابِقِ إِلَى ٱلِٱبْتِدَاءِ وَيَقْتَصِرَ بِنَفْسِهِ عَلَى مَحَلِّ ٱلِٱقْتِدَاءِ لِتَكُونَ نِعَمُ ٱللّٰهِ سُبْحَانَهُ عَلَيَّ مَوْفُورَةً مِنْ كُلِّ جِهَةٍ وَمَحْفُوفَةً بِي مِنْ كُلِّ رُتْبَةٍ فَإِنْ كُنْتُ أَحْسَنْتُ ٱلِٱعْتِذَارَ عَنْ سَيِّدِي فَلْيَعْرِفْ لِي حَقَّ ٱلْإِحْسَانِ وَلْيَكْتُبْ

إِلَيَّ بِٱلِٱسْتِحْسَانِ وَإِنْ كُنْتُ أَسَأْتُ فَلْيُخْبِرْنِي بِعُذْرِهِ فَإِنَّهُ أَعْرَفُ مِنِّي بِسِرِّهِ وَلْيَرْضَ مِنِّي بِأَنِّي حَارَبْتُ عَنْهُ قَلْبِي وَٱعْتَذَرْتُ عَنْ ذَنْبِهِ حَتَّى كَأَنَّهُ ذَنْبِي وَقُلْتُ يَا نَفْسِ ٱعْذِرِي أَخَاكِ وَخُذِي مِنْهُ مَا أَعْطَاكِ فَمَعَ ٱلْيَوْمِ غَدٌ وَٱلْعَوْدُ أَحْمَدُ

فَصْلٌ
فِي ٱلتَّنَصُّلِ

كتب ابنُ الروميّ الى القاسم بنِ عُبَيد الله

تَرَفَّعْ عَنْ ظُلْمِي إِنْ كُنْتُ بَرِيئًا وَتَفَضَّلْ بِٱلْعَفْوِ إِنْ كُنْتُ مُسِيئًا فَوَٱللهِ إِنِّي لَأَطْلُبُ عَفْوَ ذَنْبٍ لَمْ أَجْنِهِ وَأَلْتَمِسُ ٱلْإِقَالَةَ مِمَّا لَا أَعْرِفُهُ لِتَزْدَادَ تَطَوُّلاً وَأَزْدَادَ تَذَلُّلاً وَأَنَا أُعِيذُ حَالِي عِنْدَكَ بِكَرَمِكَ مِنْ وَاشٍ يَكِيدُهَا وَأَحْرُسُهَا بِوَفَائِكَ مِنْ بَاغٍ يُحَاوِلُ إِفْسَادَهَا وَأَسْأَلُ ٱللهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ حَظِّي مِنْكَ بِقَدَرِ وُدِّي لَكَ وَمَحَلِّي مِنْ رَجَائِكَ بِحَيْثُ أَسْتَحِقُّ مِنْكَ

وكتب آخر الى بعضهم

أَنْتَ أَعَزَّكَ ٱللهُ أَعْلَمُ بِٱلْعَفْوِ وَٱلْعُقُوبَةِ مِنْ أَنْ تُجَازِيَنِي

بِٱلسُّوءِ عَلَى ذَنْبٍ لَمْ أَجْنِهِ بِيَدٍ وَلَا لِسَانٍ بَلْ جَنَاهُ عَلَيَّ لِسَانُ وَاشٍ. فَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّكَ لَا تُسَهِّلُ سَبِيلَ ٱلْعُذْرِ فَأَنْتَ أَعْلَمُ بِٱلْكَرَمِ وَأَرْعَى لِحُقُوقِهِ وَأَقْعَدُ بِٱلشَّرَفِ وَأَحْفَظُ لِذِمَّتِهِ مِنْ أَنْ تَرُدَّ يَدَ مُؤَمِّلِكَ صِفْرًا مِنْ عَفْوِكَ إِذَا ٱلْتَمَسَهُ وَمِنْ عُذْرِكَ إِذَا جَعَلَ فَضْلَكَ شَافِعًا فِيهِ وَذَرِيعَةً لَهُ

وكتبَ بديعُ الزمانِ الهَمَذانيُّ الى ابي عليّ بن مشكوَيه

وَيَا عَزَّ إِنْ وَاشٍ وَشَى بِيَ عِنْدَكُمْ
فَلَا تُمْهِلِيهِ أَنْ تَقُولِي لَهُ مَهْلَا

كَمَا لَوْ وَشَى وَاشٍ بِعَزَّةَ عِنْدَنَا
لَقُلْنَا تَزَحْزَحْ لَا قَرِيبًا وَلَا أَهْلَا

بَلَغَنِي أَطَالَ ٱللهُ بَقَاءَ ٱلشَّيْخِ أَنَّ عَقْرَبَ ٱلشَّرِّ دَبَّتْ إِلَيْهِ بِأَحَادِيثَ لَمْ يَعْرِهَا ٱلْحَقُّ نُورَهُ وَلَا ٱلصِّدْقُ ظُهُورَهُ وَأَنَّهُ أَدَامَ ٱللهُ عِزَّهُ أَذِنَ لَهَا عَلَى مَجَالِ أُذْنِهِ وَفَسَحَ لَهَا فِنَاءَ ظَنِّهِ وَمَعَاذَ ٱللهِ أَنْ أَقُولَهَا وَأَسْتَجِيزَ مَعْقُولَهَا بَلْ قَدْ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ٱلشَّيْخِ ٱلْفَاضِلِ عِتَابٌ لَا يَتَعَدَّى ٱلنَّفْسَ وَضَمِيرَهَا وَحَدِيثٌ لَا يَعْرِفُ ٱلشَّفَةَ وَسَمِيرَهَا وَوَحْشَةٌ يَكْشِفُهَا عِتَابُ لَحْظَةٍ كَعِتَابِ جَحْظَةَ فَسُبْحَانَ مَنْ رَبَّى هٰذَا ٱلْأَمْرَ حَتَّى

صَارَ أَمْرًا وَتَأَبَّطَ شَرًّا وَأَوْجَبَ عُذْرًا وَأَوْحَشَ حُرًّا وَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَنِي فِي جَنْبِ ٱلْعَدُوِّ أَشِيمُ بَارِقَتَهُ وَأَسْتَخْلِي صَاعِقَتَهُ وَأَنَا ٱلْمُسَاءُ إِلَيْهِ وَٱلْمَجْنِيُّ عَلَيْهِ لٰكِنْ مَنْ بُلِيَ مِنَ ٱلْأَعْدَاءِ بِمِثْلِ مَا بُلِيتُ وَرُمِيَ مِنَ ٱلْحَسَدِ بِمَا رُمِيتُ وَوَقَفَ مِنَ ٱلتَّوَحُّدِ وَٱلْوَحْدَةِ حَيْثُ وَقَفْتُ وَٱجْتَمَعَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَكَارِهِ مَا وَصَفْتُ ٱعْتَذَرَ مَظْلُومًا وَضَحِكَ مَشْتُومًا وَلَوْلَا أَنَّ ٱلْعُذْرَ إِقْرَارٌ بِمَا قِيلَ وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْتَقِيلَ لَبَسَطْتُ فِي ٱلِٱعْتِذَارِ شَاذَرْوَانًا وَدَخَلْتُ فِي ٱلِٱسْتِقَالَةِ مَيْدَانًا لٰكِنَّهُ أَمْرٌ لَمْ أَضَعْ أَوَّلَهُ فَلَمْ أَتَدَارَكْ آخِرَهُ وَلَعَلَّ ٱلشَّيْخَ أَبَا مُحَمَّدٍ أَيَّدَهُ ٱللهُ يَقُومُ مِنَ ٱلِٱعْتِذَارِ بِمَا قَعَدَ عَنْهُ ٱلْقَلَمُ فَنِعْمَ رَائِدُ ٱلْفَضْلِ هُوَ وَٱلسَّلَامُ

فَصْلٌ

فِي ٱلْمَدْحِ وَٱلشُّكْرِ

كتب احمدُ بنُ مكرَّمٍ الى احمدَ بنِ المدبِّرِ

إِنَّ جَمِيعَ أَكْفَائِكَ وَنُظَرَائِكَ يَتَنَازَعُونَ ٱلْفَضْلَ فَإِذَا ٱنْتَهَوْا إِلَيْكَ أَقَرُّوا لَكَ وَيَتَنَافَسُونَ ٱلْمَنَازِلَ فَإِذَا بَلَغُوكَ

وَقَفُوا دُونَكَ فَزَادَكَ ٱللّٰهُ وَزَادَنَا بِكَ وَفِيكَ وَجَعَلَنَا مِمَّنْ يَقْبَلُهُ رَأْيُكَ وَيُقَدِّمُهُ ٱخْتِيَارُكَ وَيَقَعُ مِنَ ٱلْأُمُورِ بِمَوْقِعِ مُوَافَقَتِكَ وَيَجْرِي فِيهَا عَلَى سَبِيلِ طَاعَتِكَ

وكتبَ بعضهم

إِنَّ مِنَ ٱلنِّعْمَةِ عَلَى ٱلْمُثْنِي عَلَيْكَ أَنْ لَا يَخَافَ ٱلْإِفْرَاطَ وَلَا يَأْمَنَ ٱلتَّقْصِيرَ وَيَأْمَنَ أَنْ تَلْحَقَهُ نَقِيصَةُ ٱلْكَذِبِ وَلَا يَنْتَهِي بِهِ ٱلْمَدْحُ إِلَى غَايَةٍ إِلَّا وَجَدَ فَضْلَكَ تَجَاوَزَهَا

وكتبَ آخرُ الى بعضهم

إِنِّي فِيمَا أَتَعَاطَى مِنْ مَدْحِكَ كَٱلْمُخْبِرِ عَنْ ضَوْءِ ٱلنَّهَارِ ٱلزَّاهِرِ وَٱلْقَمَرِ ٱلْبَاهِرِ ٱلَّذِي لَا يَخْفَى عَلَى كُلِّ نَاظِرٍ وَأَيْقَنْتُ أَنِّي حَيْثُ ٱنْتَهَى بِيَ ٱلْقَوْلُ مَنْسُوبٌ إِلَى ٱلْعَجْزِ مُقَصِّرٌ عَنِ ٱلْغَايَةِ فَٱنْصَرَفْتُ مِنَ ٱلثَّنَاءِ عَلَيْكَ إِلَى ٱلدُّعَاءِ لَكَ وَوَكَلْتُ ٱلْإِخْبَارَ عَنْكَ إِلَى أَعْلَمِ ٱلنَّاسِ بِكَ

وكتب ابو الفضل بديعُ الزمانِ الهَمَذانيُّ الى الشيخ الإمام ابي الطيِّبِ سهلٍ

وَلَمَّا وَقَعَ بِخُرَاسَانَ مَا وَقَعَ مِنْ حَرْبٍ وَجَرَى مَا جَرَى مِنْ خَطْبٍ وَٱضْطَرَبَتِ ٱلْأُمُورُ وَٱخْتَلَفَتِ ٱلسُّيُوفُ وَٱلْتَقَتِ

ٱلْجُمُوعُ وَظَفِرَ مَنْ ظَفِرَ وَخَسِرَ مَنْ خَسِرَ كَتَبَنِي ٱللّٰهُ فِي ٱلْأَعْلَيْنَ مَقَامًا ثُمَّ أَلْهَمَنِي ٱلِامْتِدَادَ عَنْ تِلْكَ ٱلْبِلَادِ وَٱلْإِقْلَاعَ عَنْ تِلْكَ ٱلْبِقَاعِ وَأَحْسَنَ ٱللّٰهُ ٱلدِّفَاعَ عَنْ خَيْرِ ٱلْأَعْلَاقِ وَهُوَ ٱلرَّاسُ بِمَا دُونَ ٱلْأَعْرَاضِ وَهُوَ ٱللِّبَاسُ فَلَمْ نَجْزَعْ لِمَرَضِ ٱلْحَالِ مَعَ سَلَامَةِ ٱلنُّفُوسِ وَلَمْ نَحْزَنْ لِذَهَابِ ٱلْمَالِ مَعَ بَقَـاءِ ٱلرُّؤُوسِ وَسِرْنَا حَتَّى وَرَدْنَا عَرْصَةَ ٱلْعَدْلِ وَسَاحَةَ ٱلْفَضْلِ وَمَرْبَعَ ٱلْحَمْدِ وَمَشْرَعَ ٱلْمَجْدِ وَمَطْلِعَ ٱلْجُودِ وَمَنْزِعَ ٱلْأَصْلِ وَمَشْعَرَ ٱلدِّينِ وَمَفْزَعَ ٱلشُّكْرِ وَمَصْرَعَ ٱلْفَقْرِ حَضْرَةَ ٱلْمَلِكِ ٱلْعَادِلِ أَبِي أَحْمَدَ خَلَفِ بْنِ أَحْمَدَ فَكَانَ مَا أَضَعْنَاهُ كَأَنَّا زَرَعْنَاهُ فَأَنْبَتَ سَبْعَ سَنَابِلَ وَكَانَ مَا فَقَدْنَاهُ كَأَنَّا أَقْرَضْنَاهُ هٰذَا ٱلْمَلِكَ ٱلْعَادِلَ وَكَأَنَّمَا سُمِّيَ خَلَفًا لِيَكُونَ عَنْ كُلِّ فَائِتٍ خَلَفًا وَعَنْ كُلِّ مَا مَضَى عِوَضًا وَكَأَنَّمَا جِئْنَاهُ لِيُضَيِّقَ عَلَيْنَا ٱلْعَالَمَ وَيُبَغِّضَ إِلَيْنَا بَنِي آدَمَ فَيَجْعَلَ حَبْسَنَا سِجِسْتَانَ وَقَيْدَنَا ٱلْإِحْسَانَ وَكَأَنَّمَا خُلِقَ لِلدُّنْيَا تَجْمِيلًا وَلِلْمُلُوكِ تَخْجِيلًا وَكَأَنَّ هٰذَا ٱلْعَالَمَ قَدْ أَحْسَنَ عَمَلًا فَجُعِلَ هٰذَا ٱلْمَلِكُ ثَوَابَهُ وَكَأَنَّ هٰذَا ٱلْمَلِكَ قَدْ أَذْنَبَ مَثَلًا فَجُعِلَ هٰذَا ٱلْعَالَمُ

عِقَابَهُ فَهُوَ ٱلْبَحْرُ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَٱلْمَجْدُ يَتَصَوَّرُ فِي
ٱلْعَيْنِ وَٱلْعَدْلُ يَتَقَسَّمُ وَٱلْجُودُ يَتَجَسَّمُ وَٱلْبَحْرُ يَتَكَلَّمُ
فَلَمَّا ٱلْتَقَيْنَا فَرَشْتُ ٱلْأَرْضَ بِيَدِي فَرْشًا وَنَقَشْتُ ٱلتُّرَابَ
بِفَمِي نَقْشًا وَخَطَا إِلَيَّ خَطَوَاتٍ كَادَتِ ٱلْأَرْضُ لَا تَسَعُهَا
وَكَادَتِ ٱلْمَلَائِكَةُ تَرْفَعُهَا ثُمَّ إِنَّهُ زَيَّفَ بِلُقْيَايَ وُفُودَ ٱلْكَلَامِ
كَمَا زَيَّفْتُ بِلُقْيَاهُ مُلُوكَ ٱلْأَنَامِ وَأَفْسَدَنِي عَلَى ٱلنَّاسِ مِنْ
جَمِيعِ ٱلْأَجْنَاسِ فَمَا أَرْضَى غَيْرَهُ أَحَدًا وَلَا أَجِدُ مِثْلَهُ
أَبَدًا وَإِنْ طَلَبْتُ مَلِكًا فِي أَخْلَاقِهِ مُتُّ وَلَمْ أَلَاقِهِ
أَوْ كَرِيمًا فِي جُودِهِ عُدِمْتُ قَبْلَ وُجُودِهِ فَحَرَسَ ٱللهُ
سُلْطَانَهُ مِنْ مَلِكٍ وَسَّعَ أَرْزَاقِي فَضَيَّقَ أَخْلَاقِي وَأَغْلَى
ثَمَنِي فَمَا يَشْتَرِينِي أَحَدٌ وَعَظَّمَ أَمْرِي فَمَا يَسَعُنِي بَلَدٌ وَهَذَا
وَصْفٌ إِنْ أَطَلْتُهُ طَالَ وَنَشَرَ ٱلْأَذْيَالَ وَٱسْتَغْرَقَ
ٱلْقِرْطَاسَ بَلِ ٱلْأَنْفَاسَ وَٱسْتَنْفَدَ ٱلْأَعْمَارَ بَلِ ٱلْأَعْصَارَ
وَلَمْ يَبْلُغِ ٱلْمِعْشَارَ وَأَفْنَى ٱلْأَقْلَامَ بَلِ ٱلْكَلَامَ وَلَمْ
يَبْلُغِ ٱلتَّمَامَ

وكتبَ الحسنُ بن وَهْبٍ الى بعضهم

مَنْ شَكَرَكَ عَلَى دَرَجَةٍ رَفَعْتَهُ إِلَيْهَا أَوْ ثَرْوَةٍ أَقْدَرْتَهُ

عَلَيهَا فَإِنَّ شُكْرِي لَكَ عَلَى مُهْجَةٍ أَحْيَيْتَهَا وَحُشَاشَةٍ أَبْقَيْتَهَا وَرَمَقٍ أَمْسَكْتَ بِهِ وَقُمْتَ بَيْنَ ٱلتَّلَفِ وَبَيْنَهُ فَلِكُلِّ نِعْمَةٍ مِنْ نِعَمِ ٱلدُّنْيَا حَدٌّ تَنْتَهِي إِلَيْهِ وَمَدًى يُوقَفُ عِنْدَهُ وَغَايَةٌ مِنَ ٱلشُّكْرِ يَسْمُو إِلَيْهَا ٱلطَّرْفُ خَلَا هٰذِهِ ٱلنِّعْمَةَ ٱلَّتِي قَدْ فَاقَتِ ٱلْوَصْفَ وَأَطَالَتِ ٱلشُّكْرَ وَتَجَاوَزَتْ قَدْرَهُ وَأَنْتَ مِنْ وَرَآءِ كُلِّ غَايَةٍ رَدَدْتَ عَنَّا كَيْدَ ٱلْعَدُوِّ وَأَرْغَمْتَ أَنْفَ ٱلْحَسُودِ فَنَحْنُ نَلْجَأُ مِنْكَ فِيهَا إِلَى ظِلٍّ ظَلِيلٍ وَكَنَفٍ كَرِيمٍ فَكَيْفَ يَشْكُرُ ٱلشَّاكِرُ وَأَيْنَ يَبْلُغُ جُهْدُ ٱلْمُجْتَهِدِ

وكتبَ ابو الفضل الميكاليّ الى بعضهم من رسالةٍ

فَأَمَّا ٱلشُّكْرُ ٱلَّذِي أَعَارَنِي رِدَآءَهُ وَقَلَّدَنِي طَوْقَهُ وَسَنَآءَهُ فَهَيْهَاتَ أَنْ يَنْتَسِبَ إِلَّا إِلَى عَادَاتِ فَضْلِهِ وَإِفْضَالِهِ أَوْ يَسِيرَ إِلَّا تَحْتَ رَايَاتِ عُرْفِهِ وَنَوَالِهِ وَهُوَ ثَوْبٌ لَا يُجْلَى إِلَّا بِذِكْرِهِ طِرَازُهُ وَٱسْمٌ لَهُ حَقِيقَتُهُ وَلِسِوَاهُ مَجَازُهُ وَلَوْ أَنَّهُ حِينَ مَلَكَ رِقِّي بِأَيَادِيهِ وَأَعْجَزَ وُسْعِي عَنْ حُقُوقِ مَكَارِمِهِ وَمَسَاعِيهِ خَلَّى لِي مَذْهَبَ ٱلشُّكْرِ وَمَيْدَانَهُ وَلَمْ يُجَاذِبْنِي زِمَامَهُ وَعِنَانَهُ لَتَعَلَّقْتُ فِي بُلُوغِ بَعْضِ ٱلْوَاجِبِ بِعُرْوَةِ طَمَعٍ وَنَهَضْتُ فِيهِ وَلَوْ عَلَى وَهْنٍ وَظَلَعٍ وَلٰكِنَّهُ يَأْبَى إِلَّا أَنْ يَسْتَوْلِيَ عَلَى

أَمَدِ ٱلْفَضَائِلِ وَيَتَسَنَّمَ ذُرَى ٱلْغَوَارِبِ مِنْهَا وَٱلْكَوَاهِلِ فَلَا يَدَعَ فِي ٱلْمَجْدِ غَايَةً إِلَّا سَبَقَ إِلَيْهَا فَارِطًا وَتَخَلَّفَ سِوَاهُ عَنْهَا حَسِيرًا سَاقِطًا لِتَكُونَ ٱلْمَعَالِي بِأَسْرِهَا مَجْمُوعَةً فِي مِلْكِهِ مَنْظُومَةً فِي سِلْكِهِ خَالِصَةً لَهُ مِنْ دَعْوَى ٱلْقَسِيمِ وَشِرْكِهِ

فَصْلٌ

فِي ٱلْعِيَادَةِ

كتب بعضهم الى صديق له

لَيْسَتْ حَالِي أَكْرَمَكَ ٱللهُ فِي ٱلِاغْتِمَامِ بِعِلَّتِكَ حَالَ ٱلْمُشَارِكِ فِيهَا بِأَنْ يَنَالَنِي نَصِيبٌ مِنْهَا وَأَسْلَمَ مِنْ أَكْثَرِهَا بَلِ ٱجْتَمَعَ عَلَيَّ مِنْهَا أَنِّي مَخْصُوصٌ بِهَا دُونَكَ مُؤْلَمٌ مِنْهَا بِمَا يُؤْلِمُكَ فَأَسْأَلُ ٱللهَ ٱلَّذِي جَعَلَ عَافِيَتِي فِي عَافِيَتِكَ أَنْ يَخُصَّنِي بِهَا فِيكَ فَإِنَّهَا شَامِلَةٌ لِي وَلَكَ

وكتب بعضهم

لَئِنْ تَخَلَّفْتُ عَنْ عِيَادَتِكَ بِٱلْعُذْرِ ٱلْوَاضِحِ مِنَ ٱلْعِلَّةِ مَا أَغْفَلَ قَلْبِي ذِكْرَكَ وَلَا لِسَانِي فَحْصًا عَنْ خَبَرِكَ وَمُحِبُّكَ يُحِبُّ

أَنْ تَتَقَسَّمَ جَوَارِحَهُ وَصَبَكَ وَإِنْ زَادَ فِي أَلَمِهَا أَلَمُكَ وَأَنْ نَتَّصِلَ بِهِ أَحْوَالُكَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَلَمَّا بَلَغَنِي إِفَاقَتُكَ كَتَبْتُ مُهَنِّئًا بِٱلْعَافِيَةِ مُعْفِيًا مِنَ ٱلْجَوَابِ إِلَّا بِخَبَرِ ٱلسَّلَامَةِ إِنْ شَآءَ ٱللهُ

وكتب بعضهم

إِنَّ ٱلَّذِي يَعْلَمُ حَاجَتِي إِلَى بَقَآئِكَ قَادِرٌ عَنِ ٱلْمُدَافَعَةِ عَنْ حَوْبَآئِكَ فَلَوْ قُلْتُ إِنَّ ٱلْحَقَّ قَدْ سَقَطَ عَنِّي فِي عِيَادَتِكَ لِأَنِّي عَلِيلٌ بِعِلَّتِكَ لَقَامَ بِذٰلِكَ شَاهِدٌ عَدْلٌ فِي ضَمِيرِكَ وَأَثَرٌ بَادٍ فِي حَالِي لِغَيْبَتِكَ وَأَصْدَقُ ٱلْخَبَرِ مَا حَقَّقَهُ ٱلْأَثَرُ وَأَفْضَلُ ٱلْقَوْلِ مَا كَانَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ مِنَ ٱلْفِعْلِ

وكتب ابنُ الرُّوميّ الى بعضهم

أَذِنَ ٱللهُ فِي شِفَآئِكَ وَتَلَقَّى دَآءَكَ بِدَوَآئِكَ وَمَسَحَ بِيَدِ ٱلْعَافِيَةِ عَلَيْكَ وَوَجَّهَ وَفْدَ ٱلسَّلَامَةِ إِلَيْكَ وَجَعَلَ عِلَّتَكَ مَاحِيَةً لِذُنُوبِكَ مُضَاعِفَةً لِثَوَابِكَ

وكتب ابو بكرٍ الخَوارزميّ الى تلميذٍ له

وَصَلَ كِتَابُكَ يَا سَيِّدِي فَسَرَّنِي نَظَرِي إِلَيْهِ ثُمَّ غَمَّنِي ٱطِّلَاعِي عَلَيْهِ لِمَا تَضَمَّنَهُ مِنْ ذِكْرِ عِلَّتِكَ جَعَلَ ٱللهُ أَوَّلَهَا

كَفَّارَةً وَآخِرَهَا عَافِيَةً وَلَا أَعْدَمَكَ عَلَى ٱلْأُولَى أَجْرًا وَعَلَى ٱلْأُخْرَى شُكْرًا وَبِوُدِّي لَوْ قَرُبَ عَلَيَّ مُتَنَاوَلُ عِيَادَتِكَ فَٱحْتَمَلْتُ عَنْكَ بِٱلتَّعَهُّدِ وَٱلْمُسَاعَدَةِ بَعْضَ أَعْبَاءِ عِلَّتِكَ فَلَقَدْ خَصَّنِي مِنْ هٰذِهِ ٱلْعِلَّةِ قِسْمٌ كَقِسْمِكَ وَمَرِضَ قَلْبِي فِيكَ لِمَرَضِ جِسْمِكَ وَأَظُنُّ أَنِّي لَوْ لَقِيتُكَ عَلِيلًا لَا نْصَرَفْتُ عَنْكَ وَأَنَا أَعَلُّ مِنْكَ فَإِنِّي بِحَمْدِ ٱللّٰهِ تَعَالَى جَلْدٌ عَلَى أَوْجَاعِ أَعْضَائِي غَيْرُ جَلْدٍ عَلَى أَوْجَاعِ أَصْدِقَائِي يَنْبُو عَنِّي سَهْمُ ٱلدَّهْرِ إِذَا رَمَانِي وَيَنْفُذُ فِيَّ إِذَا رَمَى إِخْوَانِي فَأَقْرَبُ سِهَامِهِ مِنِّي أَبْعَدُ سِهَامِهِ عَنِّي كَمَا أَنَّ أَبْعَدَهَا عَنِّي أَقْرَبُهَا مِنِّي شَفَاكَ ٱللّٰهُ وَعَافَاكَ وَكَفَانِي فِيكَ ٱلْمَحْذُورَ وَكَفَاكَ وَرَفَعَ جَنْبَكَ وَغَفَرَ ذَنْبَكَ وَآمَنَ سِرْبَكَ وَشَرَحَ قَلْبَكَ وَأَعْلَى كَعْبَكَ

فَصْلٌ
فِي ٱلْإِهْدَاءِ

كتب سعيدُ بنُ حميدٍ الى بعضِ اهل السلطان في يوم النيروز

أَيُّهَا ٱلسَّيِّدُ ٱلشَّرِيفُ عِشْتَ أَطْوَلَ ٱلْأَعْمَارِ بِزِيَادَةٍ مِنَ

ٱلْعُمْرِ مَوْصُولَةٍ بِفَرَائِضِهَا مِنَ ٱلشُّكْرِ لَا يَنْقَضِي حَقُّ نِعْمَةٍ حَتَّى يُجَدِّدَ لَكَ أُخْرَى وَلَا يَمُرُّ بِكَ يَوْمٌ إِلَّا كَانَ مُقَصِّرًا عَمَّا بَعْدَهُ مُوفِيًا عَمَّا قَبْلَهُ . إِنِّي تَصَفَّحْتُ أَحْوَالَ ٱلْأَتْبَاعِ ٱلَّذِينَ يَجِبُ عَلَيْهِمِ ٱلْهَدَايَا إِلَى ٱلسَّادَةِ وَٱلْتَمَسْتُ ٱلتَّأَسِّيَ بِهِمْ فِي ٱلْإِهْدَاءِ وَإِنْ قَصَّرَتْ بِيَ ٱلْحَالُ عَنِ ٱلْوَاجِبِ فَوَجَدْتُ أَنِّي إِنْ أَهْدَيْتُ نَفْسِي فَهِيَ مِلْكٌ لَكَ لَا حَظَّ فِيهَا لِغَيْرِكَ . وَرَمَيْتُ بِطَرْفِي إِلَى كَرَائِمِ مَالِي فَوَجَدْتُهَا مِنْكَ فَإِنْ كُنْتُ أَهْدَيْتُ مِنْهَا شَيْئًا فَإِنِّي لَمُهْدٍ مَالَكَ إِلَيْكَ . وَنَزَعْتُ إِلَى مَوَدَّتِي فَوَجَدْتُهَا خَالِصَةً لَكَ قَدِيمَةً غَيْرَ مُسْتَحْدَثَةٍ فَرَأَيْتُ إِنْ جَعَلْتُهَا هَدِيَّتِي أَنِّي لَمْ أُجَدِّدْ لِهٰذَا ٱلْيَوْمِ ٱلْجَدِيدِ بِرًّا وَلَا لَطَفًا . وَلَمْ أُمَيِّزْ مَنْزِلَةً مِنْ شُكْرِي بِمَنْزِلَةٍ مِنْ نِعْمَتِكَ إِلَّا كَانَ ٱلشُّكْرُ مُقَصِّرًا عَنِ ٱلْحَقِّ وَٱلنِّعْمَةُ زَائِدَةً عَلَى مَا تَبْلُغُهُ ٱلطَّاقَةُ فَجَعَلْتُ ٱلِٱعْتِرَافَ بِٱلتَّقْصِيرِ عَنْ حَقِّكَ هَدِيَّةً إِلَيْكَ وَٱلْإِقْرَارَ بِٱلتَّقْصِيرِ عَمَّا يَجِبُ لَكَ بِرًّا أَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَيْكَ وَقُلْتُ فِي ذٰلِكَ

إِنْ أُهْدِ مَالًا فَهْوَ وَاهِبُهُ ... وَهْوَ ٱلْحَقِيقُ عَلَيْهِ بِٱلشُّكْرِ
أَوْ أُهْدِ شُكْرِي فَهْوَ مُرْتَهَنٌ ... بِجَمِيلِ فِعْلِكَ آخِرَ ٱلدَّهْرِ
وَٱلشَّمْسُ تَسْتَغْنِي إِذَا طَلَعَتْ ... أَنْ تَسْتَضِيءَ بِسُنَّةِ ٱلْبَدْرِ

وكتب ابرهيم بن المهديّ الى صديق له

لَوْ كَانَتِ ٱلتُّحفَةُ عَلَى حَسَبِ مَا يُوجِبُهُ حَقُّكَ لَأَجْحَفَ بِنَا أَدْنَى حُقُوقِكَ وَلٰكِنَّهَا عَلَى قَدْرِ مَا يُخْرِجُ مِنَ ٱلْوَحْشَةِ وَيُوجِبُ ٱلْأُنْسَ وَقَدْ بَعَثْتُ بِكَذَا وَكَذَا

فَصْلٌ

في التهانئ

كتب ابو الفضل بن العميد الى عضد الدولة يهنئهُ بولدين

أَطَالَ ٱللهُ بَقَاءَ ٱلْأَمِيرِ ٱلْأَجَلِّ عَضُدِ ٱلدَّوْلَةِ وَأَدَامَ عِزَّهُ وَتَأْيِيدَهُ وَعُلُوَّهُ وَتَمْهِيدَهُ وَبَسْطَتَهُ وَتَوْطِيدَهُ وَظَاهَرَ لَهُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ مَزِيدَهُ وَهَنَّأَهُ بِمَا أَحْظَاهُ بِهِ عَلَى قُرْبِ ٱلْمِيلَادِ مِنْ تَوَفُّرِ ٱلْأَعْدَادِ وَتَكَثُّرِ ٱلْإِمْدَادِ وَتَثَمُّرِ ٱلْأَوْلَادِ وَأَرَاهُ مِنَ ٱلنَّجَابَةِ فِي ٱلْبَنِينَ وَٱلْأَسْبَاطِ مَا أَرَاهُ مِنَ ٱلْكَرَمِ فِي ٱلْآبَاءِ وَٱلْأَجْدَادِ وَلَا أَخْلَى عَيْنَهُ مِنْ قُرَّةٍ وَنَفْسَهُ مِنْ مَسَرَّةٍ وَمُتَجَدِّدِ نِعْمَةٍ وَمُسْتَأْنَفِ مَكْرُمَةٍ وَزِيَادَةٍ فِي عَدَدِهِ وَفَسْحٍ فِي أَمَدِهِ حَتَّى يَبْلُغَ غَايَةَ مَهَلِهِ وَيَسْتَغْرِقَ نِهَايَةَ أَمَلِهِ وَيَسْتَوْفِيَ مَا بَعْدَ حُسْنِ ظَنِّهِ وَعَرَّفَهُ ٱللهُ ٱلسَّعَادَةَ فِيمَا بُشِّرَ بِهِ عَبْدُهُ مِنْ

طُلُوعِ بَدْرَيْنِ هُمَا ٱنْبَعَثَا مِنْ نُورِهِ وَٱسْتَنَارَا مِنْ دُورِهِ وَحَفَّا بِسَرِيرِهِ وَجَعَلَ وَفْدَهُمَا مُتَلَائِمَيْنِ وَوُرُودَهُمَا تَوْأَمَيْنِ بَشِيرَيْنِ بِتَظَاهُرِ ٱلنِّعَمِ وَتَوَافُرِ ٱلْقِسَمِ وَمُؤْذِنَيْنِ بِتَرَادُفِ بَنِينَ يُشْرِقُ بِنُورِهِمْ أُفُقُ ٱلْعَلَاءِ وَيَنْتَهِي بِهِمْ أَمَدُ ٱلنَّمَاءِ إِلَى غَايَةٍ تَفُوتُ غَايَةَ ٱلْإِحْصَاءِ

وكتب ابو الفضل بديعُ الزمانِ الهَمَذانيّ الى طاهر الداوردي يهنئهُ بمولودٍ

حَقًّا لَقَدْ أَنْجَزَ ٱلْإِقْبَالُ وَعْدَهُ وَوَافَقَ ٱلطَّالِعُ سَعْدَهُ وَإِنَّ ٱلشَّأْنَ لَفِيمَا بَعْدَهُ وَحَبَّذَا ٱلْأَصْلُ وَفَرْعُهُ وَبُورِكَ ٱلْغَيْثُ وَصَوْبُهُ وَأَيْنَعَ ٱلرَّوْضُ وَنَوْرُهُ وَحَبَّذَا سَمَاءٌ أَطْلَعَتْ فَرْقَدًا وَغَابَةٌ أَبْرَزَتْ أَسَدًا وَظَهْرٌ وَافَقَ سَنَدًا وَذِكْرٌ يَبْقَى أَبَدًا وَمَجْدٌ يُسَمَّى وَلَدًا وَشَرَفُ لُحْمَةٍ وَسَدًى

أَنْجَبَ كُلٌّ مِنْ وَالِدَيْهِ بِهِ إِذْ نَجَلَاهُ فَنِعْمَ مَا نَجَلَا

فَأَلْفَيَاهُ شِهَابَ ذَكَاءٍ وَبَدْرَ عَلَاءٍ

وَوَجَدَاهُ ٱبْنَ جَلَا أَبْيَضَ يُدْعَى ٱلْجَفَلَى
لِمِثْلِـهِ أَوْ لَا فَلَا إِذَا ٱلنَّدِيُّ ٱحْتَفَلَا

وكتب بعضهم يهنئ صديقًا لهُ بالقدوم من سفرٍ

أُهَنِّئُ سَيِّدِي وَنَفْسِي بِمَا يَسَّرَ ٱللّٰهُ مِنْ قُدُومِهِ سَالِمًا وَأَشْكُرُ

ٱللَّهَ عَلَى ذَٰلِكَ شُكْرًا دَائِمًا غَيْبَةُ ٱلْمَكَارِمِ مَقْرُونَةٌ بِغَيْبَتِكَ وَأَوْبَةُ ٱلنِّعَمِ مَوْصُولَةٌ بِأَوْبَتِكَ فَوَصَلَ ٱللَّهُ تَعَالَى قُدُومَكَ مِنَ ٱلْكَرَامَةِ بِأَضْعَافِ مَا قَرَنَ بِهِ مَسِيرَكَ مِنَ ٱلسَّلَامَةِ

وكتبَ بعضهم تهنئةً بالنيروز

أَقْبَلَ ٱلنَّيْرُوزُ إِلَى سَيِّدِنَا نَاشِرًا حُلَلَهُ ٱلَّتِي ٱسْتَعَارَهَا مِنْ شِيمَتِهِ وَمُبْدِيًا حِلْيَتَهُ ٱلَّتِي ٱتَّخَذَهَا مِنْ سَجِيَّتِهِ وَمُسْتَصْحِبًا مِنْ أَنْوَارِهِ مَا ٱكْتَسَاهُ مِنْ مَحَاسِنِ فَضْلِهِ وَإِكْرَامِهِ وَمِنْ أَنْظَارِهِ مَا ٱقْتَبَسَهُ مِنْ جُودِهِ وَإِنْعَامِهِ وَمُؤَكِّدًا لِلْوَعْدِ بِطُولِ بَقَائِهِ حَتَّى يَمَلَّ ٱلْعُمْرَ وَيَسْتَغْرِقَ ٱلدَّهْرَ فَلَا زَالَ يَلْبَسُ ٱلْأَيَّامَ وَيُبْلِيهَا وَهُوَ جَدِيدٌ وَيَقْطَعُ مَسَافَةَ نَحْسِهَا وَهُوَ سَعِيدٌ وَلَا زَالَ آمِرًا نَاهِيًا قَاهِرًا عَالِيًا تَتَهَيَّأُ ٱلْأَعْيَادُ بِمُصَادَفَةِ سُلْطَانِهِ وَتَسْتَفِيدُ ٱلْمَحَاسِنُ مِنْ رِيَاضِ إِحْسَانِهِ

فَصْلٌ

في الاستزارة

كتبَ الوزيرُ الكاتب ابو الفضل بنُ حسداي إلى عبدِ الرحمن بن طاهر

مَحَلُّكَ أَعَزَّكَ ٱللَّهُ فِي طَيِّ ٱلْجَوَانِحِ ثَابِتٌ وَإِنْ نَزَحَتِ

ٱلدَّارُ وَعِيَانُكَ فِي أَحْنَآءِ ٱلضُّلُوعِ بَادٍ وَإِنْ شَحَطَ ٱلْمَزَارُ فَٱلنَّفْسُ فَائِزَةٌ مِنْكَ بِتَمَثُّلِ ٱلْخَاطِرِ بِأَوْفَرِ ٱلْحَظِّ وَٱلْعَيْنُ نَازِعَةٌ إِلَى أَنْ تَمَتَّعَ مِنْ لِقَائِكَ بِظَفَرِ ٱللَّحْظِ فَلَا عَائِدَةَ أَسْبَغُ بُرْدًا وَلَا مَوْهِبَةَ أَسْوَغُ وِرْدًا مِنْ تَفَضُّلِكَ بِٱلْخُفُوفِ إِلَى مَأْنَسٍ يَتِمُّ بِمُشَاهَدَتِكَ ٱلْتِئَامُهُ وَيَتَّصِلُ بِمُحَاضَرَتِكَ ٱنْتِظَامُهُ وَلَكَ فَضْلُ ٱلْإِجْمَالِ بِٱلْإِمْتَاعِ مِنْ ذٰلِكَ بِأَعْظَمِ ٱلْآمَالِ وَحَسْبِي مَا تَحَقَّقُهُ مِنْ نِزَاعِي وَتَشَوُّقِي وَتَتَيَقَّنُهُ مِنْ تَطَلُّعِي وَتَتَوُّقِي وَقَدْ تَمَكَّنَ ٱلْاِرْتِيَاحُ بِٱسْتِحْكَامِ ٱلثِّقَةِ وَٱعْتَرَضَ ٱلْاِنْتِزَاعُ بِٱرْتِقَابِ ٱلصِّلَةِ وَأَنْتَ وَصَلَ ٱللّٰهُ سَعْدَكَ بِسَمَاحَةِ شِيَمِكَ وَبَارِعِ كَرَمِكَ تُنْشِئُ لِلْمُؤَانَسَةِ عَهْدًا وَتُورِي بِٱلْمُكَارَمَةِ زَنْدًا وَتَقْتَضِي بِٱلْمُشَارَكَةِ شُكْرًا حَافِلًا وَحَمْدًا لَا زِلْتَ مُهَنًّأ بِٱلسُّعُودِ ٱلْمُقْتَبَلَةِ مُسَوَّغًا ٱجْتِلَآءَ غُرَرِ ٱلْأَمَانِيِّ ٱلْمُتَهَلِّلَةِ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ

وكتبَ الوزيرُ الكاتب ابو القاسم بنُ السقّاطِ الى صديقٍ له

يَوْمُنَا أَعَزَّكَ ٱللّٰهُ يَوْمٌ قَدْ نَقَّبَتْ شَمْسُهُ بِقِنَاعِ ٱلْغَمَامِ وَذَهَّبَتْ كَأْسُهُ بِشُعَاعِ ٱلْمُدَامِ وَنَحْنُ مِنْ قِطَارِ ٱلْوَسْمِيِّ فِي رِدَآءِ هَدِيٍّ وَمِنْ نَضِيرِ ٱلنُّوَّارِ عَلَى نَظِيرِ ٱلنُّضَارِ

وَمِنْ بوَاسِمِ ٱلزهْرِ فِي لَطَائِمِ ٱلْعِطْرِ وَمِنْ غُرِّ ٱلنَّدْمَانِ بيْنَ زَهْرِ ٱلْبسْتَانِ وَمِنْ حرَكَاتِ ٱلْأَوْتَارِ خِلَالَ نغمَاتِ ٱلْأَطْيَارِ وَمِنْ سُقَاةِ ٱلْكُؤُوسِ وَمُعَاطِي ٱلْمُدَامِ بيْنَ مُشْرِقَاتِ ٱلشُّمُوسِ وَعَوَاطِي ٱلارَامِ فرَأْيكَ فِي مُصَافحَةِ ٱلْأَقْمَارِ وَمُنَافحَةِ ٱلْأَنْوَارِ وَٱجْتِلَاءِ غُرَرِ ٱلظِّبَاءِ ٱلْجَوَازِي وَٱنْتِقَاءِ دُرَرِ ٱلْغِنَاءِ ٱلْحِجَازِي مُوَفَّقًا إِنْ شَاءَ ٱللهُ تعَالَى

وكتبَ الصاحبُ ابنُ عبّادٍ الى صديقٍ لهُ

نحْنُ يَا سَيِّدِي فِي مَجْلِسٍ غَنِيٍّ إِلَّا عَنْكَ شَاكِرٍ إِلَّا مِنْكَ قَدْ تَفَتَّحَتْ فِيهِ عُيُونُ ٱلنَّرْجِسِ وَتوَرَّدَتْ خُدُودُ ٱلْبَنَفْسَجِ وَفَاحَتْ مَجَامِرُ ٱلْأُتْرُجِّ وَفُتِقَتْ فَأْرَاتُ ٱلنَّارَنْجِ وَٱنْطَلَقَتْ أَلْسُنُ ٱلْعِيدَانِ وَقَامَتْ خُطَبَاءُ ٱلْأَطْيَارِ وَهَبَّتْ رِيَاحُ ٱلْأَقْدَاحِ وَنَفَقَتْ سُوقُ ٱلْأُنْسِ وَقَامَ مُنَادِي ٱلطَّرَبِ وَٱمْتَدَّ سَحَابُ ٱلنَّدِّ فَبِحَيَاتِي إِلَّا مَا حَضَرْتَ فَقَدْ أَبَتْ رَاحُ مَجْلِسِنَا أَنْ تَصْفُوَ إِلَّا أَنْ تَتَنَاوَلَهَا يُمْنَاكَ وَأَقْسَمَ غِنَاؤُهُ أَنْ لَا يَطِيبَ حَتَّى تَعِيَهُ أُذُنَاكَ فَخُدُودُ نَارَنْجِهِ قَدِ ٱحْمَرَّتْ خَجَلًا لِإِبْطَائِكَ وَعُيُونُ نَرْجِسِهِ قَدْ حَدَّقَتْ تَأْمِيلًا لِلِقَائِكَ

وكتب ابو الطيّب المتنبيّ الى صديق له كان يزورهُ ايام اعتلالهِ وانقطع عنهُ عند إبلالهِ

وَصَلْتَنِي وَصَلَكَ ٱللّٰهُ مُعْتَلًّا وَقَطَعْتَنِي مُبِلًّا فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ لَا تُكَدِّرَ ٱلصِّحَّةَ عَلَيَّ وَلَا تُحَبِّبَ ٱلْعِلَّةَ إِلَيَّ فَعَلْتَ إِنْ شَاءَ ٱللّٰهُ

فَصْلٌ

فِي الوصاة

كتب الجاحظ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ فُلَانًا أَسْبَابُهُ مُتَّصِلَةٌ بِنَا يَلْزَمُنَا ذِمَامُهُ وَبُلُوغُ مُوَافَقَتِهِ مِنْ أَيَادِيكَ عِنْدَنَا وَأَنْتَ لَنَا مَوْضِعُ ٱلثِّقَةِ مِنْ مُكَافَاتِهِ فَأَوْلِنَا فِيهِ مَا يُعْرَفُ بِهِ مَوْقِعُنَا مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ وَيَكُونُ مُكَافَاةً لِحَقِّهِ عَلَيْنَا

وكتب عبدُ الحميد بنُ يحيى الى بعضهم

حَقُّ مُوصِلِ كِتَابِي عَلَيْكَ كَحَقِّهِ عَلَيَّ إِذْ جَعَلَكَ مَوْضِعًا لِأَمَلِهِ وَرَآنِي أَهْلًا لِحَاجَتِهِ وَقَدْ أَنْجَزْتُ حَاجَتَهُ فَصَدِّقْ أَمَلَهُ

وكتب ابو بكرٍ الخُوارَزْميّ الى صديق له

أَلْأَيَّامُ أَيَّدَكَ ٱللّٰهُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ تَرَاجِمَةٌ لِي عَنْ صِحَّةِ وَفَائِكَ وَشُهُودٌ عِنْدِي عَلَى صِدْقِ إِخَائِكَ وَأَقَلُّ حُقُوقِكَ عَلَيَّ

يُلْزِمُنِي أَنْ لَا أَشْغَلَ لِسَانِي بِغَيْرِ شُكْرِكَ وَلَا قَلْبِي إِلَّا بِذِكْرِكَ وَلَوْ تَجَاوَزَ طَبَقَاتُ أَهْلِ مَوَدَّتِكَ فِي مَيْدَانِ الْمِقَةِ وَتَنَازَعُوا خَصْلَ الْأُنْسِ وَالثِّقَةِ رَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ سَابِقًا لَيْسَ لَهُ سَابِقٌ وَلَا يُذْكَرُ مَعَهُ لَاحِقٌ وَأَنْ تَجْلِيَ الْغَايَةُ مِنِّي عَنْ مَحَبَّةٍ مُرَبَّاةٍ بِالْوَفَاءِ وَعَنْ شُكْرٍ مُرْضَعٍ بِالدُّعَاءِ وَقَدْ بَلَغَنِي خَبَرُ سَعْيِكَ لِفُلَانٍ فِي الْعَمَلِ الَّذِي هُوَ دُونَ قَدْرِهِ وَإِنْ كَانَ فَوْقَ أَعْمَالِ عَصْرِهِ فَشَكَرْتُكَ عَنْهُ وَإِنْ كَانَ بِشُكْرِكَ أَوْفَى وَأَمْلَى وَبِإِيفَائِكَ حَقَّكَ أَحَقَّ وَأَوْلَى وَأَرَدْتُ أَنْ أَكِلَ شُكْرَكَ إِلَيْهِ وَلَا أَتَطَفَّلَ فِيهِ عَلَيْهِ فَكَرِهْتُ أَنْ تُطْوَى صَحِيفَةُ الشُّكْرِ وَلَمْ يَجْرِ لِي فِيهَا اسْمٌ وَأَنْ تُخْتَمَ جَرِيدَةُ الْمُشَارَكَةِ وَلَمْ يَكُنْ لِي فِيهَا قِسْمٌ فَذَكَرْتُهُ لَكَ وَأَنْتَ لَهُ أَذْكَرُ وَشَكَرْتُكَ عَنْهُ وَهُوَ لَكَ مِنِّي أَشْكَرُ عَلَى أَنِّي أَرْغَبُ بِذَلِكَ الْحُرِّ عَنِ التَّلَطُّخِ بِأَوْضَارِ الْأَعْمَالِ فَإِنَّهَا مَزَالِقُ أَقْدَامِ الرِّجَالِ ضِنًّا بِهِ عَنْ تَخَالِيطِ الْأَيَّامِ وَصِيَانَةً لِمَحَلِّهِ عَنْ مُدَانَسَةِ الْأَوْهَامِ وَنِعْمَتُكَ عَلَيْهِ مُقْتَسَمَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَهُ بَلْ أَكْثَرُهَا لِي دُونَهُ فَمَا ظَنُّكَ بِعَارِفَةٍ وَاحِدَةٍ تُكْسِبُكَ شُكْرَيْنِ وَتَسْتَعْبِدُ لَكَ حُرَّيْنِ وَجَدِيرٌ بِمَنْ هَطَلَتْ عَلَيْهِ

سَحَائِبُ عِنَايَتِكَ وَرَفْرَفَتْ حَوْلَهُ أَجْنِحَةُ رِعَايَتِكَ أَنْ يَنْبُوَ عَنْهُ سَيْفُ ٱلزَّمَانِ مَثْلُومًا وَيَرْجِعَ عَنْ سَاحَتِهِ عَسْكَرُ ٱلزَّمَانِ مَهْزُومًا وَٱللّٰهَ عَزَّ وَجَلَّ أَسْأَلُ أَنْ لَا يَحْرِمَكَ نِعْمَةً يَمُدُّ إِلَيْكَ بِهَا عُنُقُ وَدُودٍ وَمِنَّةً تَفْقَأُ عَنْكَ عَيْنَ حَسُودٍ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ

وكتب الحسن بن وهب الى مالك بن طوق في ابن ابي الشيص

كِتَابِي إِلَيْكَ خَطَطْتُهُ بِيَمِينِي وَفَرَّغْتُ لَهُ ذِهْنِي فَمَا ظَنُّكَ بِحَاجَةٍ هٰذَا مَوْقِعُهَا مِنِّي أَتَرَانِي أَقْبَلُ ٱلْعُذْرَ فِيهَا أَوْ أُقَصِّرُ فِي ٱلشُّكْرِ عَلَيْهَا وَٱبْنُ أَبِي ٱلشِّيصِ قَدْ عَرَفْتَهُ وَنَسَبَهُ وَصِفَاتِهِ وَلَوْ كَانَتْ أَيْدِينَا تَنْبَسِطُ بِبِرِّهِ مَا عَدَانَا إِلَى غَيْرِنَا فَٱكْتَفِ بِهٰذَا مِنَّا

فَصْلٌ

فِي ٱلشَّكْوَى

كتب ابو بكر الخُوارَزمي الى صاحب ديوان الحضرة وقد طُولب ابو بكر بحضور الديوان فلم يفعل

هٰذَا أَطَالَ ٱللّٰهُ بَقَاءَ ٱلشَّيْخِ ٱلرَّئِيسِ حَالُ نَيْسَابُورَ وَأَهْلِيهَا بَلْ حَالِي وَحَالُ ٱلْأَحْرَارِ فِيهَا

وَأَصْبَحَ أَقْوَامٌ يَقُولُونَ مَا اشْتَهَوْا
وَغَابَ أَبُو عَمْرٍو وَغَابَتْ رَوَاحِلُهْ

وَقَدْ كُنْتُ آوِي مِنَ الشَّيْخِ أَيَّامَ مُقَامِهِ بِهٰذِهِ الْجَنْبَةِ إِلَى كَنَفٍ رَحِيبٍ وَجَنَابٍ خَصِيبٍ وَبَابٍ وَاسِعٍ وَنَائِلٍ شَائِعٍ وَوَجْهٍ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ قَرَأْتُ نُسْخَةَ الْكِرَامِ فِي وَجْنَتَيْهِ تَلْمَعُ آثَارُ الْكَرَمِ بِنُورِ أَسَارِيرِهِ وَتُعْرَفُ بُشْرَى النَّجَاحِ فِي تَبَاشِيرِهِ وَفَمٍ يُبَشِّرُنِي بِابْتِسَامِهِ قَبْلَ أَنْ يُبَشِّرَنِي بِكَلَامِهِ وَيُجِيبُنِي بِالنُّجْحِ بِإِشَارَتِهِ قَبْلَ أَنْ يُتَرْجِمَ بِعِبَارَتِهِ وَإِذَا رَأَيْتُهُ رَأَيْتُ بَخْتِي قَدْ أَقْبَلَ إِلَيَّ فِي مَعْرِضِ الْكَمَالِ وَطَالِعَ سَعْدِي قَدْ طَلَعَ عَلَيَّ بِنَيْلِ الْآمَالِ عَنْ يَمِينِي الْجَمَالُ وَعَنْ يَسَارِي الْجَلَالُ فَأَغْدُو إِلَى بَابِهِ يَقْدُمُنِي الْأَمَلُ وَالرَّجَاءُ وَأَرُوحُ عَنْهُ فَيُشَيِّعُنِي الشُّكْرُ وَالدُّعَاءُ وَأَحْمِلُ حَوَائِجِي مِنْهُ عَلَى جَبَلِ الْجُودِ الَّذِي لَا تُحَرِّكُهُ الْمَطَالِبُ وَلَا تَثْقُلُ عَلَيْهِ الرَّغَبَاتُ وَالرَّغَائِبُ بَلْ عَلَى بَحْرِهِ الَّذِي لَا يَنْزِفُهُ الِاسْتِقَاءُ وَلَا تُكَدِّرُهُ الدِّلَاءُ وَلَا يُرَى قَعْرُهُ وَلَا يُدْرَكُ غَوْرُهُ وَإِنَّمَا يَصْبِرُ عَلَى حَوَائِجِ النَّاسِ وَيَلْتَذُّ سَمْعُهُ بِاسْتِمَاعِ صَوْتِ رَحَى الْأَضْرَاسِ مَنْ وُلِدَ فِي طَالِعِ السَّخَاءِ وَغُذِيَ

فِي حُجُورِ ٱلْكُرَمَاءِ وَقُرِعَ سَمْعُهُ مُنْذُ صِبَاهُ بِأَصْوَاتِ ٱلْأُدَبَاءِ وَٱلشُّعَرَاءِ وَمُرِّنَ عَلَى ٱلْبَذْلِ وَٱلْعَطَاءِ

وَٱلثِّقْلُ لَيْسَ مُضَاعَفًا لِمَطِيَّةٍ إِلَّا إِذَا مَا كَانَ وَهْمًا بَازِلَا

حَتَّى إِذَا مَا كَادَتْ غُصُونُ آمَالِي تَرِفُ بَعْدَ مَا يَبِسَتْ وَوُجُوهُ مَطَالِبِي تَضْحَكُ بَعْدَ مَا عَبَسَتْ رَمَتْنِي ٱلْأَيَّامُ بِفِرَاقِ ٱلشَّيْخِ فَأَخْدَجَ رَجَائِيَ ٱلْحَامِلُ وَجَفَّ ضَرْعُ أَمَلِيَ ٱلْحَافِلُ وَسَكَتَ لِسَانِيَ ٱلْقَائِلُ وَفَتَرَتْ فُتُورَ ٱلتَّاجِرِ بَارَ مَتَاعُهُ وَغَابَ مُبْتَاعُهُ وَقُلْتُ لَوْ أَرَادَ ٱللهُ بِٱلْأَدَبِ خَيْرًا لَمَا غَابَ مَنْ كَانَ يَجْمَعُ شَمْلَهُ وَيُكْرِمُ أَهْلَهُ وَيَعْرِفُ فَضْلَهُمْ وَفَضْلَهُ وَلَوْ أَنْصَفْتُ ٱلْأَدَبَ بَعْدَ غَيْبَةِ ٱلشَّيْخِ لَرَثَيْتُهُ مَرْثِيَةَ ٱلْأَمْوَاتِ وَلَأَقَمْتُ عَلَيْهِ مَأْتَمَ ٱلْمَمَاتِ وَمَحَوْتُ ٱسْمَهُ مِنْ جَرِيدَةِ ٱلْحَيَاةِ هٰذَا وَقَدْ وَرَدَ عَلَى عَمَلِ ٱلْخَرَاجِ مَنْ لَا أُطْرِئُهُ بِحُرْمَةٍ وَلَا أَتَنَاوَلُهُ بِطَرَفِ ذَرِيعَةٍ أَوْ وَسِيلَةٍ وَكَأَنِّي بِهِ وَقَدْ حَشَدَنِي فِي جُمْلَةِ ٱلْعَامَّةِ وَأَدْخَلَنِي فِي غِمَارِ سَائِرِ ٱلرَّعِيَّةِ وَأَوْقَعَنِي عَلَى جِسْرٍ قُدَّامَهُ ٱلْخُسْرَانُ وَخَلْفَهُ ٱلْهَوَانُ وَفَجَعَنِي بِدُرَيْهِمَاتٍ جُمِعَتْ بِتَقَحُّمِ ٱلْمَهَالِكِ وَٱخْتِرَاقِ ٱلْمَسَالِكِ وَٱلْمَمَالِكِ وَدَنَانِيرَ قَطَعَتِ ٱلْقِفَارَ وَخَاضَتِ ٱلْبِحَارَ

وَنَاطَحَتِ ٱلْحَوَادِثَ وَٱلْأَقْدَارَ فَإِنْ بَذَلْتُهَا أَبْرَزْتُ وَفْرًا طَالَمَا كَانَ مَخْزُونًا وَإِنْ مَنَعْتُهَا ٱبْتَذَلْتُ عِرْضًا لَمْ يَزَلْ مَصُونًا عَلَى أَنِّي أَحْمِلُ عَلَى ٱلْجَمَالِ ٱلتَّجَمُّلَ وَأُوثِرُ ٱلْبَذْلَ عَلَى ٱلتَّبَذُّلِ وَأُنْشِدُ شِعْرًا حَنَانَيْكَ بَعْضُ ٱلشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ وَمَا أَيْسَرَ دَوَآءَ هٰذَا ٱلدَّآءِ لَوْ طَاوَعَتْنِي نَفْسِيَ ٱلْعَاصِيَةَ وَتَابَعَتْنِي رِجْلِيَ ٱلْآبِيَةُ فَدَخَلْتُ ٱلدِّيوَانَ وَصَانَعْتُ ٱلزَّمَانَ وَفَتَحْتُ جِرَابَ ٱلنِّفَاقِ وَٱلرِّئَآءِ وَأَغْلَقْتُ بَابَ ٱلْحِفَاظِ وَٱلْوَفَآءِ وَلٰكِنَّ ٱلنَّظَرَ إِلَى عَيْنِ ٱلشَّمْسِ أَيْسَرُ عَلَيَّ وَأَهْوَنُ عَلَى عَيْنَيَّ مِنْ أَنْ أَنْظُرَ إِلَى هٰذَا ٱلصَّدْرِ وَقَدْ جَلَسَ فِيهِ غَيْرُ ذٰلِكَ ٱلْبَدْرِ وَإِنِّي لَأَغَارُ عَلَى ٱلْكَرَمِ كَمَا يُغَارُ عَلَى ٱلْحُرَمِ وَأَبْخَلُ بِٱلْمَرَاتِبِ كَمَا يَبْخَلُ غَيْرِي بِٱلْمَكَاسِبِ وَأَسْتَحْيِي لِعَيْنِي أَنْ أَفْتَحَهَا عَلَى ٱلصَّغِيرِ وَقَدْ جَلَسَ مَجْلِسَ ٱلْكَبِيرِ لَا ٱبْتَلَانِيَ ٱللهُ بِمَجَالِسِ ٱلْغِيرَةِ وَلَا أَقَامَنِي فِي مَقَامَاتِ ٱلْغُمَّةِ وَٱلْحَيْرَةِ فَإِنِ ٱبْتَلَانِي بِذٰلِكَ وَجَدَنِي ضَيِّقَ سَاحَةِ ٱلصَّدْرِ قَرِيبَ غَوْرِ ٱلصَّبْرِ كَثِيرَ ٱلْمُبَارَاةِ قَلِيلَ ٱلْمُدَارَاةِ هٰذِهِ أَطَالَ ٱللهُ بَقَآءَ ٱلشَّيْخِ حَالِي فَهَلْ لِي عِنْدَهُ فَرَجٌ أَرْتَجِيهِ أَوْ نَظَرٌ أَتَجَمَّعُ فِيهِ وَهَلْ يُحَرِّكُ لَفْظَةً مِنْ أَلْفَاظِهِ أَوْ لَحْظَةً

مِنْ ٱلْحَافِظِ يَرُدُّ بِهَا عَلَى وَجْهِي مَا نَضَبَ مِنْ مَائِهِ وَعَلَى عِرْضِي مَا ذَهَبَ مِنْ بَهَائِهِ وَلَعَمْرِي إِنَّ حَاجَتِي إِلَى ٱلشَّيْخِ فِي هٰذَا ٱلْخَرَاجِ صَغِيرَةٌ وَلٰكِنِّي لَا أَسْتَصْغِرُ مِنْهُ يَسِيرًا كَمَا لَا أَسْتَعْظِمُ مِنْهُ كَبِيرًا وَأَعْلَمُ أَنَّ ٱلْحُرَّ يَسَعُ ٱلدَّقِيقَ بِفِطْنَتِهِ وَٱلْجَلِيلَ بِهِمَّتِهِ وَإِنْ أَبْطَأَ عَنِّي كِتَابُهُ بِٱلْفَرَجِ خَشِيتُ أَنْ يَسْرِيَ فِيَّ ٱلسُّمُّ ٱلْعِرْبَطِيُّ إِلَى أَنْ يَصِلَ إِلَيَّ ٱلتِّرْيَاقُ ٱلْبَطِيُّ أَعُوذُ بِٱللّٰهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ دَائِي نَقْدًا وَدَوَائِي وَعْدًا

وكتبَ الوزير الكاتب ابو المطرّف بنُ الدبّاغ الى ابن حسداي

كِتَابِي وَأَنَا كَمَا تَدْرِيهِ غَرَضٌ لِلْأَيَّامِ تَرْمِيهِ وَلٰكِنِّي غَيْرُ شَاكٍ مِنْ آلَامِهَا لِأَنَّ قَلْبِي فِي أَغْشِيَةٍ مِنْ سِهَامِهَا فَٱلنَّصْلُ عَلَى مِثْلِهِ يَقَعُ وَٱلتَّأَلُّمُ بِهٰذِهِ ٱلْحَالَةِ قَدِ ٱرْتَفَعَ كَذٰلِكَ ٱلتَّقْرِيعُ إِذَا تَتَابَعَ هَانَ وَٱلْخَطْبُ إِذَا ٱشْتَدَّ لَانَ وَٱلْحَوَادِثُ تَنْعَكِسُ إِلَى أَضْدَادِهَا إِذَا تَنَاهَتْ فِي ٱشْتِدَادِهَا وَتَزَايَدَتْ عَلَى آمَادِهَا

وكتبَ عبدُ الحميد بنُ يحيى الى اهلهِ وهو منهزم مع مروان

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ ٱللّٰهَ تَعَالَى جَعَلَ ٱلدُّنْيَا مَحْفُوفَةً بِٱلْكُرْهِ وَٱلسُّرُورِ فَمَنْ سَاعَدَهُ ٱلْحَظُّ فِيهَا سَكَنَ إِلَيْهَا وَمَنْ عَضَّتْهُ

بِنَا بِهَا ذَمَّهَا سَاخِطًا عَلَيْهَا وَشَكَاهَا مُسْتَزِيدًا لَهَا وَقَدْ كَانَتْ أَذَاقَتْنَا أَفَاوِيقَ ٱسْتَحْلَيْنَاهَا ثُمَّ جَمَحَتْ بِنَا نَافِرَةً وَرَمَحَتْنَا مُوَلِّيَةً فَمَلُحَ عَذْبُهَا وَخَشُنَ لَيِّنُهَا فَأَبْعَدَتْنَا عَنِ ٱلْأَوْطَانِ وَفَرَّقَتْنَا عَنِ ٱلْإِخْوَانِ فَٱلدَّارُ نَازِحَةٌ وَٱلطَّيْرُ بَارِحَةٌ وَقَدْ كَتَبْتُ وَٱلْأَيَّامُ تَزِيدُنَا مِنْكُمْ بُعْدًا وَإِلَيْكُمْ وَجْدًا فَإِنْ تَتِمَّ ٱلْبَلِيَّةُ إِلَى أَقْصَى مُدَّتِهَا يَكُنْ آخِرُ ٱلْعَهْدِ بِكُمْ وَبِنَا وَإِنْ تَلْحَقْنَا ظُفُرُ جَارِحٍ مِنْ أَظْفَارِ مَنْ يَلِيكُمْ نَرْجِعْ إِلَيْكُمْ بِذُلِّ ٱلْإِسَارِ وَٱلذُّلُّ شَرُّ جَارٍ نَسْأَلُ ٱللهَ ٱلَّذِي يُعِزُّ مَنْ يَشَآءُ وَيُذِلُّ مَنْ يَشَآءُ أَنْ يَهَبَ لَنَا وَلَكُمْ أُلْفَةً جَامِعَةً فِي دَارٍ آمِنَةٍ تَجْمَعُ سَلَامَةَ ٱلْأَبْدَانِ وَٱلْأَدْيَانِ فَإِنَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ وَأَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ

وكتب الامير ابو الفضل الميكاليّ من رسالة

إِنَّمَا أَشْكُو إِلَيْكَ زَمَانًا سَلَبَ ضِعْفَ مَا وَهَبَ وَفَجَعَ بِأَكْثَرِ مِمَّا مَتَّعَ وَأَوْحَشَ فَوْقَ مَا آنَسَ وَعَنَّفَ فِي نَزْعِ مَا أَلْبَسَ فَإِنَّهُ لَمْ يُذِقْنَا حَلَاوَةَ ٱلِاجْتِمَاعِ حَتَّى جَرَّعَنَا مَرَارَةَ ٱلْفِرَاقِ وَلَمْ يُمَتِّعْنَا بِأُنْسِ ٱلِالْتِقَآءِ حَتَّى غَادَرَنَا رَهْنَ ٱلتَّلَهُّفِ وَٱلِاشْتِيَاقِ وَٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ تَعَالَى عَلَى كُلِّ حَالٍ يَسُوءُ

وَيَسُرُّ وَيَحْلُو وَيَمُرُّ وَلَا أَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ ٱللهِ فِي إِبَاحَةِ صُنْعٍ يَجْعَلُ رَبْعَهُ مُنَاخِي وَيَقْصُرُ مُدَّةَ ٱلْبِعَادِ وَٱلتَّرَاخِي فَأُلَاحِظُ ٱلزَّمَانَ بِعَيْنِ رَاضٍ وَيُقْبِلُ إِلَيَّ حَظِّي بَعْدَ إِعْرَاضٍ وَأَسْتَأْنِفُ بِعِزَّتِهِ عَيْشًا عَذْبَ ٱلْمَوَارِدِ وَٱلْمَنَاهِلِ مَأْمُونَ ٱلْآفَاتِ وَٱلْغَوَائِلِ

فَصْلٌ

في التعازي

كتب ابو الفضل بديع الزمان الهمذاني الى ابي عامر عدنان بن محمد الضبي

إِذَا مَا ٱلدَّهْرُ جَرَّ عَلَى أُنَاسٍ ذَلَاذِلَهُ أَنَاخَ بِآخَرِينَا
فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيقُوا سَيَلْقَى ٱلشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا

أَحْسَنُ مَا فِي ٱلدَّهْرِ عُمُومُهُ بِٱلنَّوَائِبِ وَخُصُوصُهُ بِٱلرَّغَائِبِ فَهُوَ يَدْعُو ٱلْجَفَلَى إِذَا سَاءَ وَيَخُصُّ بِٱلنِّعْمَةِ إِذَا شَاءَ فَلْيُفَكِّرِ ٱلشَّامِتُ فَإِنْ كَانَ أَفْلَتَ فَلَهُ أَنْ يَشْمَتَ وَلْيَنْظُرِ ٱلْإِنْسَانُ فِي ٱلدَّهْرِ وَصُرُوفِهِ وَٱلْمَوْتِ وَصُنُوفِهِ مِنْ فَاتِحَةِ أَمْرِهِ إِلَى خَاتِمَةِ عُمْرِهِ هَلْ يَجِدُ لِنَفْسِهِ أَثَرًا فِي نَفْسِهِ أَمْ لِتَدْبِيرِهِ عَوْنًا عَلَى تَصْوِيرِهِ أَمْ لِعَمَلِهِ تَقْدِيمًا لِأَمَلِهِ

أَمْ لِحِيلَةٍ تَأْخِيرًا لِأَجَلِهِ كَلَّا بَلْ هُوَ ٱلْعَبْدُ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا
مَذْكُورًا خُلِقَ مَقْهُورًا وَرُزِقَ مَقْدُورًا فَهُوَ يَحْيَا جَبْرًا
وَيَهْلِكُ صَبْرًا وَلْيَتَأَمَّلِ ٱلْمَرْءُ كَيْفَ كَانَ قَبْلًا فَإِنْ كَانَ
ٱلْعَدَمُ أَصْلًا وَٱلْوُجُودُ فَضْلًا فَلْيَعْلَمِ ٱلْمَوْتَ عَدْلًا
وَٱلْعَاقِلُ مَنْ رَقَّعَ مِنْ جَوَانِبِ ٱلدَّهْرِ مَا سَاءَ بِمَا سَرَّ
لِيَذْهَبَ مَا نَفَعَ بِمَا ضَرَّ فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَحْزَنَ فَلْيَنْظُرْ يَمْنَةً
هَلْ يَرَى إِلَّا مِحْنَةً ثُمَّ لِيَعْطِفْ يَسْرَةً هَلْ يَرَى إِلَّا حَسْرَةً
وَمِثْلُ ٱلشَّيْخِ ٱلرَّئِيسِ أَطَالَ ٱللّٰهُ بَقَاءَهُ مَنْ تَبَطَّنَ هٰذِهِ
ٱلْأَسْرَارَ وَعَرَفَ هٰذِهِ ٱلدِّيَارَ فَأَعَدَّ لِنَعِيمِهَا صَدْرًا لَا
يَمْلَأُهُ فَرَحًا وَلِبُؤْسِهَا قَلْبًا لَا يُطِيرُهُ تَرَحًا وَصَحِبَ ٱلْبَرِيَّةَ
بِرَأْيِ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ لِلْمَنِيَّةِ رَحًى وَلَقَدْ نُعِيَ إِلَيَّ أَبُو قَبِيصَةَ
قَدَّسَ ٱللّٰهُ رُوحَهُ وَبَرَّدَ ضَرِيحَهُ فَعُرِضَتْ عَلَيَّ آمَالِي قُعُودًا
وَأَمَانِيَّ سُودًا وَبَكَيْتُ وَجُودُ ٱلسَّخِيِّ بِمَا يَمْلِكُ وَضَحِكْتُ
وَشَرُّ ٱلشَّدَائِدِ مَا يُضْحِكُ وَعَضَضْتُ ٱلْإِصْبَعَ حَتَّى أَفْنَيْتُهُ
وَذَمَمْتُ ٱلْمَوْتَ حَتَّى تَمَنَّيْتُهُ وَٱلْمَوْتُ أَطَالَ ٱللّٰهُ بَقَاءَ
ٱلشَّيْخِ ٱلرَّئِيسِ خَطْبٌ قَدْ عَظُمَ حَتَّى هَانَ وَأَمْرٌ قَدْ خَشُنَ
حَتَّى لَانَ وَنُكْرٌ قَدْ عَمَّ حَتَّى صَارَ عُرْفًا وَٱلدُّنْيَا قَدْ تَنَكَّرَتْ

حَتى صَارَ ٱلْمَوْتُ أَخَفَّ خُطُوبِهَا وَخَبُثَتْ حَتَّى صَارَ أَقَلَّ عُيُوبِهَا وَلَعَلَّ هٰذَا ٱلسَّهْمَ قَدْ صَارَ آخِرَ مَا فِي كِنَانَتِهَا وَأَنْكَى مَا فِي خِزَانَتِهَا وَنَحْنُ مَعَاشِرَ ٱلتَّبَعِ نَتَعَلَّمُ ٱلْأَدَبَ مِنْ أَقْوَالِهِ وَٱلْجَمِيلَ مِنْ أَفْعَالِهِ فَلَا نَحُثُّهُ عَلَى ٱلْجَمِيلِ وَهُوَ ٱلصَّبْرُ وَلَا نُرَغِّبُهُ فِي ٱلْجَزِيلِ وَهُوَ ٱلْأَجْرُ فَلْيَرَ فِيهِمَا رَأْيَهُ إِنْ شَاءَ ٱللهُ

وله يعزّي احد اصدقائه بنسيب له توفي ايام الوباء

أَشْبَاحٌ تَرُوحُ وَتَجِي وَآجَالٌ تُمْسِي وَتَغْتَدِي وَأَنْفَاسٌ تَتَقَطَّعُ مِنْ دُونِهَا حُزْنًا وَأَسَفًا وَعَبَرَاتٌ تَتَقَطَّرُ وَجْدًا وَلَهَفًا وَمَا عَهِدَتِ ٱلْأَقْدَارُ إِلَى ٱسْتِنْزَافِ مَدْمَعٍ وَلَا أَرَادَتِ ٱلْأَيَّامُ إِيلَامَ مُوجَعٍ إِنَّمَا هِيَ سُنَّةُ ٱلْخَلْقِ كَوْنٌ يَلِيهِ زَوَالٌ وَعَقْدٌ يَسْبِقُهُ ٱنْحِلَالٌ وَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ أَجَلًا مَوْقُوتًا وَإِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ سَبَبًا مَقْدُورًا وَإِنَّ ٱلْإِنْسَانَ لَفِي كُلِّ ذٰلِكَ شَاهِدٌ يَسْمَعُ لَاهِيًا وَيُبْصِرُ سَاهِيًا وَلَيْسَ فِي يَدِهِ أَنْ يَسْتَرِدَّ مَاضِيًا وَلَا أَنْ يَرُدَّ آتِيًا وَلَقَدْ وَدِدْتُ أَنْ أُعَزِّيَكَ لَوْلَا مَا بَغَا لِيَ عَلَى ٱلْعَزَاءِ مِنْ كَبِدٍ حَرَّى وَمُقْلَةٍ شَكْرَى وَزَفْرَةٍ تَتْرَى ثُمَّ وَدِدْتُ أَنْ أَسْتَبْكِيَكَ لَوْلَا أَنِّي بَكَيْتُ حَتَّى لَمْ أَدَعْ فِي ٱلْبُكَاءِ مِنْ وَادٍ وَأَحْيَيْتُ لَيَالِيَّ بِٱلنَّوْحِ حَتَّى مَا بِٱلنَّجْمِ سُهَادٌ

ثُمَّ لَمْ يَزِدْنِي ٱلْبُكَاءُ عَلَى سُقْمِ جَسَدِي وَلَمْ يَزِدْنِي ٱلنَّوْحُ عَلَى صَفَرِ يَدِي إِلَّا مِنْ كَبِدِي فَإِنَّ ٱلْأَقْدَارَ سِهَامٌ إِذَا ٱنْطَلَقَتْ لَمْ تُرَدِّ وَإِنَّ ٱلْمُتَطَلِّعَ إِلَى ٱلْفَائِتِ لَطَوِيلُ شُقَّةِ ٱلْكَمَدِ وَإِنَّ ٱلْخُطُوبَ لَهِيَ هِيَ وَإِنَّمَا تَتَفَاوَتُ عِنْدَ ٱلْجَلَدِ

وَإِنَّ ٱلْحَصَى عِنْدَ ٱلْجَزُوعِ ثَقِيلَةٌ

وَضَخْمَ ٱلصَّفَا عِنْدَ ٱلصَّبُورِ خَفِيفُ

وَإِنِّي لَأَرْجُو فِي عَقْلِكَ وَحِلْمِكَ أَنَّكَ قَدْ صِرْتَ مِنْ جَانِبِ ٱلْعَزَاءِ ثُمَّ أَحْمَدُ ٱللهَ عَلَى نَجَاتِكَ إِنَّ لَنَا فِي بَقَائِكَ ٱلْعِوَضَ وَٱلتَّأَسَّاءَ فَلَقَدْ قَلَّبَتِ ٱلْقُلُوبَ عَلَى جَمَرَاتٍ لَا تَدْرِي أَيُّهَا أَذْكَى ضِرَامًا ثُمَّ أَوْرَدْتَهَا مِنْ سَلَامَتِكَ مَا رَأَتِ ٱلشَّكْوَى بَعْدَهُ ظُلْمًا وَٱلتَّظَلُّمَ حَرَامًا وَٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ ٱلْمَسْؤُولُ فِي إِطَالَةِ بَقَائِكَ قُرَّةً لِلْعُيُونِ وَجَبْرًا لِلْخَاطِرِ ٱلْمَحْزُونِ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ

وله ايضًا الى صديقٍ له جوابًا عن كتابٍ ينعى اليهِ فيهِ احد انسبائهِ ويعزّيهِ بنسيبٍ له

وَرَدَ كِتَابُكَ تَتَجَاذَبُهُ طَرَفَانِ مِنْ نَعْيٍ وَتَعْزِيَةٍ وَيَضْرِبُ عَلَيْهِ لَوْنَانِ مِنْ شَجْوٍ وَتَسْلِيَةٍ فَمَنْ لِي بِعَبْرَتَيْنِ تَجْرِي إِحْدَاهُمَا

وَتَرَقًا ٱلْآخْرَى وَمَنْ لِي بِقَلْبَيْنِ يَذُوبُ أَحَدُهُمَا جَزَعًا
وَيَجْمُدُ ٱلْآخَرُ صَبْرًا بَلْ كَيْفَ يَصْبِرُ جَرِيحٌ ضَرَبَهُ ٱلدَّهْرُ
بِسَيْفَيْنِ وَجَرَّعَهُ ٱلْبَلْوَى بِكَأْسَيْنِ فَمَزَجَ عَبْرَةً بِعَبْرَةٍ
وَتَابَعَ حَسْرَةً إِثْرَ حَسْرَةٍ وَبَاتَ لَا يَجِدُ إِلَى ٱلصَّبْرِ دَلِيلًا وَلَا
يَهْتَدِي إِلَى ٱلْعَزَآءِ سَبِيلًا وَلٰكِنَّ ٱلْأَمْرَ فَوْقَ مَا تَجْرِي ٱلْجُفُونُ
وَمَا تُثِيرُ ٱلشُّجُونُ وَأَمْرُ ٱللّٰهِ وَاقِعٌ لَا يَدْفَعُهُ دَافِعٌ وَٱلدَّمْعُ
لَا يُسِيغُ غُصَّةً وَٱلْوَجْدُ لَا يُزِيلُ كُرْبَةً

وَإِذَا حَصَلْتَ مِنَ ٱلسِّلَاحِ عَلَى ٱلْبُكَا
فَحَشَاكَ رُعْتَ بِهِ وَخَدَّكَ تَقْرَعُ

فَمَا لَنَا إِلَّا ٱلسَّعْيُ وَرَآءَ مَا نَدَّ مِنَ ٱلصَّبْرِ نُكْرِهُ عَلَيْهِ ٱلنَّفْسَ وَإِنْ
كَانَ أَحَدَ ٱلْمُرَّيْنِ وَٱلِٱلْتِجَآءُ إِلَى ٱلرِّضَى بِٱلْمَكْتُوبِ نُدَاوِي
بِهِ ٱلْقَلْبَ وَإِنْ كَانَ أَحَدَ ٱلدَّآءَيْنِ وَحَسْبُنَا ٱللّٰهُ وَكِيلًا

وكتب ابو بكر الخُوارَزميّ الى كثير بن احمدَ يعزّيه بابنةٍ لهُ

نَحْنُ مَعَاشِرَ أَوْلِيَآءِ ٱلشَّيْخِ وَمُتَحَمِّلِي أَعْبَآءِ نِعْمَتِهِ وَٱلْمُتَّسِمِينَ
بِسِمَةِ كَلِمَتِهِ إِذَا صَدِئَتْ قَرَائِحُنَا وَفَسَدَتْ أَذْهَانُنَا
جَلَوْنَاهَا بِمُجَالَسَتِهِ وَغَسَلْنَا عَنْهَا وَضَرَ ٱلتَّغَيُّرِ بِٱتِّبَاعِ طَرِيقَتِهِ
وَسُسْنَا أَنْفُسَنَا بِمَا نَرَاهُ وَنَتَعَلَّمُهُ مِنْ سِيَاسَتِهِ لِبِطَانَتِهِ ثُمَّ

لِرَعِيَّتِهِ وَإِذَا كَانَتِ ٱلْحَالُ هٰذِهِ فَمِنَ ٱلْمُحَالِ أَنْ نَبِيعَ عَلَى ٱلشَّيْخِ مَا ٱشْتَرَيْنَاهُ مِنْهُ وَأَنْ نَجْلُبَ إِلَيْهِ مَا جَلَبْنَاهُ عَنْهُ وَأَنْ نُقِيمَ أَنْفُسَنَا مَقَامَ ٱلْمُعَلِّمِينَ وَنُقِيمَهُ مَقَامَ ٱلْمُتَعَلِّمِينَ وَأَنْ نَحْمِلَ إِلَيْهِ مَوَاعِظَ بَذْلَةً كَلَامِهِ مِنْهَا أَبْرَعُ وَبِدَاءَةُ تَوْقِيعَاتِهِ مِنْهَا أَبْدَعُ وَلٰكِنْ لَا بُدَّ لِلْمُحِبِّ أَنْ يَنْطِقَ لِسَانُهُ وَقَلَمُهُ بِمَا يُتَرْجِمُ بِهِ عَنْ وَدَائِعِ صَدْرِهِ وَيُعَبِّرُ عَنْ نِيَّتِهِ وَسِرِّهِ وَلَا بُدَّ لِمَنْ شَارَكَ رَبِيبَهُ فِي أَيَّامِ ٱلرَّخَاءِ وَٱلْمَوَاهِبِ مِنْ أَنْ يُشَارِكَهُ فِي أَيَّامِ ٱلْغُمُومِ وَٱلْمَصَائِبِ لِيَكُونَ قَدْ خَدَمَهُ فِي ٱلنَّوْبَتَيْنِ وَتَصَرَّفَ مَعَهُ عَلَى ٱلْحَالَتَيْنِ وَأَثْبَتَ ٱسْمَهُ فِي جَرِيدَةِ ٱلشُّرَكَاءِ ٱلْمُسَاهِمِينَ مَرَّتَيْنِ وَبَلَغَنِي خَبَرُ ٱلْمُصِيبَةِ فَٱغْتَمَمْتُ بِهَا غَمَّيْنِ وَنَفَذَتْ إِلَيَّ سِهَامُ ٱلْفَجِيعَةِ مِنْ طَرِيقَيْنِ أَمَّا إِحْدَاهُمَا فَهِيَ أَنِّي أَغَارُ عَلَى هٰذِهِ ٱلْجَنْبَةِ ٱلْكَرِيمَةِ وَعَلَى هٰذِهِ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْمُسْتَقِيمَةِ مِنْ أَنْ تَنْفُذَ فِيهَا رَمِيَّةُ ٱلزَّمَانِ أَوْ تَتَنَاوَلَهَا يَدٌ مِنْ أَيْدِي ٱلنُّقْصَانِ وَأَمَّا ٱلثَّانِيَةُ فَهِيَ أَنِّي عَلِمْتُ أَنَّ ٱلْفَجِيعَةَ إِذَا لَمْ تُحَارَبْ بِجَيْشِ ٱلْبُكَاءِ وَلَمْ تُقَاتَلْ بِٱلْإِذَاعَةِ وَٱلِٱشْتِكَاءِ تَضَاعَفَ دَاؤُهَا وَزَادَتْ أَعْبَاؤُهَا وَإِنَّمَا ٱلْغَمُّ سُمٌّ تِرْيَاقُهُ ٱلْمُبَاثَّةُ وَٱلْمَوْتُ خَرْقٌ رَفْوُهُ ٱلتَّسْلِيَةُ

وَٱلتَّعْزِيَةَ قَالَ ذُو ٱلرُّمَّةِ

لَعَلَّ ٱنْحِدَارَ ٱلدَّمْعِ يُعْقِبُ رَاحَةً

مِنَ ٱلْوَجْدِ أَوْ يَشْفِي نَجِيَّ ٱلْبَلَابِلِ

وَإِذَا كَانَ لَا بُدَّ مِنْ عَيْنٍ تُصِيبُ طَرَفًا مِنْ أَطْرَافِ ٱلْكَمَالِ وَلَا بُدَّ مِنْ عُوذَةٍ يُعَوَّذُ بِهَا وَجْهُ ٱلْجَمَالِ فَلَأَنْ تَكُونَ ٱلْوَاقِعَةُ فِي ٱلصَّغِيرِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَكُونَ فِي ٱلْكَبِيرِ فَٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي طَيِّ ٱلْمِحْنَةِ مِنْحَةً وَمَزَجَ بِٱلتَّرْحَةِ فُرْحَةً فَسَتَرَ عَوْرَةً مِنْ حَيْثُ سَلَبَ أُنْسًا وَنُزْهَةً وَكَفَى مَؤُونَةً مِنْ حَيْثُ جَلَبَ فَجِيعَةً وَأَبْقَى ٱلْكَبِيرَ ٱلْكَثِيرَ مِنْ حَيْثُ أَخَذَ صَغِيرَةً وَاحِدَةً وَجَمَّلَ وَالِدًا مِنْ حَيْثُ أَثْكَلَ وَالِدَةً وَهٰكَذَا تَكُونُ مَصَائِبُ ٱلْمُقْبِلِينَ ٱلْمَجْدُودِينَ فَإِنَّ ٱلدَّهْرَ إِذَا سَاءَهُمْ فِي ٱلْقَلِيلِ أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ فِي ٱلْجَلِيلِ وَإِذَا كَاشَفَهُمْ فِي ٱلْخَفِيِّ ٱلْمَسْتُورِ صَانَعَهُمْ فِي ٱلْجَلِيِّ ٱلْمَشْهُورِ وَٱلْمَدَابِيرُ أَمْثَالُنَا فَإِنَّمَا تَكُونُ مِحْنَتُهُمْ صَافِيَةً صِرْفًا وَخَالِصَةً بَحْتًا وَٱلدَّهْرُ يَعْلَمُ أَيْنَ ٱلزَّبُونُ وَمَنِ ٱلْمَغْبُونُ وَأَنَا أَسْأَلُ ٱللّٰهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ ٱلْمُتَوَفَّاةَ لِوَالِدَيْهَا فَرَطًا وَأَجْرًا وَكَنْزًا مِنْ كُنُوزِ ٱلْجَنَّةِ وَذُخْرًا وَأَنْ يَحْشُرَهَا شَفِيعًا تُقْبَلُ

شَفَاعَتُهُ وَتَقْضى فِي وَالِدَيْهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ حَاجَتُهُ وَيُعَوِّضَ عَنْهَا ٱلشَّيْخَ أَخًا لَهَا سَوِيَّ ٱلْخَلْقِ وَٱلْخُلُقِ شَرِيفَ ٱلْفِعْلِ وَٱلْعِرْقِ لِيَسْتَوْفِيَ ٱلشَّيْخُ فِي يَوْمِهِ أَجْرَ ٱلصَّابِرِينَ وَفِي غَدِهِ جَزَآءَ ٱلشَّاكِرِينَ وَلِيَكُونَ قَدْ قَضَى ٱللّٰهُ تَعَالَى حَقَّ ٱلرُّبُوبِيَّةِ مِنْ طَرَفَيِ ٱلْعُبُودِيَّةِ وَأَنْ تَكُونَ هٰذِهِ ٱلْحَادِثَةُ خَاتِمَةَ حَوَادِثِ ٱلزَّمَانِ وَسَاقَةَ عَسَاكِرِ ٱلنُّقْصَانِ فَلَا يَرَى بَعْدَهَا فِي تِلْكَ ٱلدَّارِ ٱلشَّرِيفَةِ إِلَّا مَوْهِبَةً مُسْتَطْرَفَةً وَفَائِدَةً مُسْتَجَدَّةً مُسْتَأْنَفَةً حَتَّى يَشْتَغِلَ بِٱلتَّهَانِئِ عَنِ ٱلتَّعَازِي وَبِٱلْمَدَائِحِ عَنِ ٱلْمَرَاثِي

وكتبَ عبدُ الحميدِ بنُ يحيى عن مروان الى هشام يعزّيهِ بامرأةٍ من حظاياهُ

إِنَّ ٱللّٰهَ تَعَالَى أَمْتَعَ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أُنْسِيَّتِهِ وَقَرِينَتِهِ إِمْتَاعًا مُدَّةً إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَلَمَّا تَمَّتْ لَهُ مَوَاهِبُ ٱللّٰهِ وَعَارِيَتُهُ قَبَضَ إِلَيْهِ ٱلْعَارِيَةَ ثُمَّ أَعْطَى أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنَ ٱلشُّكْرِ عِنْدَ بَقَائِهَا وَٱلصَّبْرِ عِنْدَ ذَهَابِهَا أَنْفَسَ مِنْهَا فِي ٱلْمُنْقَلَبِ وَأَرْجَحَ فِي ٱلْمِيزَانِ وَأَسْنَى فِي ٱلْعِوَضِ فَٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ وَإِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

وكتب ابو اسحق الصابئ الى محمد بن العبّاس يعزّيه بطفل

أَلدُّنْيَا أَطَالَ ٱللهُ بَقَاءَ ٱلرَّئِيسِ أَقْدَارٌ تَرِدُ فِي أَوْقَاتِهَا وَقَضَايَا تَجْرِي إِلَى غَايَاتِهَا وَلَا يُرَدُّ مِنْهَا شَيْءٌ عَنْ مَدَاهُ وَلَا يُصَدُّ عَنْ مَطْلَبِهِ وَمَنْحَاهُ فَهِيَ كَٱلسِّهَامِ ٱلَّتِي تَثْبُتُ فِي ٱلْأَغْرَاضِ وَلَا تَرْجِعُ بِٱلِٱعْتِرَاضِ وَمَنْ عَرَفَ ذٰلِكَ مَعْرِفَةَ ٱلرَّئِيسِ لَمْ يَأْشَرْ عِنْدَ ٱلزِّيَادَةِ وَلَمْ يَقْنَطْ عِنْدَ ٱلْمُصِيبَةِ وَأَمِنَ أَنْ يَسْتَخِفَّ أَحَدُ ٱلطَّرَفَيْنِ حِكْمَهُ وَيَسْتَنْزِلَ أَحَدُ ٱلْأَمْرَيْنِ حَزْمَهُ وَلَمْ يَدَعْ أَنْ يُوطِّنَ نَفْسَهُ عَلَى ٱلنَّازِلَةِ قَبْلَ نُزُولِهَا وَيَأْخُذَ ٱلْأُهْبَةَ لِلْحَالَةِ قَبْلَ حُلُولِهَا وَأَنْ يُجَاوِرَ ٱلْخَيْرَ بِٱلشُّكْرِ وَيُسَاوِرَ ٱلْمِحْنَةَ بِٱلصَّبْرِ فَيَتَخَيَّرَ فَائِدَةَ ٱلْأُولَى عَاجِلًا وَيَسْتَمْرِئَ عَائِدَةَ ٱلْأُخْرَى آجِلًا وَقَدْ نَفَذَ مِنْ قَضَاءِ ٱللهِ تَعَالَى فِي ٱلْمَوْلَى ٱلْجَلِيلِ قَدْرًا ٱلْحَدِيثِ سِنًّا مَا أَرْمَضَ وَأَقَضَّ وَأَقْلَقَ وَأَمَضَّ وَمَسَّنِي مِنَ ٱلتَّأَلُّمِ لَهُ مَا يَحِقُّ عَلَى مِثْلِي مِمَّنْ تَوَالَتْ أَيْدِي ٱلرَّئِيسِ إِلَيْهِ وَوَجَبَتْ مُشَارَكَتُهُ فِي ٱلْمُلِمِّ عَلَيْهِ فَإِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ وَعِنْدَ ٱللهِ مَنْ نَحْتَسِبُهُ غُصْنًا ذَوَى وَشِهَابًا خَبَا وَفَرْعًا دَلَّ عَلَى أَصْلِهِ وَخَطِّيًّا أَنْبَتَهُ وَشِيجُهُ وَإِيَّاهُ أَسْأَلُ

أَنْ يَجْعَلَهُ لِلرَّئِيسِ فَرَطًا صَالِحًا وَذُخْرًا عَتِيدًا وَأَنْ يَنْفَعَهُ
يَوْمَ الدِّينِ حَيْثُ لَا يَنْفَعُ إِلَّا مِثْلُهُ بَيْنَ الْبَنِينَ بِجُودِهِ
وَمَجْدِهِ وَلَئِنْ كَانَ الْمُصَابُ بِهِ عَظِيمًا وَالْحَادِثُ فِيهِ
جَسِيمًا لَقَدْ أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْهِ وَإِلَى الرَّئِيسِ فِيهِ أَمَّا إِلَيْهِ
فَإِنَّ اللهَ نَزَّهَهُ بِالِاخْتِرَامِ عَنِ اقْتِرَافِ الْآثَامِ وَصَانَهُ
بِالِاخْتِضَارِ عَنْ مُلَابَسَةِ الْأَوْزَارِ فَوَرَدَ دُنْيَاهُ رَشِيدًا
وَصَدَرَ عَنْهَا سَعِيدًا نَقِيَّ الصَّحِيفَةِ مِنْ سَوَادِ الذُّنُوبِ بَرِيءَ
السَّاحَةِ مِنْ دَرَنِ الْعُيُوبِ لَمْ تُدَنِّسْهُ الْجَرَائِرُ وَلَمْ تَعْلَقْ
بِهِ الصَّغَائِرُ وَالْكَبَائِرُ قَدْ رَفَعَ اللهُ عَنْهُ دَقِيقَ الْحِسَابِ
وَأَسْهَمَ لَهُ الثَّوَابَ مَعَ أَهْلِ الصَّوَابِ وَأَلْحَقَهُ بِالصَّادِقِينَ
الْفَاضِلِينَ فِي الْمَعَادِ وَبَوَّأَهُ حَيْثُ فَضَّلَهُمْ مِنْ غَيْرِ سَعْيٍ
وَاجْتِهَادٍ وَأَمَّا الرَّئِيسُ فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا اخْتَارَ ذَلِكَ
قَبَضَهُ قَبْلَ رُؤْيَتِهِ عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي تَكُونُ مَعَهَا الرِّقَّةُ
وَمُعَايَنَتِهِ عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي تَتَضَاعَفُ عِنْدَهَا الْحُرْقَةُ وَحَمَاهُ
مِنْ فِتْنَةِ الْمُرَافَقَةِ لِيَرْفَعَهُ عَنْ جَزَعِ الْمُفَارَقَةِ وَكَانَ هُوَ
الْمُبْقَى لِدُنْيَاهُ وَالْوَاجِدَ الذَّخِيرَةَ لِأُخْرَاهُ وَعَزِيزٌ
عَلَيَّ أَنْ أَقُولَ قَوْلَ الْمُهَوِّنِ لِلْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَا

أَوَفِيَ ٱلتَّوَجُّعَ عَلَيْهِ وَاجِبَ فَقْدِهِ فَهُوَ لَهُ سُلاَلَةٌ وَمِنْهُ بَضْعَةٌ وَلَكِنَّ ذٰلِكَ طَرِيقُ ٱلتَّسْلِيَةِ وَسَبِيلُ ٱلتَّعْزِيَةِ وَٱلْمَنْهَجُ ٱلْمَسْلُوكُ فِي مُخَاطَبَةِ مِثْلِهِ مِمَّنْ يَقْبَلُ مَنْفَعَةَ ٱلذِّكْرَى وَإِنْ أَغْنَاهُ ٱلِٱسْتِبْصَارُ وَلَا يَأْبَى وُرُودَ ٱلْمَوْعِظَةِ وَإِنْ كَفَاهُ ٱلِٱعْتِبَارُ وَٱللّٰهُ تَعَالَى يَقِي ٱلرَّئِيسَ ٱلْمَصَائِبَ وَيُعِيذُهُ مِنَ ٱلنَّوَائِبِ وَيَرْعَاهُ بِعَيْنِهِ ٱلَّتِي لَا تَنَامُ وَيَجْعَلُهُ فِي حِمَاهُ ٱلَّذِي لَا يُرَامُ وَيُبْقِيهِ مَوْفُورًا غَيْرَ مُنْتَقَصٍ وَيُقَدِّمُنَا إِلَى ٱلسُّوءِ أَمَامَهُ وَإِلَى ٱلْمَحْذُورِ قُدَّامَهُ وَيَبْدَأُ بِي مِنْ بَيْنِهِمْ فِي هٰذِهِ ٱلدَّعْوَةِ إِذْ كُنْتُ أَرَاهَا مِنْ أَسْعَدِ أَحْوَالِي وَأَعُدُّهَا مِنْ أَبْلَغِ أَمَانِيَّ وَآمَالِي

وله الى صديق له

مَنْ عَلِمَ أَنَّ ٱلْقَضَاءَ وَاقِعٌ وَأَنَّ ٱلْأَعْمَارَ رَهَائِنُ ٱلْمَصَارِعِ فَلَمْ يَصْحَبْ دَهْرَهُ عَلَى غِرَّةٍ وَلَمْ يَغْتَرَّ مِنَ ٱلْأَقْدَارِ بِفَتْرَةٍ لَمْ تَكْبُرْ عَلَيْهِ ٱلرَّزِيَّةُ إِذَا أَغْتَالَتْ وَلَمْ يَطْمَئِنَّ إِلَى ٱلسَّلَامَةِ وَإِنْ طَالَتْ فَإِنَّ لِلدَّهْرِ رَقْدَةً وَهَبَّةً وَإِنَّ لِلَيَالِي كَمْنَةً وَوَثْبَةً وَمِثْلُكَ مَنْ أَدْرَكَ مَبَادِئَ ٱلْأُمُورِ وَمَصَايِرَهَا وَعَرَفَ مَوَارِدَ ٱلْحَيَاةِ وَمَصَادِرَهَا وَإِنَّمَا

ٱلْمَوْتُ طَورٌ مِنْ أَطْوَارِ ٱلْوُجُودِ وَآخِرُ أَعْمَالِ ٱلْحَيَاةِ فِي ٱلْمَوْجُودِ وَلَا أَزِيدُكَ عِلْمًا بِٱلْكَوْنِ وَشَرَائِعِهِ وَٱلْكَائِنِ وَطَبَائِعِهِ إِنَّمَا هِيَ ذِكْرَى لِمَنْ فَجَئَهُ ٱلرُّزْءُ فَشَغَلَهُ وَحَلَّ بِسَاحَتِهِ ٱلْقَضَاءُ فَأَذْهَلَهُ وَحَسْبِي مِنَ ٱلتَّعْزِيَةِ عِلْمِي بِمَا عِنْدَكَ مِنْ مَوَارِدِ ٱلْعِلْمِ ٱلْمُبَاحِ وَمِنَ ٱلتَّأْسِيَةِ مَا تَعْلَمُهُ مِنْ حَالِ مَنْ يُخَاطِبُكَ وَهُوَ سَائِلُ ٱلْجِرَاحِ وَمَا أَخْلَقَنِي بِأَنْ أَقُولَ إِنَّ رُزْءَكَ هٰذَا قَدْ زَادَنِي شَجَنًا عَلَى أَشْجَانِي وَنَكَأَ مَا تَمَاثَلَ مِنْ قُرْحَةِ أَحْزَانِي وَلٰكِنِّي قَدْ صَيَّرَنِي ٱلدَّهْرُ إِلَى حَالٍ لَا تَعْمَلُ فِيهَا حَالٌ وَلَا أُبَالِي مَعَهَا بِسِلْمٍ وَلَا قِتَالٍ فَكَأَنَّمَا إِيَّايَ عَنَى أَبُو ٱلطَّيِّبِ حَيْثُ قَالَ

رَمَانِي ٱلدَّهْرُ بِٱلْأَرْزَاءِ حَتَّى فُؤَادِي فِي غِشَاءٍ مِنْ نِبَالِ
فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِي سِهَامٌ تَكَسَّرَتِ ٱلنِّصَالُ عَلَى ٱلنِّصَالِ

عَلَى أَنَّ ٱلْمَرْءَ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ مُعَزٍّ لَمْ يَزِدْهُ كَلَامُ ٱلْمُعَزِّينَ عَلَى إِذْكَارِ مُصَابِهِ وَتَجْدِيدِ لَوْعَتِهِ وَٱكْتِئَابِهِ وَهٰهُنَا ٱمْتِحَانُ ٱلرِّجَالِ وَمَوْطِنُ ٱلصَّبْرِ وَٱلِٱحْتِمَالِ وَٱلْمَرْءُ بِأَعَزِّ مَا لَدَيْهِ يُمْتَحَنُ وَٱلصَّبْرُ عَلَى مِقْدَارِ ٱلْهِمَمِ وَٱلْفِطَنِ وَإِنَّ ٱلْأَحْزَانَ مَعْقُودَةٌ أَطْرَافُهَا بِٱلْعَزَاءِ مَوْصُولَةٌ

أَوَاخِرُهَا بِٱلنَّاسَاءِ فَٱجْعَلِ ٱلْآخِرَةَ ٱلْأُولَى وَلَا تَبْلُغِ ٱلدَّهْرَ مِنْ نَفْسِكَ مَأْمُولًا وَٱللَّهَ أَسْأَلُ أَنْ يُقَيِّضَ لَنَا بِسَلَامَتِكَ عِوَضًا كَرِيمًا وَيَصُونَ بَيْتَكُمْ وَآلَهُ مِنْ كُلِّ كَارِثَةٍ سَلِيمًا وَيُفْرِغَ عَلَى قُلُوبِكُمْ صَبْرًا جَمِيلًا وَعَلَى مَنْ فَقَدْتُمْ عَفْوًا عَمِيمًا بِرَحْمَتِهِ وَلُطْفِهِ

فَصْلٌ

فِي الخُطَبِ

خطبةٌ للإمام عليّ

أُوصِيكُمْ عِبَادَ ٱللَّهِ وَنَفْسِي بِتَقْوَى ٱللَّهِ وَلُزُومِ طَاعَتِهِ وَتَقْدِيمِ ٱلْعَمَلِ وَتَرْكِ ٱلْأَمَلِ فَإِنَّهُ مَنْ فَرَّطَ فِي عَمَلِهِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنْ أَمَلِهِ أَيْنَ ٱلتَّعِبُ بِٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ٱلْمُقْتَحِمُ لُجَجَ ٱلْبِحَارِ وَمَفَاوِزَ ٱلْقِفَارِ يَسِيرُ مِنْ وَرَاءِ ٱلْجِبَالِ وَعَالِجِ ٱلرِّمَالِ يَصِلُ ٱلْغُدُوَّ بِٱلرَّوَاحِ وَٱلْمَسَاءَ بِٱلصَّبَاحِ فِي طَلَبِ مُحْتَقَرَاتِ ٱلْأَرْبَاحِ هَجَمَتْ عَلَيْهِ مَنِيَّتُهُ فَعَظُمَتْ بِنَفْسِهِ رَزِيَّتُهُ فَصَارَ مَا جَمَعَ بُورًا وَمَا ٱكْتَسَبَ غُرُورًا وَوَافَى ٱلْقِيَامَةَ مَحْسُورًا أَيُّهَا ٱللَّاهِي ٱلْغَارُّ بِنَفْسِهِ كَأَنِّي بِكَ

وَقَدْ أَتَاكَ رَسُولُ رَبِّكَ لَا يَقْرَعُ لَكَ بَابًا وَلَا يَهَابُ لَكَ حِجَابًا وَلَا يَقْبَلُ مِنْكَ بَدِيلًا وَلَا يَأْخُذُ مِنْكَ كَفِيلًا وَلَا يَرْحَمُ لَكَ صَغِيرًا وَلَا يُوَقِّرُ فِيكَ كَبِيرًا حَتَّى يُؤَدِّيَكَ إِلَى قَعْرٍ مُظْلِمَةٍ أَرْجَاؤُهَا مُوحِشَةٍ كَفِعْلِهِ بِالْأُمَمِ الْخَالِيَةِ وَالْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ أَيْنَ مَنْ سَعَى وَاجْتَهَدَ وَجَمَعَ وَعَدَّدَ وَبَنَى وَشَيَّدَ وَزَخْرَفَ وَنَجَّدَ وَبِالْقَلِيلِ لَمْ يَقْنَعْ وَبِالْكَثِيرِ لَمْ يَمْتَّعْ أَيْنَ مَنْ قَادَ الْجُنُودَ وَنَشَرَ الْبُنُودَ أَضْحَوْا رُفَاتًا تَحْتَ الثَّرَى أَمْوَاتًا وَأَنْتُمْ بِكَأْسِهِمْ شَارِبُونَ وَلِسَبِيلِهِمْ سَالِكُونَ عِبَادَ اللَّهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَرَاقِبُوهُ وَاعْمَلُوا لِلْيَوْمِ الَّذِي تَسِيرُ فِيهِ الْجِبَالُ وَتَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَتَطَايَرُ الْكُتُبُ عَنِ الْأَيْمَانِ وَالشَّمَائِلِ فَأَيُّ رَجُلٍ يَوْمَئِذٍ تَرَاكَ أَقَائِلٌ هَاؤُمُ اقْرَأُوا كِتَابِيَهْ أَمْ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ نَسْأَلُ مَنْ وَعَدَنَا بِإِقَامَةِ الشَّرَائِعِ جَنَّتَهُ أَنْ يَقِيَنَا سَخَطَهُ إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ وَأَبْلَغَ الْمَوْعِظَةِ كِتَابُ اللَّهِ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ

خطبةُ للحجاج حين ولّاهُ عبد الملك بن مروان العراق وامرهُ ان يحشر الناس الى المهلّب في حرب الازارقة

أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الثَّنَايَا مَتَى أَضَعِ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي

صَلِيبُ ٱلْعُودِ مِنْ سَلَفَيْ نِزَارٍ ... كَنَصْلِ ٱلسَّيْفِ وَضَّاحُ ٱلْجَبِينِ
وَمَاذَا تَبْتَغِي ٱلشُّعَرَآءُ مِنِّي ... وَقَدْ جَاوَزْتُ حَدَّ ٱلْأَرْبَعِينِ
أَخُو خَمْسِينَ مُجْتَمِعٌ أَشُدِّي ... وَنَجَّذَنِي مُدَاوَرَةُ ٱلشُّؤُونِ

أَمَا وَٱللهِ إِنِّي لَأَحْمِلُ ٱلشَّرَّ بِحِمْلِهِ وَأَحْذُوهُ بِنَعْلِهِ وَأَجْزِيهِ بِمِثْلِهِ وَإِنِّي لَأَرَى ابْصَارًا طَامِحَةً وَأَعْنَاقًا مُتَطَاوِلَةً وَرُؤُوسًا قَدْ أَيْنَعَتْ وَحَانَ قِطَافُهَا وَإِنِّي لَصَاحِبُهَا كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى ٱلدِّمَآءِ بَيْنَ ٱلْعَمَائِمِ وَٱللِّحَى تَتَرَقْرَقُ

هٰذَا أَوَانُ ٱلْحَرْبِ فَٱشْتَدِّي زِيَمْ
قَدْ لَفَّهَا ٱللَّيْلُ بِسَوَّاقٍ حُطَمْ
لَيْسَ بِرَاعِي إِبِلٍ وَلَا غَنَمْ
وَلَا بِجَزَّارٍ عَلَى ظَهْرِ وَضَمْ

قَدْ لَفَّهَا ٱللَّيْلُ بِعَصْلَبِيِّ ... أَرْوَعَ خَرَّاجٍ مِنَ ٱلدَّوِّيِّ
مُهَاجِرٍ لَيْسَ بِأَعْرَابِيِّ

قَدْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا فَشُدُّوا ... مَا عِلَّتِي وَأَنَا شَيْخٌ جَلْدُ
وَٱلْقَوْسُ فِيهَا وَتَرٌ عِرِدُّ ... مِثْلُ ذِرَاعِ ٱلْبَكْرِ أَوْ أَشَدُّ

إِنِّي وَٱللهِ يَا أَهْلَ ٱلْعِرَاقِ وَمَعْدِنَ ٱلشِّقَاقِ وَٱلنِّفَاقِ وَمَسَاوِئِ ٱلْأَخْلَاقِ لَا يُغْمَزُ جَانِبِي كَتَغْمَازِ ٱلتِّينِ وَلَا يُقَعْقَعُ لِي

بِٱلشَّنَانِ وَلَقَدْ فُرِرْتُ عَنْ ذَكَاءٍ وَفُتِّشْتُ عَنْ تَجْرِبَةٍ وَأُجْرِيتُ مَعَ ٱلْغَايَةِ وَإِنَّ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ نَثَرَ كِنَانَتَهُ ثُمَّ عَجَمَ عِيدَانَهَا فَوَجَدَنِي أَمَرَّهَا عُودًا وَأَشَدَّهَا مَكْسِرًا فَوَجَّهَنِي إِلَيْكُمْ وَرَمَاكُمْ بِي فَإِنَّهُ قَدْ طَالَمَا أَوْضَعْتُمْ فِي ٱلْفِتَنِ وَسَنَنْتُمْ سُنَنَ ٱلْبَغْيِ وَسَعَيْتُمْ فِي ٱلضَّلَالَةِ وَأَيْمُ ٱللّٰهِ لَأَلْحُوَنَّكُمْ لَحْوَ ٱلْعَصَا وَلَأَقْرَعَنَّكُمْ قَرْعَ ٱلْمَرْوَةِ وَلَأَعْصِبَنَّكُمْ عَصْبَ ٱلسَّلَمَةِ وَلَأَضْرِبَنَّكُمْ ضَرْبَ غَرَائِبِ ٱلْإِبِلِ أَمَا وَٱللّٰهِ لَا أَعِدُ إِلَّا وَفَيْتُ وَلَا أَخْلُقُ إِلَّا فَرَيْتُ وَإِيَّايَ وَهٰذِهِ ٱلزَّرَافَاتِ وَٱلْجَمَاعَاتِ وَقَالَ وَقِيلَ وَمَا يَقُولُونَ وَفِيمَ أَنْتُمْ وَٱللّٰهِ لَتَسْتَقِيمُنَّ عَلَى طَرِيقِ ٱلْحَقِّ أَوْ لَأَدَعَنَّ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ شُغْلًا فِي جَسَدِهِ مَنْ وَجَدْتُهُ بَعْدَ ثَالِثَةٍ مِنْ بَعْثِ ٱلْمُهَلَّبِ سَفَكْتُ دَمَهُ وَٱنْتَهَبْتُ مَالَهُ وَهَدَمْتُ مَنْزِلَهُ

ولهُ ايضًا بعد وقعة دير الجماجم

يَا أَهْلَ ٱلْعِرَاقِ إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ قَدِ ٱسْتَبْطَنَكُمْ فَخَالَطَ ٱللَّحْمَ وَٱلدَّمَ وَٱلْمَسَامِعَ وَٱلْأَطْرَافَ وَٱلْأَعْضَادَ وَٱلشِّغَافَ ثُمَّ مَضَى إِلَى ٱلْأَمْخَاخِ وَٱلْأَصْمَاخِ ثُمَّ ٱرْتَفَعَ فَعَشَّشَ ثُمَّ بَاضَ وَفَرَّخَ فَحَشَاكُمْ شِقَاقًا وَنِفَاقًا وَإِنْ أَشْعَرَكُمْ خِلَافًا ٱتَّخَذْتُمُوهُ

دَلِيلاً تَتَّبِعُونَهُ وَقَائِداً تُطِيعُونَهُ وَمُؤَامِراً تَسْتَشِيرُونَهُ وَكَيْفَ تَنفَعُكُمْ تَجْرِبَةٌ أَوْ تَعِظُكُمْ وَقْعَةٌ أَوْ يَحْجُزُكُمْ إِسْلَامٌ أَوْ يَرُدُّكُمْ إِيمَانٌ أَلَسْتُمْ أَصْحَابِي بِالْأَهْوَازِ حَيْثُ رُمْتُمُ الْمَكْرَ وَسَعَيْتُمْ بِالْغَدْرِ وَاسْتَجْمَعْتُمْ لِلْكُفْرِ وَظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهَ يَخْذُلُ دِينَهُ وَخِلَافَتَهُ وَأَنَا أَرْمِيكُمْ بِطَرْفِي وَأَنتُمْ تَتَسَلَّلُونَ لِوَاذاً وَتَنْهَزِمُونَ سِرَاعاً يَوْمَ الزَّاوِيَةِ وَمَا يَوْمُ الزَّاوِيَةِ بِهَا كَانَ فَشَلُكُمْ وَتَنَازُعُكُمْ وَتَخَاذُلُكُمْ وَبَرَاءَةُ اللهِ مِنكُمْ وَنُكُوصُ وَلِيِّهِ عَنكُمْ إِذْ وَلَّيْتُمْ كَالْإِبِلِ الشَّوَارِدِ إِلَى أَوْطَانِهَا النَّوَازِعِ إِلَى أَعْطَانِهَا لَا يَسْأَلُ الْمَرْءُ مِنكُمْ عَنْ أَخِيهِ وَلَا يَلْوِي الشَّيْخُ عَلَى بَنِيهِ حَتَّى عَضَّكُمُ السِّلَاحُ وَقَصَمَتْكُمُ الرِّمَاحُ وَيَوْمَ دَيْرِ الْجَمَاجِمِ وَمَا دَيْرُ الْجَمَاجِمِ بِهِ كَانَتِ الْمَعَارِكُ وَالْمَلَاحِمُ بِضَرْبٍ يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ أَهْلَ الْكَفَرَاتِ وَالْفَجَرَاتِ وَالْغَدَرَاتِ بَعْدَ الْخَتَرَاتِ وَالنَّزْوَةِ بَعْدَ النَّزَوَاتِ إِنْ بَعَثْتُكُمْ إِلَى ثُغُورِكُمْ غَلَلْتُمْ وَخُنْتُمْ وَإِنْ أَمِنْتُمْ أَرْجَفْتُمْ وَإِنْ خِفْتُمْ نَافَقْتُمْ لَا تَذْكُرُونَ نِقْمَةً وَلَا تَشْكُرُونَ نِعْمَةً يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ هَلِ اسْتَخَفَّكُمْ نَاكِثٌ أَوِ

أَسْتَغْوَاكُمْ غَاوٍ أَوِ اسْتَفَزَّكُمْ عَاصٍ أَوِ اسْتَنْصَرَكُمْ ظَالِمٌ أَوِ اسْتَعْضَدَكُمْ خَالِعٌ إِلَّا وَثِقْتُمُوهُ وَآوَيْتُمُوهُ وَعَزَّزْتُمُوهُ وَنَصَرْتُمُوهُ وَرَضِيتُمُوهُ وَأَرْضَيْتُمُوهُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ هَلْ شَغَبَ شَاغِبٌ أَوْ نَعَبَ نَاعِبٌ أَوْ نَعَقَ نَاعِقٌ أَوْ زَفَرَ زَافِرٌ إِلَّا كُنْتُمْ أَتْبَاعَهُ وَأَنْصَارَهُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ أَلَمْ تَنْهَكُمُ الْمَوَاعِظُ أَلَمْ تَزْجُرْكُمُ الْوَقَائِعُ يَا أَهْلَ الشَّامِ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ كَالظَّلِيمِ الذَّابِّ عَنْ فِرَاخِهِ يَنْفِي عَنْهَا الْمَدَرَ وَيُبَاعِدُ عَنْهَا الْحَجَرَ وَيُكِنُّهَا مِنَ الْمَطَرِ وَيَحْمِيهَا مِنَ الضِّبَابِ وَيَحْرُسُهَا مِنَ الذُّبَابِ يَا أَهْلَ الشَّامِ أَنْتُمُ الْجُنَّةُ وَالرِّدَاءُ وَأَنْتُمُ الْعُدَّةُ وَالْحِذَاءُ

ولعتبة بن ابي سفيان

يَا أَهْلَ مِصْرَ قَدْ طَالَتْ مُعَاتَبَتُنَا إِيَّاكُمْ بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ وَظُبَاتِ السُّيُوفِ حَتَّى صِرْنَا شَجًى فِي لَهَاكُمْ مَا تُسِيغُهُ حُلُوقُكُمْ وَأَقْذَاءً فِي أَعْيُنِكُمْ مَا تَطْرِفُ عَلَيْهَا جُفُونُكُمْ أَفَحِينَ اشْتَدَّتْ عُرَى الْحَقِّ عَلَيْكُمْ عَقْدًا وَاسْتَرْخَتْ عُقَدُ الْبَاطِلِ مِنْكُمْ حَلًّا أَرْجَفْتُمْ بِالْخَلِيفَةِ وَأَرَدْتُمْ تَهْوِينَ الْخِلَافَةِ وَخُضْتُمُ الْحَقَّ إِلَى الْبَاطِلِ وَأَقْدَمُ عَهْدِكُمْ بِهِ حَدِيثٌ

فَأَرْبِحُوا أَنْفُسَكُمْ إِذَا خَسِرْتُمْ دِينَكُمْ فَهٰذَا كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْخَبَرِ السَّارِّ عَنْهُ وَالْعَهْدِ الْقَرِيبِ مِنْهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ سُلْطَانَنَا عَلَى أَبْدَانِكُمْ دُونَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْلِحُوا لَنَا مَا ظَهَرَ وَنَكِلُكُمْ إِلَى اللّٰهِ فِيمَا بَطَنَ وَأَظْهِرُوا خَيْرًا وَإِنْ أَضْمَرْتُمْ شَرًّا فَإِنَّكُمْ حَاصِدُونَ مَا أَنْتُمْ زَارِعُونَ وَعَلَى اللّٰهِ أَتَوَكَّلُ وَبِهِ أَسْتَعِينُ

ولهُ ايضاً

يَا حَامِلِي الْأَمِ آنُوفٍ رُكِّبَتْ بَيْنَ أَلْأَمِ أَعْيُنٍ إِنَّمَا قَلَّمْتُ أَظْفَارِي عَنْكُمْ لِيَلِينَ مَسِّي إِيَّاكُمْ وَسَأَلْتُكُمْ صَلَاحَكُمْ إِذْ كَانَ فَسَادُكُمْ رَاجِعًا عَلَيْكُمْ فَأَمَّا إِذْ أَبَيْتُمْ إِلَّا الطَّعْنَ عَلَى الْوُلَاةِ وَالتَّنَقُّصَ لِلسَّلَفِ فَوَاللّٰهِ لَأَقْطَعَنَّ عَلَى ظُهُورِكُمْ بُطُونَ السِّيَاطِ فَإِنْ حَسَمَتْ دَاءَكُمْ وَإِلَّا فَالسَّيْفُ مِنْ وَرَائِكُمْ وَلَسْتُ أَبْخَلُ عَلَيْكُمْ بِالْعُقُوبَةِ إِذَا جُدْتُمْ بِالْمَعْصِيَةِ وَلَا أُوئِسُكُمْ مِنْ مُرَاجَعَةِ الْحُسْنَى إِنْ صِرْتُمْ إِلَى الَّتِي هِيَ أَبَرُّ وَأَتْقَى

وينسب الى سحبان وائل

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ مَمَرٍّ وَالْآخِرَةَ دَارُ مَقَرٍّ

فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ وَلَا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ أَسْرَارُكُمْ وَأَخْرِجُوا مِنَ ٱلدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ فَفِيهَا حَيِيتُمْ وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ ٱلْيَوْمَ عَمَلٌ بِلَا حِسَابٍ وَغَدًا حِسَابٌ بِلَا عَمَلٍ إِنَّ ٱلرَّجُلَ إِذَا هَلَكَ قَالَ ٱلنَّاسُ مَا تَرَكَ وَقَالَتِ ٱلْمَلَائِكَةُ مَا قَدَّمَ فَقَدِّمُوا بَعْضًا يَكُونُ لَكُمْ قَرْضًا وَلَا تَتْرُكُوا كُلًّا يَكُونُ عَلَيْكُمْ كَلًّا

فَصْلٌ

في الذَّمِّ وَالقَطِيعة

كتب ابو الفضل بنُ العميدِ الى ابي عبدالله الطَبَري

وَصَلَ كِتَابُكَ فَصَادَفَنِي قَرِيبَ ٱلْعَهْدِ بِٱلِٱنْطِلَاقِ مِنْ عَنَتِ ٱلْفِرَاقِ وَوَافَقَنِي مُسْتَرِيحَ ٱلْأَعْضَاءِ وَٱلْجَوَانِحِ مِنْ جَوَى ٱلِٱشْتِيَاقِ فَإِنَّ ٱلدَّهْرَ جَرَى عَلَى حُكْمِهِ ٱلْمَأْلُوفِ فِي تَحْوِيلِ ٱلْأَحْوَالِ وَمَضَى عَلَى رَسْمِهِ ٱلْمَعْرُوفِ فِي تَبْدِيلِ ٱلْأَشْكَالِ وَأَعْتَقَنِي مِنْ مَخَالِبِكَ إِعْتَاقًا لَا تَسْتَحِقُّ بِهِ وَلَاءً وَأَبْرَأَنِي مِنْ عُهْدَتِكَ بَرَاءَةً لَا تَسْتَوْجِبُ مَعَهَا دَرَكًا وَلَا ٱسْتِثْنَاءً وَنَزَعَ مِنْ عُنُقِي رِبْقَةَ ٱلذُّلِّ فِي إِخَائِكَ بِيَدَيْ

جَفَائِكَ وَرَشَّ عَلَى مَا كَانَ يُضْرَمُ فِي ضَمِيرِي مِن نِيرَانِ
ٱلشَّوْقِ بِٱلسُّلُوِّ وَشَنَّ عَلَى مَا كَانَ يَلْتَهِبُ فِي صَدْرِي مِنَ
ٱلْوَجْدِ مَآءَ ٱلْيَأْسِ وَمَسَحَ أَعْشَارَ قَلْبِي فَلَأَمَ فُطُورِي
بِجَمِيلِ ٱلصَّبْرِ وَشَعَبَ أَفْلَاذَ كَبِدِي فَلَاحَمَ صُدُوعَهَا بِحُسْنِ
ٱلْعَزَآءِ وَتَغَلْغَلَ فِي مَسَالِكِ أَنْفَاسِي فَعَوَّضَ عَنِ ٱلنِّزَاعِ
إِلَيْكَ نُزُوعًا عَنْكَ وَمِنَ ٱلذَّهَابِ فِيكَ رُجُوعًا دُونَكَ
وَكَشَفَ عَنْ عَيْنَيَّ ضَبَابَاتِ مَا أَلْقَاهُ ٱلْهَوَى عَلَى بَصَرِي
وَرَفَعَ عَنْهَا غَيَابَاتِ مَا سَدَلَهُ ٱلشَّكُّ دُونَ نَظَرِي حَتَّى
حَدَرَ ٱلنِّقَابَ عَنْ صَفَحَاتِ شِيَمِكَ وَسَفَرَ عَنْ وُجُوهِ خَلِيقَتِكَ
فَٱذْهَبْ فَقَدْ أَلْقَيْتُ حَبْلَكَ عَلَى غَارِبِكَ وَرَدَدْتُ إِلَيْكَ
ذِمَمَ عَهْدِكَ

ولهُ اليهِ ايضًا من رسالة

وَهَبْنِي سَكَتُّ لِدَعْوَاكَ سُكُوتَ مُتَعَجِّبٍ وَرَضِيتُ رِضَى
مُتَسَخِّطٍ أَيَرْضَى ٱلْفَضْلُ أَجْتِذَابَكَ بِأَهْدَابِهِ مِنْ يَدَيْ أَهْلِهِ
وَأَصْحَابِهِ وَأَحْسَبُكَ لَمْ تُزَاحِمْ خُطَّابَهُ حَتَّى أَنْشَدَكَ

لَو بِأَبَانَيْنِ جَآءَ يَخْطُبُهَا ضُرِّجَ مَا أَنْفُ خَاطِبٍ بِدَمِ

وَلَيْتَ شِعْرِي بِأَيِّ حَلْيٍ تَصَدَّيْتَ لَهُ وَأَنْتَ لَوْ تَتَوَّجْتَ

بِالثُّرَيَّا وَتَقَلَّدَتْ قِلَادَةَ الْفَلَكِ وَتَمَنْطَقَتْ بِمِنْطَقَةِ الْجَوْزَاءِ
وَتَوَشَّحَتْ بِالْمَجَرَّةِ لَمْ تَكُنْ إِلَّا عُطْلًا وَلَوْ تَدَثَّرَتْ أَنْوَارَ
الرَّبِيعِ الزَّاهِرِ وَأَسْرَجَتْ فِي جَبِينِكَ غُرَّةَ الْبَدْرِ الْبَاهِرِ
مَا كُنْتَ إِلَّا غُفْلًا لَاسِيَّمَا مَعَ قِلَّةِ وَفَائِكَ وَضَعْفِ إِخَائِكَ
وَظُلْمَةِ مَا نُبْصِرُهُ مِنْ خِصَالِكَ وَتَرَاكُمِ الدُّجَى فِي ضَلَالِكَ
وَقَدْ نَدِمْتُ عَلَى مَا كَانَ مِنِّي إِلَيْكَ وَلَكِنْ أَيُّ سَاعَةِ مَنْدَمٍ
بَعْدَ إِفْنَاءِ الزَّمَانِ فِي ابْتِدَائِكَ وَتَصَفُّحِي حَالَاتِ الدَّهْرِ
فِي اخْتِيَارِكَ وَبَعْدَ تَضْيِيعِ مَا غَرَسْتُهُ وَتَقْوِيضِ مَا أَسَّسْتُهُ
فَإِنَّ الْوِدَادَ غَرْسٌ إِذَا لَمْ يُوَافِقْ ثَرًى ثَرِيًّا وَمَاءً رَوِيًّا لَمْ
يُرْجَ زَكَاؤُهُ وَلَمْ يَجْرِ مَاؤُهُ وَلَمْ تَتَفَتَّحْ أَزْهَارُهُ وَلَمْ تُجْنَ
ثِمَارُهُ وَلَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ مَلَكْتُ الضَّلَالَ فِيَادِي حَتَّى
أَشْكَلَ عَلَيَّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْمُتَمَازِجَانِ وَلَا يَسْتَغْنِي عَنْهُ
الْمُتَآلِفَانِ وَهِيَ مُمَازَجَةُ طَبْعٍ وَمُوَافَقَةُ شَكْلٍ وَخَلْقٍ
وَمُطَابَقَةُ خِيمٍ وَخُلْقٍ وَمَا وَصَلَتْنَا حَالٌ جَمَعَتْنَا عَلَى ائْتِلَافٍ
وَحَمَتْنَا مِنِ اخْتِلَافٍ وَنَحْنُ فِي طَرَفَيْ ضِدَّيْنِ وَبَيْنَ
أَمْرَيْنِ مُتَبَاعِدَيْنِ وَإِذَا حَصَّلْتَ الْأَمْرَ وَجَدْتَ أَدْنَى مَا
بَيْنَنَا مِنَ الْبِعَادِ أَكْثَرَ مِمَّا بَيْنَ الْوِهَادِ وَالنِّجَادِ وَأَبْعَدَ

مِمَّا بَيْنَ ٱلْبَيَاضِ وَٱلسَّوَادِ وَأَيسرَ مَا بيننَا مِنَ ٱلنِّفَارِ أَكْثَرَ مِمَّا بَيْنَ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْإِعْلَانِ وَٱلْإِسْرَارِ

وكتبَ ابوالفضل بديعُ الزمانِ الهَمَذانيّ من رسالةٍ الى ابي نصر ابن المرزُبان

كُنْتُ أَطَالَ ٱللهُ بَقَاءَ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ فِي قَدِيمِ ٱلزَّمَانِ أَتَمَنَّى لِلْكُتَّابِ ٱلْخَيْرَ وَأَسْأَلُ ٱللهَ أَنْ يُدِرَّ عَلَيْهِمْ أَخْلَافَ ٱلرِّزْقِ وَيَمُدَّ لَهُمْ أَكْنَافَ ٱلْعَيْشِ وَيُوطِئَهُمْ أَعْرَافَ ٱلْمَجْدِ وَيُؤْتِيَهُمْ أَصْنَافَ ٱلْفَضْلِ وَيُرْكِبَهُمْ أَكْتَافَ ٱلْعِزِّ وَقُصَارَايَ أَنْ أَرْغَبَ إِلَى ٱللهِ تَعَالَى فِي أَنْ لَا يُنِيلَهُمْ فَوْقَ ٱلْكِفَايَةِ وَلَا يَمُدَّ لَهُمْ فِي حَبْلِ ٱلرِّعَايَةِ فَشَدَّ مَا يَطْغَوْنَ لِلنِّعْمَةِ يَنَالُونَهَا وَٱلدَّرَجَةِ يَعْلُونَهَا وَسَرُعَ مَا يَنْظُرُونَ مِنْ عَالٍ بِمَا يَنْظِمُونَ مِنْ حَالٍ وَيَجْمَعُونَ مِنْ مَالٍ وَتُنْسِيهِمْ أَيَّامُ ٱللُّدُونَةِ أَوْقَاتَ ٱلْخُشُونَةِ وَأَزْمَانُ ٱلْعُذُوبَةِ سَاعَاتِ ٱلصُّعُوبَةِ وَلِلْكُتَّابِ مَزِيَّةٌ فِي هٰذَا ٱلْبَابِ فَبَيْنَا هُمْ فِي ٱلْعُطْلَةِ إِخْوَانٌ كَمَا ٱنْتَظَمَ ٱلسِّمْطُ وَفِي ٱلْعُزْلَةِ أَعْوَانٌ كَمَا ٱنْفَرَجَ ٱلْمُشْطُ حَتَّى لَحَظَهُمُ ٱلْجَدُّ لَحْظَةَ حَمْقَاءَ بِمَنْشُورِ عِمَالَةٍ أَوْ صَكِّ جِعَالَةٍ فَيَعُودُ عَامِرُ وُدِّهِمْ خَرَابًا وَيَنْقَلِبُ شَرَابُ

عَهْدِهِمْ سَرَابًا فَمَا عَلَتْ أُمُورُهُمْ حَتَّى أُسْبِلَتْ سُتُورُهُمْ وَلَا غَلَتْ قُدُورُهُمْ إِلَّا خَلَتْ بُدُورُهُمْ وَلَا اتَّسَعَتْ دُورُهُمْ إِلَّا ضَاقَتْ صُدُورُهُمْ وَلَا أُوقِدَتْ نَارُهُمْ إِلَّا انْطَفَأَ نُورُهُمْ وَلَا زَادَ مَالُهُمْ إِلَّا نَقَصَ مَعْرُوفُهُمْ وَلَا وَرِمَتْ أَكْيَاسُهُمْ إِلَّا وَرِمَتْ أُنُوفُهُمْ وَلَا صَلُحَتْ أَحْوَالُهُمْ إِلَّا فَسَدَتْ أَفْعَالُهُمْ وَلَا حَسُنَتْ حَالُهُمْ إِلَّا قَبُحَتْ خِلَالُهُمْ وَلَا فَاضَ جَاهُهُمْ إِلَّا غَاضَتْ مِيَاهُهُمْ وَلَا لَانَتْ بُرُودُهُمْ إِلَّا صَلُبَتْ حُدُودُهُمْ وَلَا عَلَتْ جُدُودُهُمْ إِلَّا سَفَلَ جُودُهُمْ وَلَا طَالَتْ أَيْدِيهِمْ إِلَّا قَصُرَتْ أَيَادِيهِمْ وَقُصَارَى أَحَدِهِمْ مِنَ الْمَجْدِ أَنْ لَا يُخْرِجَ مَالَهُ مِنْ عُهْدَةِ خَاتَمِهِ إِلَّا يَوْمَ مَاتَمِهِ فَهُوَ يَجْمَعُ لِحَادِثِ حَيَاتِهِ أَوْ وَارِثِ مَمَاتِهِ يَسْلُكُ فِي الْغَدْرِ كُلَّ طَرِيقٍ وَيَبِيعُ بِالدِّرْهَمِ أَلْفَ صَدِيقٍ

فَصْلٌ

في الدعاء

قال أعرابيٌّ

اَللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِي وَالْجِلْدُ بَارِدٌ وَالنَّفْسُ رَطْبَةٌ وَاللِّسَانُ

مُنْطَلِقٌ وَٱلصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ وَٱلْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ وَٱلتَّوْبَةُ
مَقْبُولَةٌ وَٱلتَّضَرُّعُ مَرْجُوٌّ قَبْلَ أَنِ ٱلْفِرَاقِ وَحَشْكِ
ٱلنَّفَسِ وَعَلَزِ ٱلصَّدْرِ وَتَزَيُّلِ ٱلْأَوْصَالِ وَنُصُولِ
ٱلشَّعَرِ وَٱجْتِيَافِ ٱلتُّرَابِ وَقَبْلَ أَنْ لَا أَقْدِرَ عَلَى ٱسْتِغْفَارِكَ
حِينَ يَفْنَى ٱلْأَجَلُ وَيَنْقَطِعُ ٱلْعَمَلُ أَعِنِّي عَلَى ٱلْمَوْتِ
وَكُرْبَتِهِ وَعَلَى ٱلْقَبْرِ وَغُمَّتِهِ وَعَلَى ٱلْمِيزَانِ وَخِفَّتِهِ وَعَلَى
ٱلصِّرَاطِ وَزَلَّتِهِ وَعَلَى يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ وَرَوْعَتِهِ إِغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً
لَا تُغَادِرُ ذَنْبًا وَلَا تَدَعُ كَرْبًا. اغْفِرْ لِي جَمِيعَ مَا ٱفْتَرَضْتَ
عَلَيَّ وَلَمْ أُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ؛ ٱغْفِرْ لِي جَمِيعَ مَا تُبْتُ إِلَيْكَ مِنْهُ
ثُمَّ عُدْتُ فِيهِ يَا رَبِّ تَظَاهَرَتْ عَلَيَّ مِنْكَ ٱلنِّعَمُ وَتَدَارَكَتْ
عِنْدَكَ مِنِّي ٱلذُّنُوبُ فَلَكَ ٱلْحَمْدُ عَلَى ٱلنِّعَمِ ٱلَّتِي تَظَاهَرَتْ
وَأَسْتَغْفِرُكَ لِلذُّنُوبِ ٱلَّتِي تَدَارَكَتْ وَأَمْسَيْتَ عَنْ عَذَابِي غَنِيًّا
وَأَصْبَحْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ فَقِيرًا ٱللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ نَجَاحَ
ٱلْأَمَلِ عِنْدَ ٱنْقِطَاعِ ٱلْأَجَلِ ٱللَّهُمَّ ٱجْعَلْ خَيْرَ عَمَلِي مَا
وَلِيَ أَجَلِي ٱللَّهُمَّ ٱجْعَلْنِي مِنَ ٱلَّذِينَ إِذَا أَعْطَيْتَهُمْ شَكَرُوا
وَإِذَا ٱبْتَلَيْتَهُمْ صَبَرُوا وَإِذَا أَذْكَرْتَهُمْ ذَكَرُوا وَٱجْعَلْ لِي
قَلْبًا تَوَّابًا أَوَّابًا لَا فَاجِرًا وَلَا مُرْتَابًا ٱجْعَلْنِي مِنَ ٱلَّذِينَ إِذَا

أَحْسَنُوا ٱزْدَادُوا وَإِذَا أَسَاءُوا ٱسْتَغْفَرُوا ٱللَّهُمَّ لَا تُحَقِّقْ عَلَيَّ ٱلْعَذَابَ وَلَا تَقْطَعْ بِيَ ٱلْأَسْبَابَ أَدْعُوكَ دُعَاءَ ضَعِيفٍ عَمَلُهُ مُتَظَاهِرَةٍ ذُنُوبُهُ ضَنِينٍ عَلَى نَفْسِهِ دُعَاءَ مَنْ بَدَنُهُ ضَعِيفٌ وَمُنَّتُهُ عَاجِزَةٌ قَدِ ٱنْتَهَتْ عِدَّتُهُ وَخَلُقَتْ جِدَّتُهُ وَتَمَّ ظِمْؤُهُ ٱللَّهُمَّ لَا تُخَيِّبْنِي وَأَنَا أَرْجُوكَ وَلَا تُعَذِّبْنِي وَأَنَا أَدْعُوكَ ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى طُولِ ٱلنَّسِيئَةِ وَإِسَاغَةِ ٱلرِّيقِ وَتَأَخُّرِ ٱلشَّدَائِدِ وَٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى حِلْمِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ وَعَلَى عَفْوِهِ بَعْدَ قُدْرَتِهِ وَٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي لَا يُودَى قَتِيلُهُ وَلَا يَخِيبُ سَائِلُهُ وَلَا يُرَدُّ رَسُولُهُ ٱللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ ٱلْفَقْرِ إِلَّا إِلَيْكَ وَمِنَ ٱلذُّلِّ إِلَّا لَكَ وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَقُولَ زُورًا أَوْ أَغْشَى فُجُورًا أَوْ أَكُونَ بِكَ مَغْرُورًا وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَمَاتَةِ ٱلْأَعْدَاءِ وَعُضَالِ ٱلدَّاءِ وَخَيْبَةِ ٱلرَّجَاءِ وَزَوَالِ ٱلنِّعْمَةِ

وقال أعرابيٌّ غيرهُ

ٱللَّهُمَّ إِنَّ ٱسْتِغْفَارِي إِيَّاكَ مَعَ كَثْرَةِ ذُنُوبِي لَلُؤْمٌ وَإِنَّ تَرْكِيَ ٱلِاسْتِغْفَارَ مَعَ مَعْرِفَتِي بِسَعَةِ رَحْمَتِكَ لَعَجْزٌ إِلٰهِي كَمْ تَحَبَّبْتَ إِلَيَّ بِنِعْمَتِكَ وَأَنْتَ غَنِيٌّ عَنِّي وَكَمْ أَتَبَغَّضُ

إِلَيْكَ بِذُنُوبِي وَأَنَا فَقِيرٌ إِلَيْكَ سُبْحَانَ مَنْ إِذَا تَوَعَّدَ عَفَا وَإِذَا وَعَدَ وَفَى

وقال آخر

أَللّٰهُمَّ إِنَّ ذُنُوبِي إِلَيْكَ لَا تَضُرُّكَ وَإِنَّ رَحْمَتَكَ إِيَّايَ لَا تَنْقُصُكَ فَاغْفِرْ لِي مَا لَا يَضُرُّكَ وَهَبْ لِي مَا لَا يَنْقُصُكَ

فَصْلٌ

في القول عند الوقوف على القبور

قالت أعرابية

وَٱللّٰهِ يَا بُنَيَّ لَقَدْ غَذَوْتُكَ رَضِيعًا وَفَقَدْتُكَ سَرِيعًا وَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ ٱلْحَالَيْنِ مُدَّةٌ أَلْتَذُّ بِعَيْشِكَ فِيهَا فَأَصْبَحْتَ بَعْدَ ٱلنَّضَارَةِ وَٱلْغَضَارَةِ وَرَوْنَقِ ٱلْحَيَاةِ وَٱلتَّنَسُّمِ مِنْ طِيبِ رَوَائِحِهَا تَحْتَ طِبَاقِ ٱلثَّرَى جَسَدًا هَامِدًا. وَرُفَاتًا سَحِيقًا وَصَعِيدًا جُرُزًا أَيْ بُنَيَّ لَقَدْ سَحَبَتِ ٱلدُّنْيَا عَلَيْكَ أَذْيَالَ ٱلْفَنَا وَأَسْكَنَتْكَ دَارَ ٱلْبِلَى وَرَمَتْنِي بَعْدَكَ نَكْبَةُ ٱلرَّدَى أَيْ بُنَيَّ لَقَدْ أَسْفَرَ لِي عَنْ وَجْهِ ٱلدُّنْيَا صَبَاحٌ دَاجٍ ظَلَامُهُ أَيْ

رَبِّ وَمِنْكَ ٱلْعَدْلُ وَمِنْ خُلُقِكَ ٱلْجُودُ وَهَبْتَهُ لِي قُرَّةَ عَيْنٍ فَلَمْ تُمَتِّعْنِي بِهِ كَثِيرًا بَلْ سَلَبْتَنِيهِ وَشِيكًا ثُمَّ أَمَرْتَنِي بِٱلصَّبْرِ وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهِ ٱلْأَجْرَ فَصَدَّقْتُ وَعْدَكَ وَرَضِيتُ قَضَاءَكَ أَللَّهُمَّ ٱرْحَمْ غُرْبَتَهُ وَآنِسْ وَحْشَتَهُ وَٱسْتُرْ عَوْرَتَهُ يَوْمَ تَنْكَشِفُ ٱلْهَنَاتُ وَٱلسَّوْءَاتُ أَيْ بُنَيَّ إِنِّي قَدْ تَزَوَّدْتُ لِسَفَرِي فَلَيْتَ شِعْرِي مَا زَادُكَ لِبُعْدِ طَرِيقِكَ وَيَوْمِ مَعَادِكَ أَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ لَهُ ٱلرِّضَى بِرِضَايَ عَنْهُ أَيْ بُنَيَّ ٱسْتَوْدَعْتُكَ مَنِ ٱسْتَوْدَعَنِيكَ فِي أَحْشَائِي جَنِينًا وَا ثُكْلَ ٱلْوَالِدَاتِ مَا أَمَضَّ حَرَارَةَ قُلُوبِهِنَّ وَأَقْلَقَ مَضَاجِعَهُنَّ وَأَطْوَلَ لَيْلَهُنَّ وَأَقْصَرَ نَهَارَهُنَّ وَأَقَلَّ أُنْسَهُنَّ وَأَشَدَّ وَحْشَتَهُنَّ وَأَبْعَدَهُنَّ مِنَ ٱلسُّرُورِ وَأَقْرَبَهُنَّ مِنَ ٱلْأَحْزَانِ

وقالت امرأة الاحنف بن قيس

لِلّٰهِ دَرُّكَ مِنْ مُجَنٍّ فِي جَنَنٍ وَمُدْرَجٍ فِي كَفَنٍ نَسْأَلُ ٱلَّذِي فَجَعَنَا بِمَوْتِكَ وَٱبْتَلَانَا بِفَقْدِكَ أَنْ يَجْعَلَ سَبِيلَ ٱلْخَيْرِ سَبِيلَكَ وَدَلِيلَ ٱلرُّشْدِ دَلِيلَكَ وَأَنْ يُوَسِّعَ لَكَ فِي قَبْرِكَ وَيَغْفِرَ لَكَ يَوْمَ حَشْرِكَ فَوَٱللّٰهِ لَقَدْ كُنْتَ فِي

ٱلْمَحَافِلِ شَرِيفًا وَعَلَى ٱلْأَرَامِلِ عَطُوفًا وَلَقَدْ كُنْتَ فِي ٱلْحَيِّ مُسَوَّدًا وَإِلَى ٱلْخَلِيفَةِ مُوفَدًا وَلَقَدْ كَانُوا لِقَوْلِكَ مُسْتَمِعِينَ وَلِرَأْيِكَ مُتَّبِعِينَ لَقَدْ عِشْتَ حَمِيدًا مَوْدُودًا وَمُتَّ سَعِيدًا مَفْقُودًا

وقال حيّان بن سلمى على قبر عامر بن الطفيل

إِنْعَمْ ظَلَامًا يَا أَبَا عَلِيٍّ فَقَدْ كُنْتَ تَشُنُّ ٱلْغَارَةَ وَتَحْمِي ٱلْجَارَةَ سَرِيعًا بِوَعْدِكَ بَطِيئًا بِوَعِيدِكَ وَكُنْتَ لَا تَضِلُّ حَتَّى يَضِلَّ ٱلنَّجْمُ وَلَا تَهَابُ حَتَّى يَهَابَ ٱللَّيْثُ وَلَا تَعْطَشُ حَتَّى يَعْطَشَ ٱلْبَعِيرُ وَكُنْتَ خَيْرَ ٱلنَّاسِ حِينَ لَا تَظُنُّ نَفْسٌ بِنَفْسٍ خَيْرًا

خَاتِمَةٌ

في الوَصفِ

فِقَرٌ جَارِيَةٌ عَلَى أَلْسِنَةِ ٱلْبُلَغَاءِ فِي صِفَاتٍ شَتَّى

في وصفِ البُلدانِ

بَلْدَةٌ كَأَنَّهَا صُورَةُ جَنَّةِ ٱلْخُلْدِ مَنْقُوشَةً فِي عُرْضِ ٱلْأَرْضِ * بَلْدَةٌ كَأَنَّ مَحَاسِنَ ٱلدُّنْيَا مَجْمُوعَةٌ فِيهَا وَمَحْصُورَةٌ فِي نَوَاحِيهَا * بَلْدَةٌ تُرَابُهَا عَنْبَرٌ وَحَصْبَاؤُهَا عَقِيقٌ وَهَوَاؤُهَا نَسِيمٌ وَمَاؤُهَا رَحِيقٌ * بَلْدَةٌ مَعْشُوقَةُ ٱلسُّكْنَى رَحْبَةُ ٱلْمَثْوَى كَوْكَبُهَا يَقْظَانُ وَجَوُّهَا عُرْيَانٌ يَوْمُهَا غَدَاةٌ وَلَيْلُهَا سَحَرٌ * بَلْدَةٌ وَاسِعَةُ ٱلرُّقْعَةِ طَيِّبَةُ ٱلْبُقْعَةِ وَاسِطَةُ ٱلْبِلَادِ وَسُرَّتُهَا وَوَجْهُهَا وَغُرَّتُهَا

في وصف القِلاعِ

قَلْعَةٌ حَلَّقَتْ بِٱلْجَوِّ تُنَاجِي ٱلسَّمَاءَ بِأَسْرَارِهَا * قَلْعَةٌ تَتَوَشَّحُ بِٱلْغُيُومِ وَتَتَحَلَّى بِٱلنُّجُومِ * قَلْعَةٌ مُتَنَاهِيَةٌ فِي ٱلْحَصَانَةِ مُمْتَنِعَةٌ عَنِ ٱلطَّلَبِ وَٱلطَّالِبِ مَنْصُوبَةٌ عَلَى أَضْيَقِ ٱلْمَسَالِكِ وَأَوْعَرِ ٱلْمَنَاصِبِ لَمْ تَزِدْهَا ٱلْأَيَّامُ إِلَّا نُبُوًّا

أَعْطَافٍ وَٱسْتِصْعَابَ جَوَانِبَ وَأَطْرَافٍ قَدْ مَلَّ ٱلْمُلُوكُ حِصَـارَهَا فَفَارَقُوهَا عَنْ طِمَاحٍ مِنْهَا وَشِمَاسٍ وَسَئِمَتِ ٱلْجُيُوشُ ظِلَّهَا فَغَادَرَتْهَا بَعْدَ قُنُوطٍ وَيَاسٍ فَهِيَ حِمًى لَا يُرَاعُ وَمَعْقِلٌ لَا يُسْتَطَاعُ كَأَنَّ ٱلْأَيَّامَ صَالَحَتْهَا عَلَى ٱلْإِعْفَاءِ مِنَ ٱلْحَوَادِثِ وَٱللَّيَالِيَ عَاهَدَتْهَا عَلَى ٱلتَّسْلِيمِ مِنَ ٱلْقَوَارِعِ

في وصف الدور

دَارُ قَرَارٍ تُوسِعُ ٱلْعَيْنَ قُرَّةً وَٱلنَّفْسَ مَسَرَّةً كَأَنَّ بَانِيَهَا ٱسْتَسْلَفَ ٱلْجَنَّةَ فَعُجِّلَتْ لَهُ * دَارٌ تَخْجَلُ مِنْهَا ٱلدُّورُ وَتَتَقَاصَرُ عَنْهَا ٱلْقُصُورُ إِنْ مَاتَ صَاحِبُهَا مَغْفُورًا لَهُ فَقَدِ ٱنْتَقَلَ مِنْ جَنَّةٍ إِلَى جَنَّةٍ * دَارٌ قَدِ ٱقْتَرَنَ ٱلْيُمْنُ بِيُمْنَاهَا وَٱلْيُسْرُ بِيُسْرَاهَا ٱلْجُسُومُ مِنْهَا فِي حَضَرٍ وَٱلْعُيُونُ عَلَى سَفَرٍ * دَارٌ دَارَ بِٱلسَّعْدِ نَجْمُهَـا وَفَازَ بِٱلْحُسْنِ سَهْمُهَا يَخْدُمُهَا ٱلدَّهْرُ وَيَأْوِيهَا ٱلْبَدْرُ وَيَكْنُفُهَا ٱلنَّصْرُ هِيَ مَرْتَعُ ٱلنَّوَاظِرِ وَمُتَنَفَّسُ ٱلْخَوَاطِرِ أَخَذَتْ أَدَوَاتِ ٱلْجِنَانِ وَضَحِكَتْ مِنَ ٱلْعَبْقَرِيِّ ٱلْحِسَانِ

في وصف الديار الخالية

دَارٌ لَبِسَتِ ٱلْبِلَى وَتَعَطَّلَتْ مِنَ ٱلْحُلَى صَارَتْ مِنْ

أَهْلِهَا خَالِيَةً بَعْدَمَا كَانَتْ بِهِمْ حَالِيَةً قَدْ أَنْفَدَ ٱلْبَيْنُ سُكَّانَهَا وَأَقْعَدَ حِيطَانَهَا * دَارٌ شَاهِدُ ٱلْيَأْسِ مِنْهَا يَنْطِقُ وَحَبْلُ ٱلرَّجَآءِ فِيهَا يَقْصُرُ كَأَنَّ عُمْرَانَهَا يُطْوَى وَخَرَابَهَا يُنْشَرُ أَرْكَانُهَا قِيَامٌ وَقُعُودٌ وَحِيطَانُهَا رُكَّعٌ وَسُجُودٌ

بَكَتْ دَارُهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ فَتَهَلَّلَتْ
دُمُوعِي فَأَيَّ ٱلْجَازِعَيْنِ أَلُومُ
أَمُسْتَعْبِرًا يَبْكِي عَلَى ٱللَّهْوِ وَٱلْبِلَى
أَمَ ٱآخَرَ يَبْكِي شَجْوَهُ فَيَهِيمُ

في وصف ايام الرّبيع

يَوْمٌ جَلَابِيبُ غُيُومِهِ رِوَاقٌ وَأَرْدِيَةُ نَسِيمِهِ رِقَاقٌ * يَوْمٌ سَمَآؤُهُ فَاخِتِيَّةٌ وَأَرْضُهُ طَاوُوسِيَّةٌ * يَوْمٌ مُمَسَّكُ ٱلسَّمَآءِ مُعَصْفَرُ ٱلْهَوَآءِ مُعَنْبَرُ ٱلرَّوْضِ مُصَنْدَلُ ٱلْمَآءِ * يَوْمٌ تَبَسَّمَ عَنْهُ ٱلرَّبِيعُ وَتَبَرَّجَ عَنْهُ ٱلرَّوْضُ ٱلْمَرِيعُ * يَوْمٌ كَأَنَّ سَمَآءَهُ مُجِدٌّ تَتَبَاكَى وَأَرْضَهُ عَرُوسٌ تَتَجَلَّى * يَوْمٌ دَجْنُهُ عَاكِفٌ وَقَطْرُهُ وَاكِفٌ

في وصف الرياض

رَوْضَةٌ رَقَّتْ حَوَاشِيهَا وَتَأَنَّقَ وَاشِيهَا * رَوْضَةٌ كَٱلْعُقُودِ

ٱلْمُنَظَّمَةِ عَلَى ٱلْبُرُودِ ٱلْمُنَمْنَمَةِ * رَوْضَةٌ قَدْ رَاضَتْهَا كَفُّ ٱلْمَطَرِ وَدَبَّجَتْهَا أَيْدِي ٱلنَّدَى * رِيَاضٌ كَٱلْعَرَائِسِ فِي حَلْيِهَا وَزَخَارِفِهَا وَٱلْقِيَانِ فِي وَشْيِهَا وَمَطَارِفِهَا بَاسِطَةٌ زَرَابِيَّهَا وَأَنْمَاطَهَا نَاشِرَةٌ بُرُودَهَا وَرِيَاطَهَا زَاهِيَةٌ بِحَمْرَائِهَا وَصَفْرَائِهَا تَائِهَةٌ بِعِيدَانِهَا وَغُدْرَانِهَا كَأَنَّمَا ٱحْتَفَلَتْ لِوَفْدٍ أَوْ هِيَ مِنْ حَبِيبٍ عَلَى وَعْدٍ * رَوْضَةٌ قَدْ تَضَوَّعَتْ بِٱلْأَرَجِ ٱلطَّيِّبِ أَرْجَاؤُهَا وَتَبَرَّجَتْ فِي ظُلَلِ ٱلْغَمَامِ صَحْرَاؤُهَا وَتَنَافَحَتْ بِنَوَافِجِ ٱلْمِسْكِ أَنْوَارُهَا وَتَعَارَضَتْ بِغَرَائِبِ ٱلنُّطْقِ أَطْيَارُهَا * بُسْتَانٌ أَنْهَارُهُ مَحْفُوفَةٌ بِٱلْأَزْهَارِ وَأَشْجَارُهُ مُوقَرَةٌ بِٱلثِّمَارِ * أَشْجَارٌ كَأَنَّ ٱلْحُورَ أَعَارَتْهَا قُدُودَهَا وَكَسَتْهَا بُرُودَهَا وَحَلَّتْهَا عُقُودَهَا * شَقَائِقُ كَتِيجَانِ ٱلْعَقِيقِ عَلَى رُؤُوسِ ٱلزُّنُوجِ كَأَنَّهَا أَصْدَاغُ ٱلْمِسْكِ عَلَى ٱلْوَجَنَاتِ ٱلْمُوَرَّدَةِ * كَأَنَّ ٱلشَّقِيقَ جَامٌ مِنْ عَقِيقٍ أَحْمَرَ مُلِئَتْ قَرَارَتُهُ بِمِسْكٍ أَذْفَرَ * ٱلْأَرْضُ زُمُرُّدَةٌ وَٱلْأَشْجَارُ وَشْيٌ وَٱلْمَاءُ سُيُوفٌ وَٱلطُّيُورُ قِيَانٌ * قَدْ غَرَّدَتْ خُطَبَاءُ ٱلْأَطْيَارِ عَلَى مَنَابِرِ ٱلْأَنْوَارِ وَٱلْأَزْهَارِ

في وصف طول الليل والسهر وما يعرض فيه من الهموم والفكر

لَيْلَةٌ قُصَّ جَنَاحُهَا وَضَلَّ صَبَاحُهَا * لَيَالٍ لَيْسَتْ لَهَا أَسْحَارٌ وَظُلُمَاتٌ لَا تَتَخَلَّلُهَا أَنْوَارٌ * لَيْلٌ ثَابِتُ الْأَطْنَابِ بَطِيءُ الْغَوَارِبِ طَامِحُ الْأَمْوَاجِ وَافِي الذَّوَائِبِ * بَاتَ بِلَيْلَةٍ سَاوَرَتْهُ فِيهَا الْهُمُومُ وَسَامَرَتْهُ النُّجُومُ وَاكْتَحَلَ السُّهَادَ وَافْتَرَشَ الْقَتَادَ * اِكْتَحَلَ بِمَاءِ السَّهَرِ وَتَمَلْمَلَ عَلَى فِرَاشِ الْفِكَرِ * قَدْ أَقَضَّ مِهَادُهُ وَقَلِقَ وِسَادُهُ * هُمُومٌ تُفَرِّقُ بَيْنَ الْجَنْبِ وَالْمِهَادِ وَتَجْمَعُ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالسُّهَادِ

في وصف انتصاف الليل وتناهيه وانتشار النور وأفول النجوم

قَدِ اكْتَهَلَ الظَّلَامُ * قَدْ نَصَفْنَا عُمْرَ اللَّيْلِ وَاسْتَغْرَقْنَا شَبَابَهُ * قَدْ شَابَ رَأْسُ اللَّيْلِ * كَادَ يَنِمُّ النَّسِيمُ بِالسَّحَرِ * قَدِ انْكَشَفَ غِطَاءُ اللَّيْلِ وَسِتْرُ الدُّجَى * هَرِمَ اللَّيْلُ وَشَمِطَتْ ذَوَائِبُهُ * قُوِّضَتْ خِيَامُ اللَّيْلِ وَخَلَعَ الْأُفُقُ ثَوْبَ الدُّجَى * تَبَسَّمَ الْفَجْرُ ضَاحِكًا مِنْ شَرْقِهِ وَنَصَبَ أَعْلَامَهُ عَلَى مَنَازِلِ أُفْقِهِ * اِقْتَنَصَ بَازِي الضَّوْءِ غُرَابَ الظَّلَامِ وَفَضَّ كَافُورُ النُّورِ مِنَ الْغَسَقِ مِسْكَ الْخِتَامِ * طُرِّزَ قَمِيصُ اللَّيْلِ بِغُرَّةِ الصُّبْحِ * بَاحَ الصُّبْحُ بِسِرِّهِ * خَلَعَ اللَّيْلُ ثِيَابَهُ وَحَدَرَ الصُّبْحُ

نِقَابَهُ * بَثَّ ٱلصُّبْحُ طَلَائِعَهُ * تَبَرْقَعَ ٱللَّيْلُ بِغُرَّةِ ٱلصُّبْحِ * أَطَارَ مُنَادِي ٱلصُّبْحِ غُرَابَ ٱللَّيْلِ * عُزِلَتْ نَوَافِجُ ٱللَّيْلِ بِجَامَاتِ ٱلْكَافُورِ وَٱنْهَزَمَ جَيْشُ ٱلظَّلَامِ عَنْ عَسْكَرِ ٱلنُّورِ * مَالَتِ ٱلْجَوْزَاءُ لِلْغُرُوبِ وَوَلَّتْ مَوَاكِبُ ٱلْكَوَاكِبِ وَتَنَاثَرَتْ عُقُودُ ٱلنُّجُومِ * وَهَى نِطَاقُ ٱلْجَوْزَاءِ وَٱنْطَفَأَ قِنْدِيلُ ٱلثُّرَيَّا

في وصف طلوع الشمس وغروبها ومتوع النهار وانتصافه وابتدآئه وانتهآئه

بَدَا حَاجِبُ ٱلشَّمْسِ * أَلْقَتِ ٱلْغَزَالَةُ لُعَابَهَا وَضَرَبَتِ ٱلضُّحَى أَطْنَابَهَا * إِنْتَشَرَ جَنَاحُ ٱلضَّوْءِ فِي أُفُقِ ٱلْجَوِّ * إِسْتَوَى شَبَابُ ٱلنَّهَارِ * عَلَا رَوْنَقُ ٱلضُّحَى * بَلَغَتِ ٱلشَّمْسُ كَبِدَ ٱلسَّمَاءِ * قَامَ قَائِمُ ٱلْهَاجِرَةِ وَرَمَتِ ٱلشَّمْسُ بِجَمَرَاتِ ٱلظُّهْرِ * إِصْفَرَّتْ غِلَالَةُ ٱلشَّمْسِ وَصَارَتْ كَأَنَّهَا ٱلدِّينَارُ يَلْمَعُ فِي قَرَارِ ٱلْمَاءِ * نَفَضَتْ تِبْرًا عَلَى ٱلْأَصِيلِ وَشَدَّتْ رَحْلَهَا لِلرَّحِيلِ * جَنَحَتِ ٱلشَّمْسُ إِلَى مَغَارِبِهَا * دَلَكَتْ دَلُوحُ وَٱغْبَرَّ لَوْحُ ٱللَّوحِ * تَصَوَّبَتِ ٱلشَّمْسُ لِلْمَغِيبِ * تَضَيَّفَتْ لِلْغُرُوبِ فَآذَنَ جَنْبُهَا بِٱلْوُجُوبِ * شَابَ ٱلنَّهَارُ وَأَقْبَلَ شَبَابُ ٱللَّيْلِ * إِسْتَتَرَ وَجْهُ ٱلشَّمْسِ بِٱلنِّقَابِ

وَتَوَارَتْ بِالْحِجَابِ * كَانَ هٰذَا الْأَمْرُ مِنْ مَطْلَعِ الْفَلَقِ إِلَى مَجْمَعِ الْغَسَقِ

في وصف الرعد والبرق

قَامَ خَطِيبُ الرَّعْدِ * نَبَضَ عِرْقُ الْبَرْقِ * سَحَابَةٌ ارْتَجَزَتْ رُعُودُهَا وَذَهَبَتْ بِبُرُوقِهَا بُرُودُهَا * نَطَقَ لِسَانُ الرَّعْدِ وَخَفَقَ قَلْبُ الْبَرْقِ فَالرَّعْدُ ذُو صَخَبٍ وَالْبَرْقُ ذُو لَهَبٍ * إِبْتَسَمَ الْبَرْقُ عَنْ قَهْقَهَةِ الرَّعْدِ * زَأَرَتْ أُسُودُ الرَّعْدِ * وَلَمَعَتْ سُيُوفُ الْبَرْقِ * رَعَدَتِ الْغَمَائِمُ وَبَرَقَتْ وَانْحَلَّتْ عُرَى السَّمَاءِ فَطَبَّقَتْ * هَدَرَتْ رَوَاعِدُهَا وَقَرُبَتْ أَبَاعِدُهَا وَصَدَقَتْ مَوَاعِدُهَا

في وصف مقدمات المطر

لَبِسَتِ السَّمَاءُ سِرْبَالَهَا وَسَحَبَتِ السَّحَائِبُ أَذْيَالَهَا * قَدِ احْتَجَبَتِ السَّمَاءُ فِي سُرَادِقِ الْغَيْمِ * لَبِسَ الْجَوُّ مُطْرَفَهُ الْأَدْكَنَ * بَاحَتِ الرِّيحُ بِأَسْرَارِ النَّدَى * ضُرِبَتْ خَيْمَةُ الْغَمَامِ * إِبْتَلَّ جَنَاحُ الْهَوَاءِ وَاغْرَوْرَقَتْ مُقْلَةُ السَّمَاءِ * هَبَّتْ شَمَائِلُ الْجَنَائِبِ لِتَأْلِيفِ شَمْلِ السَّحَائِبِ * تَأَلَّفَتْ أَشْتَاتُ الْغُيُومِ وَأُسْبِلَتِ السُّتُورُ عَلَى النُّجُومِ

في وصف الثلج والبَرْد وايام الشتاء

مَدَّ ٱلشِّتَاءُ رِوَاقَهُ وَأَلْقَى أَرْوَاقَهُ وَحَلَّ نِطَاقَهُ * أَنَاخَ بِنَوَازِلِهِ وَأَرْسَى بِكَلَاكِلِهِ وَكَلَحَ بِوَجْهِهِ وَكَشَّرَ عَنْ أَنْيَابِهِ * قَدْ عَادَتِ ٱلْجِبَالُ شِيبًا وَلَبِسَتْ مِنَ ٱلثُّلُوجِ مُلَاءً قَشِيبًا * شَابَتْ مَفَارِقُ ٱلْبُرُوجِ بِتَرَاكُمِ ٱلثُّلُوجِ * أَلَمَّ ٱلشَّيْبُ بِهَا وَٱبْيَضَّتْ لِمَمُهَا * بَرْدٌ يُقَضْقِضُ ٱلْأَعْضَاءَ وَيَنْقُضُ ٱلْأَحْشَاءَ * بَرْدٌ يُجَمِّدُ ٱلرِّيقَ فِي ٱلْأَشْدَاقِ وَٱلدَّمْعَ فِي ٱلْآمَاقِ * يَوْمٌ كَأَنَّ ٱلْأَرْضَ شَابَتْ لِهَوْلِهِ * يَوْمٌ فِضِّيُّ ٱلْجِلْبَابِ مِسْكِيُّ ٱلنِّقَابِ عَبُوسٌ قَمْطَرِيرٌ كَشَّرَ عَنْ نَابِ ٱلزَّمْهَرِيرِ وَفَرَشَ ٱلْأَرْضَ بِٱلْقَوَارِيرِ * يَوْمٌ أَرْضُهُ كَٱلْقَوَارِيرِ ٱللَّامِعَةِ وَهَوَاؤُهُ كَٱلزَّنَابِيرِ ٱللَّاسِعَةِ

في وصف المطر والماء والسحاب والغدران

مَاءٌ إِذَا مَسَّتْهُ أَيْدِي ٱلنَّسِيمِ حَكَى سَلَاسِلَ ٱلْفِضَّةِ * غَدِيرٌ تَرَقْرَقَتْ فِيهِ دُمُوعُ ٱلسَّحَائِبِ وَتَوَاتَرَتْ عَلَيْهِ أَنْفَاسُ ٱلرِّيَاحِ ٱلْغَرَائِبِ * إِنْحَلَّ عِقْدُ ٱلسَّمَاءِ وَٱنْهَلَّ دَمْعُ ٱلْأَنْوَاءِ * إِنْحَلَّ سِلْكُ ٱلْقَطْرِ عَنْ دُرِّ ٱلْبَحْرِ * سَحَابَةٌ تَحْدُو مِنَ ٱلْغُيُومِ جِمَالًا وَتَمُدُّ مِنَ ٱلْأَمْطَارِ حِبَالًا * سَحَابَةٌ تُرْسِلُ ٱلْأَمْطَارَ

أَمْوَاجًا وَٱلْأَمْوَاجَ أَفْوَاجًا * سَحَابَةٌ يَضْحَكُ مِنْ بُكَائِهَا ٱلرَّوْضُ وَتَخْضَرُّ مِنْ سَوَادِهَا ٱلْأَرْضُ * سَحَابَةٌ لَا تَجِفُّ جُفُونُهَا وَلَا يَخِفُّ أَنِينُهَا * دِيمَةٌ رَوَّتْ أَدِيمَ ٱلثَّرَى وَنَبَّهَتْ عُيُونَ ٱلنَّوْرِ مِنَ ٱلْكَرَى * سَحَابَةٌ رَكِبَتْ أَعْنَاقَ ٱلرِّيَاحِ وَسَحَّتْ كَأَفْوَاهِ ٱلْجِرَاحِ * مَطَرٌ كَأَفْوَاهِ ٱلْقِرَبِ

في وصف القيظ وشدة الحرّ

حَرٌّ يُشْبِهُ قَلْبَ ٱلصَّبِّ وَيُذِيبُ دِمَاغَ ٱلضَّبِّ * فَوِيَ سُلْطَانُ ٱلْحَرِّ وَبُسِطَ بِسَاطُ ٱلْجَمْرِ * أَوْقَدَتِ ٱلشَّمْسُ نَارَهَا وَأَذْكَتْ أُوَارَهَا * حَرٌّ يَلْفَحُ حُرَّ ٱلْوَجْهِ * هَاجِرَةٌ كَأَنَّهَا مِنْ قُلُوبِ ٱلْعُشَّاقِ إِذَا ٱشْتَعَلَتْ فِيهَا نَارُ ٱلْفِرَاقِ * هَاجِرَةٌ تَحْكِي نَارَ ٱلْهَجْرِ وَتُذِيبُ قَلْبَ ٱلصَّخْرِ * حَرٌّ يَهْرُبُ لَهُ ٱلْحِرْبَاءُ مِنَ ٱلشَّمْسِ * قَدْ صَهَرَتِ ٱلْهَاجِرَةُ ٱلْأَبْدَانَ وَرَكِبَتِ ٱلْجَنَادِبُ ٱلْعِيدَانَ * حَرٌّ يُنْضِجُ ٱلْجُلُودَ وَيُذِيبُ ٱلْجُلْمُودَ * أَيَّامٌ كَأَيَّامِ ٱلْفُرْقَةِ ٱمْتِدَادًا وَحَرٌّ كَحَرِّ ٱلْوَجْدِ ٱشْتِدَادًا * هَاجِرَةٌ كَٱلسَّعِيرِ ٱلْهَاجِمِ تَجُرُّ أَذْيَالَ ٱلسَّمَائِمِ

في وصف الشيب

ذَوَى غُصْنُ شَبَابِهِ * بَدَتْ فِي رَأْسِهِ طَلَائِعُ ٱلْمَشِيبِ *

أَقْمَرَ لَيْلُ شَبَابِهِ * ظَهَرَتْ غُرَّةُ ٱلْقَمَرِ وَأَوْمَضَ ٱلْبَرْقُ فِي لَيْلِ ٱلشَّعَرِ * رُمِيَ فَاحِمُ ٱلْفَوْدِ بِضِدِّهِ وَٱشْتَعَلَ ٱلْمُبْيَضُّ فِي مُسْوَدِّهِ * لَمَعَ ضَوْءُ فَرْعِهِ وَتَفَرَّقَ شَمْلُ جَمْعِهِ * عَلَاهُ غُبَارُ وَقَائِعِ ٱلدَّهْرِ * بَيْنَا هُوَ رَاقِدٌ فِي لَيْلِ ٱلشَّبَابِ أَيْقَظَهُ صُبْحُ ٱلْمَشِيبِ * طَوَى مَرَاحِلَ ٱلشَّبَابِ وَأَنْفَقَ عُمْرَهُ بِغَيْرِ حِسَابٍ * جَاوَزَ مِنَ ٱلشَّبَابِ مَرَاحِلَ وَوَرَدَ مِنَ ٱلشَّيْبِ مَنَاهِلَ * فَلَّ ٱلدَّهْرُ شَبَا شَبَابِهِ وَمَحَا مَحَاسِنَ رُوَائِهِ * طَارَ غُرَابُ شَبَابِهِ * إِنْتَهَى شَبَابُهُ وَشَابَ أَتْرَابُهُ * إِسْتَبْدَلَ بِٱلْأَدْهَمِ ٱلْأَبْلَقَ وَبِٱلْغُرَابِ ٱلْعَقْعَقَ * إِسْتَعَاضَ مِنَ ٱلْغُرَابِ بِقَادِمَةِ ٱلنَّسْرِ * أَسْفَرَ صُبْحُ ٱلْمَشِيبِ * عَلَتْهُ أُبَّهَةُ ٱلْكِبَرِ * نَفَضَ جِبَّةَ ٱلصِّبَى وَتَوَلَّى دَاعِيَةَ ٱلْحِجَى * ٱلشَّيْبُ زُبْدَةٌ مَخَضَتْهَا ٱلْأَيَّامُ وَفِضَّةٌ مَحَّصَتْهَا ٱلتَّجَارِبُ * سَرَى فِي طَرِيقِ ٱلرُّشْدِ بِمِصْبَاحِ ٱلشَّيْبِ * أَلشَّيْبُ خِطَامُ ٱلْمَنِيَّةِ * أَلشَّيْبُ نَذِيرُ ٱلْآخِرَةِ

في وصف آلات الكتابة

أَلدَّوَاةُ مِنْ أَنْفَعِ ٱلْأَدَوَاتِ وَهِيَ لِلْكِتَابَةِ عَتَادٌ وَلِلْخَاطِرِ زِنَادٌ * غَدِيرٌ لَا يَرِدُهُ غَيْرُ ٱلْأَفْهَامِ وَلَا يُمْتَحُ بِغَيْرِ أَرْشِيَةِ

ٱلْأَقلَامِ * غَدِيرٌ تَفِيضُ يَنَابِيعُ ٱلْحِكْمَةِ مِنْ أَقْطَارِهِ وَتَنْشَأُ سُحُبُ ٱلْبَلَاغَةِ مِنْ قَرَارِهِ * مِدَادٌ كَسَوَادِ ٱلْعَيْنِ وَسُوَيْدَآءِ ٱلْقَلْبِ وَجَنَاحِ ٱلْغُرَابِ وَلُعَابِ ٱللَّيْلِ وَأَلْوَانِ دُهْمِ ٱلْخَيْلِ * مِدَادٌ نَاسَبَ خَافِيَةَ ٱلْغُرَابِ وَٱسْتَعَارَ لَوْنَهُ مِنْ شَرْخِ ٱلشَّبَابِ * أَقْلَامٌ جَمَّةُ ٱلْمَحَاسِنِ بَعِيدَةٌ مِنَ ٱلْمَطَاعِنِ * أَنَابِيبُ نَاسَبَتْ رِمَاحَ ٱلْخَطِّ فِي أَجْنَاسِهَا وَشَاكَلَتِ ٱلذَّهَبَ فِي أَلْوَانِهَا وَضَاهَتِ ٱلْحَدِيدَ فِي لَمَعَانِهَا * أَقْلَامٌ كَأَنَّهَا ٱلْأَمْيَالُ ٱسْتِوَآءً وَٱلْآجَالُ مَضَآءً بَطِيئَةُ ٱلْحَفَى قَوِيَّةُ ٱلْقُوَى * قَلَمٌ لَا يَنْبُو إِذَا نَبَتِ ٱلصِّفَاحُ وَلَا يَجْبُنُ إِذَا أَحْجَمَتِ ٱلرِّمَاحُ * قَلَمٌ يَسْكُتُ وَاقِفًا وَيَنْطِقُ سَاكِنًا

في وصف الخطبآء

جَلَوْا بِكَلَامِهِمِ ٱلْأَبْصَارَ ٱلْعَلِيلَةَ وَشَحَذُوا بِمَوَاعِظِهِمِ ٱلْأَذْهَانَ ٱلْكَلِيلَةَ وَنَبَّهُوا ٱلْقُلُوبَ مِنْ رَقْدَتِهَا وَنَقَلُوهَا عَنْ سُوءِ عَادَتِهَا فَشَفَوْا مِنْ دَآءِ ٱلْقَسْوَةِ وَغَبَاوَةِ ٱلْغَفْلَةِ وَدَاوَوْا مِنَ ٱلْعِيِّ ٱلْفَاضِحِ وَنَهَجُوا لَنَا ٱلطَّرِيقَ ٱلْوَاضِحَ * خَطِيبٌ لَا تَنَالُهُ حُبْسَةٌ وَلَا تَرْتَهِنُهُ لُكْنَةٌ وَلَا تَتَمَشَّى فِي خِطَابِهِ رُتَّةٌ وَلَا تَحِيفُ بَيَانَهُ عُجْمَةٌ وَلَا تَعْتَرِضُ لِسَانَهُ عُقْدَةٌ * خَطِيبٌ

جَوَاهِرُ نَفَثَاتِهِ صِحَاحٌ وَعَرَائِسُ أَفْكَارِهِ صِبَاحٌ * خَطِيبٌ تَزَيَّنَتْ بِدُرَرِ أَلْفَاظِهِ عُقُودُ ٱلْمُلَحِ * لَا عَيْبَ فِيهِ إِلَّا أَنَّ لَفْظَهُ عَطَّلَ ٱلْيَاقُوتَ وَٱلدُّرَّ * خَطِيبٌ مِصْقَعٌ يَنْثُرُ لِسَانُهُ ٱللُّؤْلُؤَ ٱلْمَكْنُونَ * هُوَ ٱلْخَطِيبُ ٱلْمِصْقَعُ ٱلَّذِي أَشْخَصَ بِآيَاتِ خُطَبِهِ ٱلزَّاجِرَةِ عُيُونَ ٱلْقَوْمِ وَأَبْكَاهَا * هُوَ ٱلْخَطِيبُ ٱلْمِصْقَعُ ٱلَّذِي تَتَلَاعَبُ بِٱلْعُقُولِ مَعَانِيهِ وَيُصَاغُ ٱلدُّرُّ مِنْ لَفْظِ فِيهِ * هُوَ ٱلْخَطِيبُ ٱلَّذِي تَهْتَزُّ لَهُ ٱلْمَنَابِرُ وَتَنْقَادُ إِلَيْهِ كَلِمَاتُ ٱلسِّحْرِ مُتَسَابِقَةً آخِذًا بَعْضُهَا بِرِقَابِ بَعْضٍ

في وصف العلماء

بَدْرُ ٱلْعُلُومِ ٱللَّائِحُ وَقَطْرُهَا ٱلْغَادِي وَٱلرَّائِحُ وَنَيِّرُهَا ٱلَّذِي لَا يُزْحَمُ وَمُنِيرُهَا ٱلَّذِي يَنْجَلِي بِهِ لَيْلُهَا ٱلْأَسْحَمُ * أَمَّا فُنُونُ ٱلْأَدَبِ فَهُوَ ٱبْنُ بَجْدَتِهَا وَأَخُو جُمْلَتِهَا وَأَبُو عُذْرَتِهَا وَمَالِكُ أَزِمَّتِهَا * تُسْتَخْرَجُ ٱلْجَوَاهِرُ مِنْ بُحُورِهِ وَتُحَلَّى لَبَّاتُ ٱلطُّرُوسِ بِقَلَائِدِ سُطُورِهِ * تَآلِيفُهُ غُرَرٌ مُنِيرَاتٌ أَضَاءَتْ فِي وُجُوهِ دُهْمِ ٱلْمُشْكِلَاتِ * عَالِمٌ أَقْلَامُهُ نَفَثَاتُ ٱلسِّحْرِ * تَآلِيفُهُ عَقَائِلُ أَصْبَحَ ٱلدَّهْرُ مِنْ خُطَّابِهَا * لَهُ بَدَائِعُ مَائِسَاتُ ٱلْأَعْطَافِ * بَحْرُ ٱلْبَيَانِ ٱلزَّاخِرُ * شَيْخُ ٱلْمَعَارِفِ وَإِمَامُهَا

وَمَنْ فِي يَدَيْهِ زِمَامُهَا لَدَيْهِ تُنْشَدُ ضَوَالُّ ٱلْأَعْرَابِ وَتُوجَدُ شَوَارِدُ ٱللُّغَةِ وَٱلْإِعْرَابِ * مَالِكُ أَعِنَّةِ ٱلْعُلُومِ وَنَاهِجُ طَرِيقِهَا وَٱلْعَارِفُ بِتَرْصِيعِهَا وَتَنْمِيقِهَا ٱلنَّاظِمُ لِعُقُودِهَا ٱلرَّاقِمُ لِبُرُودِهَا ٱلْمُجِيدُ لِإِرْهَافِهَا ٱلْعَالِمُ بِجِلَائِهَا وَزِفَافِهَا * مَلَكَ رِقَّ ٱلْكِتَابَةِ وَٱلْإِنْشَاءِ وَتَصَرَّفَ فِي فُنُونِ ٱلْإِبْدَاعِ كَيْفَ شَاءَ * عَالِمٌ يَتَفَجَّرُ ٱلْعِلْمُ مِنْ جَوَانِبِهِ وَتَنْطِقُ ٱلْحِكْمَةُ مِنْ نَوَاحِيهِ * صَاحِبُ ٱلْمُصَنَّفَاتِ ٱلَّتِي دَلَّتْ عَلَى وَفْرَةِ ٱطِّلَاعِهِ وَغَزَارَةِ مَادَّتِهِ وَحُسْنِ بَيَانِهِ * لَمْ يَتْرُكْ مَعْنًى مُغْلَقًا إِلَّا فَتَحَ صَيَاصِيَهُ وَلَا مُشْكِلًا إِلَّا أَوْضَحَ مَبَانِيَهُ

فِي وَصْفِ ٱلْبُلَغَاءِ

فُلَانٌ يَحُوكُ ٱلْكَلَامَ عَلَى حَسَبِ ٱلْأَمَانِي وَيَخِيطُ ٱلْأَلْفَاظَ عَلَى قُدُودِ ٱلْمَعَانِي * يَجْتَنِي مِنَ ٱلْأَلْفَاظِ أَنْوَارَهَا وَمِنَ ٱلْمَعَانِي ثِمَارَهَا * يَعْبَثُ بِٱلْكَلَامِ وَيَقُودُهُ بِأَلْيَنِ زِمَامٍ حَتَّى كَأَنَّ ٱلْأَلْفَاظَ تَتَحَاسَدُ فِي ٱلتَّسَابُقِ إِلَى خَوَاطِرِهِ وَٱلْمَعَانِي تَتَغَايَرُ فِي ٱلْاِنْثِيَالِ عَلَى أَنَامِلِهِ * بَلِيغٌ نَسَقَ مِنْ جَوَاهِرِ كَلَامِهِ أَكَالِيلَ دُرٍّ مَا لِمَنْظُومِهَا سِلْكٌ * بَلِيغٌ تَفُكُّ سِهَامُ أَفْكَارِهِ ٱلزَّرَدَ * نَاظِمُ سِلْكِ ٱلْبَلَاغَةِ وَقَائِدُ زِمَامِ

ٱلْبَرَاعَةِ * إِذَا أَوْجَزَ أَعْجَزَ وَإِذَا شَآءَ أَطَالَ وَأَطْلَقَ مِنَ ٱلْبَلَاغَةِ ٱلْعِقَالَ * إِذَا أَذْكَى سِرَاجَ ٱلْفِكْرِ أَضَآءَ ظَلَامَ ٱلْأَمْرِ * يَسْتَنْبِطُ حَقَائِقَ ٱلْقُلُوبِ وَيَسْتَخْرِجُ وَدَائِعَ ٱلْغُيُوبِ

في وصف الشعرآء والمنشئين ومحاسن النظم والنثر

مَقْذِفُ حَصَى ٱلْقَرِيضِ وَجِمَارِهِ وَمَطْلِعُ شُمُوسِهِ وَأَقْمَارِهِ * نَثْرُهُ سِحْرُ ٱلْبَيَانِ وَنَظْمُهُ قِطَعُ ٱلْجُمَانِ * طَلَعَتْ شَمْسُ ٱلْأَدَبِ مِنْ أُفُقِ أَشْعَارِهِ وَتَفَجَّرَتْ يَنَابِيعُهَا مِنْ خِلَالِ آثَارِهِ * شَاعِرٌ تَوَقَّدَتْ جَمَرَاتُ أَفْكَارِهِ * شَاعِرٌ عَرَائِسُ أَفْكَارِهِ صِبَاحٌ * إِنْ نَثَرَ فَٱلنُّجُومُ فِي أَفْلَاكِهَا أَوْ نَظَمَ فَٱلْجَوَاهِرُ فِي أَسْلَاكِهَا * أَخَذَتْ بِمَجَامِعِ ٱلْقُلُوبِ كَلِمُهُ * إِذَا كَتَبَ ٱنْتَسَبَ إِلَيْهِ ٱلسِّحْرُ أَصَحَّ ٱنْتِسَابٍ وَنَسَقَ ٱلْمُعْجِزَاتِ نَسْقَ حِسَابٍ وَأَرَى ٱلْبَدَائِعَ بِيضَ ٱلْوُجُوهِ كَرِيمَةَ ٱلْأَحْسَابِ * إِنْ نَثَرَ رَأَيْتَ بَحْرًا يَزْخَرُ * إِذَا نَظَمَ أَزْرَى بِنَظْمِ ٱلْعُقُودِ وَأَتَى بِأَحْسَنَ مِنْ رَقْمِ ٱلْبُرُودِ * إِذَا كَتَبَ مَلَأَ ٱلْمَهَارِقَ بَيَانًا وَأَرَى ٱلسِّحْرَ عِيَانًا * هُوَ ٱلْكَاتِبُ ٱلَّذِي تَحْسُدُ أَرْقَامُ ٱلطِّرَازِ سُطُورَ قَلَمِهِ وَيَوَدُّ ٱلتِّبْرُ لَوْ كَانَ مِدَادَ كَلِمِهِ * هُوَ ٱلْكَاتِبُ ٱلَّذِي تَنْقَادُ إِلَى يَرَاعِهِ دَقَائِقُ ٱلْمَعَانِي صَاغِرَةً

بزِمَامٍ * نَثْرٌ كَنَثْرِ ٱلْوَرْدِ وَنَظْمٌ كَنَظْمِ ٱلْعِقْدِ * نَثْرٌ كَٱلسِّحْرِ أَوْ أَدَقُّ وَنَظْمٌ كَٱلْمَاءِ أَوْ أَرَقُّ * نَثْرٌ كَمَا تَفَتَّحَ ٱلزَّهَرُ وَنَظْمٌ كَمَا تَنَفَّسَ ٱلسَّحَرُ * رِسَالَةٌ تَضْحَكُ عَنْ غُرَرٍ وَزَهَرٍ وَقَصِيدَةٌ تَنْطَوِي عَلَى حِبَرٍ وَدُرَرٍ * كَلَامٌ كَمَا هَبَّ نَسِيمُ ٱلسَّحَرِ عَلَى صَفَحَاتِ ٱلزَّهَرِ * كِتَابٌ مَطْلِعُهُ مَطْلِعُ أَهِلَّةِ ٱلْأَعْيَادِ وَمَوْقِعُهُ مَوْقِعُ نَيْلِ ٱلْمُرَادِ * كِتَابٌ حَسِبْتُهُ يَطِيرُ مِنْ يَدِي لِخِفَّتِهِ وَيَلْطُفُ عَنْ حِسِّي لِقِلَّتِهِ * صَحَائِفُ ٱنْطَوَتِ ٱلْمَحَاسِنُ تَحْتَ رَقِّ مَنْشُورِهَا وَصَدَحَتْ حَمَائِمُ ٱلْبَلَاغَةِ عَلَى أَغْصَانِ سُطُورِهَا * صَحَائِفُ تَنُوبُ عَنِ ٱلصَّفَائِحِ وَقَرَاطِيسُ تَزُفُّ إِلَى ٱلْأَسْمَاعِ عَرَائِسَ ٱلْقَرَائِحِ * صَحَائِفُ أَلْبَسَهَا ٱلْحِبْرُ أَثْوَابًا مِنَ ٱلْحِبَرِ وَدَبَّجَهَا صَوْبُ ٱلْفِكْرِ لَا صَوْبُ ٱلْمَطَرِ

في وصف الامرآء والاشراف

فُلَانٌ مِنْ شَرَفِ ٱلْعُنْصُرِ ٱلْكَرِيمِ وَمَعْدِنِ ٱلشَّرَفِ ٱلصَّمِيمِ * أَصْلٌ رَاسِخٌ وَفَرْعٌ شَامِخٌ وَمَجْدٌ بَاذِخٌ * قَدْ رَكَّبَ ٱللّٰهُ دَوْحَتَهُ فِي قَرَارَةِ ٱلْمَجْدِ وَغَرَسَ نَبْعَتَهُ فِي مَنْبِتِ ٱلْفَضْلِ * ٱلْمَجْدُ لِسَانُ أَوْصَافِهِ وَٱلشَّرَفُ نَسَبُ أَسْلَافِهِ * دَوْحَةٌ رَسَبَ عِرْقُهَا وَبَسَقَ فَرْعُهَا وَطَابَ عُودُهَا وَٱعْتَدَلَ

عَمُودُهَا وَفَيَّأَتْ ظِلَالُهَا وَتَهَدَّلَتْ ثِمَارُهَا وَتَفَرَّعَتْ
أَغْصَانُهَا وَبَرَدَ مَقِيلُهَا * أَمِيرٌ جَيْشُهُ الْهِمَمُ * دَوْحَةُ مَجْدِهِ
وَرِيفَةُ الظِّلِّ وَرِيقَةٌ * أَمِيرٌ لَا عَيْبَ فِي نَدَاهُ إِلَّا أَنَّهُ يَسْتَعْبِدُ
كُلَّ حُرٍّ * هُوَ غُرَّةُ الْجَمَالِ وَصُورَةُ الْكَمَالِ * عِقْدُ الْمَنَاصِبِ
بِهِ نَضِيدٌ * أَمِيرٌ عَبِقَتْ مِنْ شَمَائِلِهِ نَسَمَاتُ النَّدِّ وَقَطَرَتْ
مِنْ سَلْسَبِيلِ أَوْصَافِهِ مِيَاهُ الْمَجْدِ * جَامِعُ مَا تَفَرَّقَ مِنْ شَمْلِ
الْفَضَائِلِ * نَاظِمُ مَا انْتَثَرَ مِنْ عِقْدِ الْمَآثِرِ * أَنَارَتْ بِهِ نُجُومُ
الْمَعَالِي وَشُمُوسُهَا * لَهُ شَرَفٌ بَاذِخٌ تُعْقَدُ بِالنُّجُومِ ذَوَائِبُهُ *
أَلْقَتْ إِلَيْهِ الرِّئَاسَةُ مَقَالِيدَهَا وَمَلَّكَتْهُ طَرِيفَهَا وَتَلِيدَهَا *
أَمِيرٌ تَفَرَّعَ مِنْ دَوْحَةِ سَنَاءٍ وَتَحَدَّرَ مِنْ سُلَالَةِ أَكَابِرَ وَرُقَاةِ
أَسِرَّةٍ وَمَنَابِرَ * مُرْتَضِعٌ ثَدْيَ الْمَجْدِ وَمُفْتَرِشٌ حَجْرَ الْفَضْلِ *
لَهُ صَدْرٌ تَضِيقُ بِهِ الدَّهْنَاءُ وَتَفْزَعُ إِلَيْهِ الدَّهْمَاءُ * لَهُ فِي
كُلِّ مَكْرُمَةٍ غُرَّةُ الْإِصْبَاحِ وَفِي كُلِّ فَضِيلَةٍ قَادِمَةُ الْجَنَاحِ *
لَهُ صُورَةٌ تَسْتَنْطِقُ الْأَفْوَاهَ بِالتَّسْبِيحِ وَيَتَرَقْرَقُ فِيهَا مَاءُ
الْكَرَمِ وَتُقْرَأُ فِيهَا صَحِيفَةُ الْبِشْرِ * يَنَابِيعُ الْجُودِ تَتَفَجَّرُ مِنْ
أَنَامِلِهِ وَرَبِيعُ السِّمَاكِ يَضْحَكُ مِنْ فَوَاضِلِهِ * لَهُ أَخْلَاقٌ
خُلِقْنَ مِنَ الْفَضْلِ وَشِيَمٌ تُشَامُ مِنْهَا بَوَارِقُ الْمَجْدِ * أَرِجَ

ٱلزَّمَانُ بِفَضْلِهِ وَعَقِمَ ٱلنِّسَآءُ عَنِ ٱلْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ * مَالُهُ لِلْعُفَاةِ مُبَاحٌ وَفَعَالُهُ فِي ظُلْمَةِ ٱلدَّهْرِ مِصْبَاحٌ * مَنَاقِبُ تَشْدَخُ فِي جَبِينِهَا غُرَّةُ ٱلصَّبَاحِ وَتَتَهَادَى أَنْبَآءَهَا وُفُودُ ٱلرِّيَاحِ * سَأَلْتُ عَنْ أَخْبَارِهِ فَكَأَنِّي حَرَّكْتُ ٱلْمِسْكَ فَتِيقًا أَوْ صَبَّحْتُ ٱلرَّوْضَ أَنِيقًا * هُوَ رَائِشُ نَبْلِهِمْ وَنَبْعَةُ فَضْلِهِمْ وَوَاسِطَةُ عِقْدِهِمْ * لَهُ هِمَّةٌ عَلَا جَنَاحُهَا إِلَى عَنَانِ ٱلنَّجْمِ وَٱمْتَدَّ صَبَاحُهَا مِنْ شَرْقٍ إِلَى غَرْبٍ * هِمَّتُهُ أَبْعَدُ مِنْ مَنَاطِ ٱلْفَرْقَدِ وَأَعْلَى مِنْ مَنْكِبِ ٱلْجَوْزَآءِ * مَوْضِعُهُ مِنْ أَهْلِ ٱلْفَضْلِ مَوْضِعُ ٱلْوَاسِطَةِ مِنَ ٱلْعِقْدِ وَلَيْلَةِ ٱلتَّمِّ مِنَ ٱلشَّهْرِ بَلْ لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ إِلَى مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ * هَطَلَتْ عَلَيَّ سَحَابُ عِنَايَتِهِ وَرَفْرَفَتْ حَوْلِي أَجْنِحَةُ رِعَايَتِهِ * قَدِ ٱسْتَظْهَرْتُ عَلَى جَوْرِ ٱلْأَيَّامِ بِعَدْلِهِ وَٱسْتَتَرْتُ مِنْ دَهْرِي بِظِلِّهِ * قَدْ غَرَّقَتْنِي نِعَمُهُ حَتَّى ٱسْتَنْفَدَتْ شُكْرَ لِسَانِي وَيَدِي * تَتَابَعَتْ نِعَمُهُ تَتَابُعَ ٱلْقَطْرِ عَلَى ٱلْقَفْرِ وَتَرَادَفَتْ مِنَنُهُ تَرَادُفَ ٱلْيُسْرِ إِلَى ذِي ٱلْفَقْرِ * لَهُ أَيَادٍ قَدْ عَمَّتِ ٱلْآفَاقَ وَطَوَّقَتِ ٱلْأَعْنَاقَ * أَيَادٍ قَدْ حَبَسَتْ عَلَيْهِ ٱلشُّكْرَ وَٱسْتَعْبَدَتْ لَهُ ٱلْحُرَّ * مِنَنٌ تَوَالَتْ تَوَالِيَ ٱلْقَطْرِ وَٱتَّسَعَتْ سَعَةَ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَأَثْقَلَتْ كَاهِلَ ٱلْحُرِّ *

عِنْدِي قِلَادَةٌ مُنْتَظِمَةٌ مِنْ مِنَنِهِ قَدْ جَعَلْتُهَا وَقْفًا عَلَى نُحُورِ ٱلْأَيَّامِ وَجَلَوْتُهَا عَلَى أَبْصَارِ ٱلْأَنَامِ * أَيَادِيهِ أَطْوَاقٌ فِي أَجْيَادِ ٱلْأَحْرَارِ * أَيَادٍ يُفْرَضُ لَهَا ٱلشُّكْرُ وَيُحَتَّمُ وَمِنَنٌ يُبْدَأُ بِهَا ٱلذِّكْرُ وَيُخْتَمُ * أَيَادٍ تُثْقِلُ ٱلْكَاهِلَ وَمِنَنٌ تُتْعِبُ ٱلْأَنَامِلَ * مِنَنٌ هِيَ أَحْسَنُ أَثَرًا مِنَ ٱلْغَيْثِ فِي أَزَاهِيرِ ٱلرَّبِيعِ وَأَحْلَى مَوْقِعًا مِنَ ٱلْأَمْنِ عِنْدَ ٱلْخَائِفِ ٱلْمَرُوعِ * أَيَادٍ لَا تُحْصَى أَوْ تُحْصَى مَحَاسِنُ ٱلنُّجُومِ وَمِنَنٌ لَا تُحْصَرُ أَوْ تُحْصَرَ أَقْطَارُ ٱلْغُيُومِ * زَادَتْ أَيَادِيهِ حَتَّى كَادَتْ تُجْهِدُ ٱلْأَعْدَادَ وَتَسْبِقُ ٱلْإِعْدَادَ

في وصف البكاء والجزع وعظم المصائب والتعازي وما يتعلق بها

خَبَرٌ عَزَّ عَلَى ٱلنُّفُوسِ مَسْمَعُهُ وَأَثَّرَ فِي ٱلْقُلُوبِ مَوْقِعُهُ * خَبَرٌ تَسْتَكُّ لَهُ ٱلْمَسَامِعُ وَتَرْتَجُّ بِهِ ٱلْأَضَالِعُ * مُصَابٌ فَضَّ عُقُودَ ٱلدُّمُوعِ وَشَبَّ ٱلنَّارَ بَيْنَ ٱلضُّلُوعِ * مُصَابٌ أَذَابَ دُمُوعَ ٱلْأَحْرَارِ فَتَحَلَّبَتْ سَحَائِبُ ٱلدُّمُوعِ ٱلْغِزَارِ وَٱسْتَدَّتْ مَسَالِكُ ٱلسُّكُونِ وَٱلِٱسْتِقْرَارِ * رُزْءٌ نَكَأَ ٱلْقُلُوبَ وَجَرَحَهَا وَأَحَرَّ ٱلْأَكْبَادَ وَقَرَحَهَا فَٱلدُّمُوعُ وَاكِفَةٌ وَٱلْقُلُوبُ وَاجِفَةٌ وَٱلْهَمُّ وَارِدٌ وَٱلْأُنْسُ شَارِدٌ وَٱلنَّاسُ

مَا أَتَتهُمْ عَلَيهِ وَاحِدٌ * غَرَبَ لِمَوْتِهِ نَجْمُ ٱلْفَضْلِ وَكَسَدَتْ سُوقُ ٱلْأَدَبِ وَقَامَتْ نَوَادِبُ ٱلسَّمَاحَةِ * لَطَمَتْ عَلَيهِ ٱلْمَحَاسِنُ خُدُودَهَا وَشَقَّتْ لَهُ ٱلْمَنَاقِبُ جُيُوبَهَا وَبُرُودَهَا * رُزْءٌ لَهُ ٱلْأَحْشَاءُ مُحْتَرِقَةٌ وَٱلْأَجْفَانُ بِمَائِهَا غَرِقَةٌ وَٱلدَّمْعُ وَاكِفٌ وَٱلْحُزْنُ عَاصِفٌ * مَا أَعْظَمَهُ مَفْقُودًا وَمَا أَكْرَمَهُ مَوْجُودًا * إِنِّي لَأَنُوحُ عَلَيهِ نَوْحَ ٱلْمَنَاقِبِ وَأَرْثِيهِ مَعَ ٱلنُّجُومِ ٱلثَّوَاقِبِ وَأَبْكِيهِ مَعَ ٱلْمَعَالِي وَٱلْمَحَاسِنِ وَأُثْنِي عَلَيهِ بِثَنَاءِ ٱلْمَسَاعِي وَٱلْمَآثِرِ * مَضَى وَٱلْمَحَاسِنُ تَبْكِيهِ وَٱلْمَنَاقِبُ تُعَزِّي ٱلْعُيُونَ فِيهِ * كَانَ مَنْزِلُهُ مَأْلَفَ ٱلْأَضْيَافِ وَمَأْنَسَ ٱلْأَشْرَافِ وَمَنْجَعَ ٱلرَّكْبِ وَمَقْصِدَ ٱلْوَفْدِ * إِعْتَاضَ مِنْ تَزَاحُمِ ٱلْمَوَاكِبِ تَحَاشُدَ ٱلْمَآتِمِ وَمِنْ ضَجِيجِ ٱلنِّدَاءِ وَٱلصَّهِيلِ عَجِيجَ ٱلْبُكَاءِ وَٱلْعَوِيلِ * هٰذِهِ ٱلْمَكَارِمُ تَبْكِي شَجْوَهَا لِفَقْدِهِ وَتَلْبَسُ حِدَادَهَا مِنْ بَعْدِهِ * هٰذِهِ ٱلْمَحَاسِنُ قَدْ قَامَتْ نَوَادِبُهَا مَعَ نَوَادِبِهِ وَٱقْتَرَنَتْ مَصَائِبُهَا بِمَصَائِبِهِ

ذيل

في الادعية في خواتم الكتب

أَطَالَ ٱللهُ لِسَيِّدِي ٱلْبَقَآءَ كَطُولِ يَدِهِ بِٱلْعَطَآءِ وَمَدَّ لَهُ فِي ٱلْعُمْرِ كَٱمْتِدَادِ ظِلِّهِ عَلَى ٱلْحُرِّ وَأَدَامَ لَهُ ٱلْمَوَاهِبَ كَمَا أَفَاضَ بِهِ ٱلرَّغَائِبَ وَحَرَسَ لَدَيْهِ ٱلْفَضَائِلَ كَمَا عَوَّدَ بِهِ ٱلشَّمَائِلَ * لَا زَالَتِ ٱلْأَلْسُنُ عَلَيْهِ بِٱلثَّنَآءِ نَاطِقَةً وَٱلْقُلُوبُ عَلَى مَوَدَّتِهِ مُتَطَابِقَةً وَٱلشَّهَادَاتُ لَهُ بِٱلْفَضْلِ مُتَنَاسِقَةً * أَبْقَاهُ ٱللهُ لِلْجَمِيلِ يُعْلِي مَعَالِمَهُ وَيُحْيِي مَكَارِمَهُ وَيَعْمُرُ مَدَارِجَهُ وَيُثْمِرُ نَتَائِجَهُ * أَدَامَ ٱللهُ لَهُ ٱلْمَوَاهِبَ سَامِيَةَ ٱلذَّوَائِبِ مُوَفِّيَةً عَلَى أُمْنِيَةِ ٱلرَّاجِي وَبُغْيَةِ ٱلطَّالِبِ * وَٱللهُ يُتَابِعُ لَهُ أَيَّامَ ٱلْعَلَآءِ وَٱلْغِبْطَةِ وَٱلنَّمَآءِ وَٱلْبَسْطَةِ لِتَرْتَعَ أَنْوَاعُ ٱلْخَدَمِ فِي رِيَاضِ فَوَاضِلِهِ وَتَكْرَعَ أَصْنَافُ ٱلْحَشَمِ مِنْ حِيَاضِ مَوَاهِبِهِ * وَٱللهُ تَعَالَى يَقِي ٱلرَّئِيسَ ٱلْمَصَائِبَ وَيُعِيذُهُ مِنَ ٱلنَّوَائِبِ وَيَرْعَاهُ بِعَيْنِهِ ٱلَّتِي لَا تَنَامُ وَيَجْعَلُهُ فِي حِمَاهُ ٱلَّذِي لَا يُرَامُ * لَا زَالَتِ ٱلْأَيَّامُ وَٱللَّيَالِي

مَطَايَاهُ فِي أَمَانِيهِ وَآمَالِهِ وَصَرَفَ ٱللهُ صُرُوفَ ٱلْغِيَرِ عَنْ إِصَابَةِ إِقْبَالِهِ وَكَمَالِهِ * أَطَالَ ٱللهُ بَقَاءَ ٱلْأَمِيرِ وَأَدَامَ عِزَّهُ وَتَأْبِيدَهُ وَعُلُوَّهُ وَتَمْهِيدَهُ وَبَسْطَتَهُ وَتَوْطِيدَهُ وَظَاهَرَ لَهُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ مَزِيدَهُ * أَطَالَ ٱللهُ بَقَاءَ سَيِّدِي مَخْدُومًا بِأَيْدِي ٱلْأَقْدَارِ مَعْصُومًا مِنْ عَوَادِي ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مُكْتَنَفًا مِنْ لَطَائِفِ ٱللهِ ٱلْخَفِيَّةِ وَعَوَارِفِ صَنَائِعِهِ ٱلْحَفِيَّةِ بِمَا يَدْفَعُ عَنْ حَوْزَتِهِ نَوَائِبَ ٱلْخُطُوبِ وَيَصْنَعُ لَهُ فِي طَيِّ ٱلْمَكْرُوهِ نِهَايَةَ ٱلْمَحْبُوبِ